

رقم التسلسل

20

الأعمال

الأدبية

الكاملة

للكاتبة ليلى

مقدسي

الجزء الأول

للنشر

الإلكتروني

منشورات دار تجمع المعرفين الأحرار



- اسم العمل: "الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي" الجزء الأول
- اسم المؤلفة: ليلى مقدسي
- نوع العمل: أعمال أدبية
- رقم التسلسل: 20
- الطبعة: الطبعة الإلكترونية الأولى-21-تموز- 2017م
- تصميم الغلاف: ريب هبون
- الناشر: دار تجمع المعرفيين الأحرار للنشر الإلكتروني

## جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة

- حقوق نشر الكتاب محفوظة للمؤلفة والنسخة الإلكترونية ملك لتجمع المعرفيين الأحرار

[/https://reberhebun.wordpress.com](https://reberhebun.wordpress.com)

لنشر أعمالكم يرجى الاتصال ب:

[reber.hebun@gmail.com](mailto:reber.hebun@gmail.com)

## مقدمة لأعمال الكاتبة والشاعرة السورية ليلي مقدسي

تعلمت من الحياة أن لا شئ يسمى بالمستحيل، قد نتعثر ونحن نخطو للأمام. وقد تقع فإذا لم تكسرنا تلك العثرات فهذا يعني بأنها سوف تجعلنا أصعب .

ربما تكون ابتسامة صغيرة وكلمة حلوة منحتها لسيدة القلوب ليلي مقدسي التي "توزع الفرح والأمل للآخرين .

جلساتها الراقية ..تجعلني أشعر بأنني أجالس إحدى سيدات البلاط الملكي في العصور الوسطى !!!...  
كلماتها لا تنبض حروفاً، وإنما تنبض أخلاقيات سامية .

الشاعرة والادبية ليلي مقدسي، من مواليد الساحل السوري صافيتا ولدت عام 1946 مقيمة في حلب عملت في مجال التدريس لأكثر من من ثماني وعشرين عاما" اول أعمالها "ثالوث الحب " صدر لها أكثر من خمس وأربعين كتابا" وهي ما بين شعر ونثر ولها العديد من المخطوطات من مقولاتها المحببة : " يارب لا تعلمني الحكمة بل علمني المحبة " من مؤلفاتها : غمامة ورد ، عرس قانا ، وردة أخيرة للشعر ، لغة الجمر ، أغصان الهوى ، تراتيل الهيام ، ابجدية الوصال ، بعض الشوق لرواء ..من رواياتها لأننا لم نفترق ، ذاك...رة البحر ، ويبقى الغيم الأخضر يتما" .. الجوائز التي نالتها :

جائزة الباسل للإنتاج الفكري في حلب عام 2000

تكريم من قبل نادي التمثيل العربي للآداب والفنون عام 2009 برئاسة العلامة المرحوم محمود فاخوري

تكريم من قبل إدارة الدليل عام 2006 برئاسة د. مأمون حلاق

جائزة اجليك باشا في لبنان -بيروت مؤسسة ناجي نعمان الأدبية عن كتاب

"ثلاث وثلاثون وردة " من شهيد لأمه عام 2008 ومعها درع تقدير

إلى اليوم ومازال مدادها يوضح بالعسل ..رغم كل الظروف الصعبة التي تعانيتها ماتزال تنبض بحروف من أجزاء

جسدها، لتقدمها منارة لكل متذوق .. ما تزال تكتب وآخر واحب الاماني لقلبيها..

أن تدفن بأوراق كتبها ...

ليلى مقدسي قصة عشق يطول شرحها ..

تقول: ترعرعت بين أحضان الطبيعة في صافيتا.. حيث البحر والشجر والريف بشكل عام جذبني بهدوئه وجماله

البكر كانت طفولتي جميلة جداً

دخلت مرحلة الدراسة، عملت في التدريس عند الراهبات وعمري 14 عاماً بعد عمل طويل لسنتين عديدة استقلت

لأسباب صحية بعد اصابتي في عيني اليسرى التي فقدت البصر بها منذ صغري عشقت المطالعة ولأنتي وحيدة من

بين أربع اخوة ذكور كنت منعزلة مع كتيبي .

أكتب بصمت خواطري شجعني عمي وكان اديبا ونشر لي بعض الصحف وكذلك مدرس اللغة العربية نشر لي

موضوعاً عن الأمومة في كتاب من تأليفه وكنت على مقاعد الدراسة سجلت في الجامعة قسم اللغة العربية ولكن لم

أستطع ان اتابع واجمع بين التدريس والمطالعة والجامعة بسبب ظرف عيني المؤلم لي كان الألم وكان معي القلم تحديث

الطب وتابعت كتاباتي ... شعر نثر قصة رواية ودراسة عن الصوفية وعمل للأطفال وبدأت أنشر كتيبي وحققت

اجمل طموح لي لان الإبداع والمطالعة منحني القوة والعطاء في أكثر من عشر مخطوطات للنشر واتابع ولن أتوقف

الا حين يتوقف نبض الحياة لي عدة لقاءات تلفزيونية اخرها عن كتابي مهجة شعر لفيروز نشرت في العديد من

الصحف والمجلات .. أخيراً أتمنى ان يغطي قبوري بأوراق كتيبي رسالتي الأدبية المحبة الإنسانية والتسامح ونبد التعصب

والحقد والشر من هذا العالم .. شكراً لكم جميعاً

-أشعر بسعادة بالغة وانا أخط. بضعة حروف .. بضعة كلمات ... وهذه الكلمات ستلتصق بأعمالك التي سيكون لي

شرف نشرها لجميع المتذوقين.

لقد تشرفت بالاحتفاظ بجزء كبير من مؤلفاتك التي أهديتني إياها ...

أعدك أن اكون مرآة تعكس حروفك الراقية، فقط لأنك راقية !!

أخيراً محبتي وشكري لكل ما قدمته للأجيال ...

\* بقلمى ماريا كباية

حلب 17/7/2017

## إيقاع

التصوّف .. والمتصوّفين

دراسة وإعداد  
ليلى  
مقدسي

# التصوّف رسالة حبّ ووجد

ليلى مقدسي

مقدمة

لنجعل الحب شجرة للحياة

و نمضي . .

ساهرة الورد أنا

أزهر دروب محبتي

خذوني إلى مسطبة العشق

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

إلى :

خلوة الحلاج . .

و وله رابعة المتيمة

و مشطح أبي يزيد

و وردة الشبلي الحزينة

لأؤدي لابن الفارض : فرائض عشقي

لأغرد . .

انشادي

بيدي قلم

شفتي غصن سلام

و مسبحة الروح تتلو مواجيدي . .

ليلى

### أجنحة التصوف السرية

التصوف أشبه باللحن الموسيقي أسراره في الأجنحة الخفية التي تحمل الروح المنتشبة إلى الآفاق المسحورة الغامضة .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فالحياة لديهم نغم و وجد . محب ومحبوب . وهم أبدأً في مناجاة إلهية .  
وفي جلوة أنس وفي فيوض اشراقية . والهلمات قدسية . وفي رهم يفنون و  
يخلدون .

ورسالتهم منفعة بما يضطرب في القلب والروح . إنه الحب يلمع ويشرق  
في كل سطر وحرف سطره . وكل شيء في الوجود جميل لأن طابعه  
وصانعه الحب .

فالله محبة - والدين محبة - والحياة محبة : وللسر محبة .  
و الصوفية بهذا الحب يرتفعون فوق الحياة ، ويصيغون الحياة صباغة  
جديدة .

و الصوفية يحبون الله لا خوفاً من ناره . و لا طمعاً في جنته ، بل يحبونه  
لذات الحب ولأنه أهل للحب .

ولقد هتف يوماً أحدهم :

" إن قلبي ليسكن اليوم عالماً لا يعرف غيري عنه شيئاً . ولو سئلت ما  
بي لأعجزني أن أجيب " .

وفلسفة التصوف مذهب عالمي ، يتلون مع كل أمة بلون عقائدها

وتفكيرها وتكون هذه القمة في الحب المطلق الإلهي .

والصوفية بهذا الحب يحلون مشكلة الفلسفة الكبرى التي تتساءل في

ضباب من الشك وأوهام من الحيرة عن الحياة . أهدافها وغايتها وفلسفتهم



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

في الحياة إنسانية ويصل المتصوفة في حبهم إلى ما سموه بالوجد وهو استغراق تام في النشوة العلوية وحالة الوجد سر قدسي بين الرب و العبد . والوجد الصوفي . أوجد إلى الوجود :

مواجيد ابن عربي . وأنوار السهروردي . وألحان ابن الفارض . وتحرقات الجنيد . واستغراقات البسطامي . و وله الحلاج . ومزامير رابعة العدوية . و قد قال سهل التستري :

" أربعون سنة أكلم الله . والناس يظنون أنني أكلهمه " .

قيل " لسمنون " تكلم في المحبة فقال : لا أعلم أحداً على وجه الأرض يستأهل الكلام فيها فوقع بين يديه طائر فقال : إن كان هذا وجعل يكلمه في المحبة . والطير يضرب بمنقاره حتى سال دمه واضطرب . و مات . و الشبلي يقول : دعهم يفرحون برهم ، فقد أحرق الهوى قلوبهم .

**1- والكشف الباطني :** يشغل جانباً ضخماً من حياة الصوفية . ويؤمنون بأن للمعارف الإنسانية وسائل باطنية غير الحواس الخمس تصل بين النفس الإنسانية والعالم الروحي . والتغلب على الجسد يمزق الحجب بين الروح والنور الأعلى .

وهذا العلم فتح باب الجدل والخصومة بينهم وبين رجال الفكر ، والفقهاء ، والفلاسفة .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

2<sup>؁</sup> - الكرامات : وهي من أمور حياتهم الطبيعية . وهو ظهور أمر خارق للعادة على يد مؤمن طائع للدلالة على صدقه وفضله .

3<sup>؁</sup> - عالم المثال : يؤمنون بعالم وسط بين عالمي الأجساد والأرواح ويطلقون عليه : علم المثال ، أو عالم الخيال .

معنى كلمة التصوف

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

كثير من المستشرقين وكذلك " جرجي زيدان " قالوا : إن مرد الكلمة إلى كلمة صوفيا أي الحكمة ، وأن العرب حين فلسفوا عبادتهم حرفوا الكلمة إلى التصوف ثم غدت بالنسبة إليهم صوفي، وصوفية .  
المستشرق " مركس " قال :

أن صوفة ليس باسم رجل إنما هو اسم قبيلة عربية عرفت بالاستغراق والتأمل والمحبة وطاعة الله .

وهناك من يشتق " التصوف " من " صُفَّة المسجد " التي كانت في مؤخرة مسجد النبي حيث كان ينزل فقراء المسلمين . وكان الرسول يبعث إليهم حاجاتهم .

وينسب إلى " الغوث بن مر " الذي سمي " صوفة " لأنه ما كان يعيش لأمه ولد ، فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ، ولتجعلنه ريبط الكعبة ففعلت ، فقيل له " صوفة " و لولده من بعده .

و ينسب أيضاً إلى الصوف . لأن ثمة علاقة بين ارتداء الصوف وبين التخفف من متع الحياة ، والميل إلى الزهد والتنسك . والصوف لباس الأنبياء ، لذلك الاشتقاق من الصوف أقرب الاشتقاقات ، واختيار الثوب من الصوف اختيار لمسلك خاص يبنى على ترويض الإرادة ، والعزوف عن متع الحياة .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

و تنسب الصوفية إلى " الصفاء " من صفاء الفكر ، والشوق، والمعرفة  
والحبة ، وتردد في تعاريفهم مشتقات : صافي ، صوفي ، صفا، الصفوة .  
ويقال أن " أبو حمزة الصوفي " أول من تكلم ببغداد في مذهب  
الصوفية.

وأول من سمي " صوفي " وتكلم في علم القلوب " أبو هاشم الصوفي " .  
أما تعاريف الصوفية فهي كثيرة ومنها :

الصوفي : لا يكدره شيء ، ويصفو به كل شيء .  
الصوفي : من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله من  
البشر .

الصوفية : قوم صفت قلوبهم من آفات النفس ، وتحرروا من الشهوات.  
يقول الجنيد :

التصوف : تصفية القلوب حتى لا يعاودها ضعفها البشري ، ومفارقة  
أخلاق الطبيعة ، وإخماد صفات البشرية .  
والصوفية من ذوي المشاعر الرقيقة الممتازة .

المعرفة : هي غاية الطريق الصوفي ، وموضوع المعرفة هو التوحيد ،  
والجانب العملي من الصوفية يقسم إلى :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

1- المجاهدات : جهاد النفس والانتصار عليها .

2- المذاقات : هي الاتصال بالوجود المطلق ، فتخر الإرادة

لندوب في الإرادة الإلهية بطريق " العشق " و " الوجد " ، فيستولي عليه الاستغراق في الأنوار الأبدية ، واستحضار الله في القلب وسيلة لمعرفة مباشرة .

فالتصوف . .

تيقظ فطري يوجه النفس الصادقة إلى أن تجاهد ، لتتحظى بمذاقات الوصول ، فالاتصال بالوجود المطلق .

وهذه أخص الملامح المشتركة بين التصوفات الإنسانية فهناك التصوف الهندي ، والصيني ، والمسيحي ، والإسلامي ، ومتصوفة القرون الوسطى .

و وجد التصوف ضمن تيارات :

الغنوصية ، المجوسية ، البوذية ، الصينية ، الأفلاطونية .

## التصوف في الشعر الجاهلي

في فطرة العربي صفاء ، وحيوية . يلهمه تيقظه الفطري ، وتهديه تجربته الذاتية . و قد بلغ الظمأ في بعض النفوس المفتوحة مداه إلى تحقيق مثالية عامة .

كان الحنفاء رواد وعي يقظ ، وفكر حر . حاولوا تغيير وجه الحياة الفكرية بطريق التجربة الروحية ، وأفكارهم تحمل في ثناياها لوائح مبكرة للتصوف .

فالملك " النعمان " ترك ملكه وقصره في الخورنق ، وساح في الأرض قائلاً في نفسه : أي درك في هذا الذي ملكته اليوم ، ويملكه غداً غيري . وكذلك " إبراهيم بن أدهم " خلع عن نفسه الإمارة حين أعياه التفكير في متع الحياة الزائلة .

أما كلمة حنيف حسب مدلولها القرآني يراد بها الدين الأول الفطري و الحنيف يوصف بالراهب وإن لم يتنصر مثل " أمية الصلت " و " قيس بن صرمة " .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

و الحنيف يتصف بالتسامح الديني الذي يدعو إليه الصوفية بقولهم :  
إن الأديان جميعاً تنشد جوهراً واحداً ، مهما اختلفت الرسوم والطقوس ،  
وأتماط الأمل هو واحد .

وأصل الدين " أي دين " هو الشعور بالتوقير ثم بالتبعية وهذا العنصر  
الإنساني في التحنف هو الذي جعله أشبه بدين جديد .

أما المسيحية قريبة المنال من الصوفية ، ففيها نماذج طيبة للترهب  
والزهادة .

و لقد وصف القرآن نفسه " رهبان المسيحية " في معرض التمجيد لأنهم  
أقرب إلى المؤمنين مودة ، و محبة .

هذه هي البذور الصغيرة للتصوف في أرض الجزيرة العربية قبل الإسلام.

## الصوفية في الإسلام

الصوفية في الإسلام ربطوا أنفسهم بالشرعية في كثير من المواقف وقالوا

:

" الحقيقة بيت و الشرعية بابه "

وفي الإسلام ينبع نهل منها الصوفية ، خاصة صوفية القرن الثالث  
الذين وفر شعرهم ، ونضج تفكيرهم .

والصوفية تصور محمداً أنه المحور الأول للحب ، وعلاقة الله بالكون  
والإنسان لا تخلو من طابع صوفي . يقول الله تعالى :  
"يسألونك عن الروح . قل الروح من أمر ربي" .

ويقول : ازهد في الدنيا يجيبك الله . وازهد ما في أيدي الناس يجيبك

الناس ، فالزهد طريق إلى الحب ولقد أثبتت هذه النزعة أقدم صورة  
للزهاد المسلمين ، وانطوى زهدهم على حب الله والرغبة في لقائه .

قال الترمذي أن الرسول قال :

" اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله " .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

والقلب هو مصدر النية التي هي روح العمل ، لأن الأعمال بالنيات .  
وما إن انتهى القرن الثالث الهجري ، إلا وكانت الصورة العامة لهذه الأفكار  
تنبض بالجرأة على نحو هز الأوساط هزاً. وانعكست نظرة الشمول على  
الأديان جميعاً لأنها مكرسة لحقيقة واحدة ، وجوهر واحد . يقول الله تعالى :  
" رحمتي وسعت كل شيء " .

وصارت عبادة الله خالصة ، ورؤيتهم إلى جنته وناره لها مفاهيم جديدة  
بعيدة عن المنفعة ، والخوف من العقاب . .  
تقول رابعة العدوية :

" الهي إذا كنت أعبدك خوفاً من النار فأحرقني بها . وإذا كنت أعبدك  
طمعاً في الجنة فأحرمني منها ، أما إذا كنت أعبدك من أجلك فحسب فلا  
تحرمني يا الهى وجهك الكريم " .

وسئلت : أتحمين الرسول ؟

أجابت : إني والله أحبه ، لكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوق .  
فرؤية الحبيب أمل يداعب الصوفية ، وما يحدث لهم من جذب هو :  
التقاء المد الإلهي ، بالوجد الإنساني .

والرسول قال :

أسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك .

## الصوفية من نهاية العصر الأموي حتى نهاية القرن الثالث

في منتصف القرن الثاني الهجري ، أخذت الصوفية تشهر وتطلق على من تميز سلوكهم بالتعبد والزهد .  
وأطلقت الشام على النماذج المبكرة في الزهد والتعبد لفظة "فقراء" لأن الفقر كامن في ماهية التصوف .  
وفي القرن الثالث الهجري ، انتشرت الصوفية وأصبحت بغداد قسبة الحركة الصوفية ، وظهرت مدارسهم ، ولكل مدرسة مريدون وشيخ واتخذ التصوف طابع الحب بعد تقلص الإرادة الإنسانية وذوبانها في الإرادة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الإلهية . وامتدت الصوفية إلى مصر ، والرائد الأول لها : ذو النون المصري ،  
ثم انتشرت في العالم الإسلامي بأسره .  
وأسسوا المتصوفة أصول " المعرفة والمحبة " .

### طقوس التصوف

#### 1- المجاهدات :

وتضم :

التوبة ، الزهد ، الرضا ، الافتقار ، الصبر ، الخلوة والذكر وتضم :  
الوحدة ، الصحة ، الذكر .

#### 2- المذاقات :

وتقسم إلى :

1- الحب ويضم : النقاء ، المبادلة ، الملازمة .

2- الفناء ويضم : السكر ، الشطح ، زوال الحجب ، وغلبة

الشهود .

### 3- المعرفة .

## المجاهدات

### 1- التوبة :

وهي أول منزل من منازل السالكين ، وأول مقام من مقامات المنقطعين إلى الله ، يقول السراج : " المقام معناه مقام العبد بين يدي الله " .  
ولا تتم التوبة الصادقة إلا إذا تطهر الظاهر والباطن ، وامتلاً القلب بحب الله وتمثل التوبة في شكل هاتف يزور في الصحو أو في المنام ، ويكون مصحوباً برؤية وجه جميل ، أو صوت رخيم . والشعر يسجل حركة النفس عندما تلوح الإشراق في طريق التوبة. وقيل :  
لو كان حُبك صادقاً لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

### 2- الزهد :

الزهد الصوفي يتميز بالتفوق ، وإراحة النفس من هموم الغد، لأن ثقتهم بالله كملت ، فالزهد لديهم مَعْبَرًا إلى الحب ، سأل أحدهم ذي النون . .  
متى أزهد في الدنيا ؟ أجابه : إذا زهدت في نفسك ، وزهد الصوفية زهد خلاق حول الحياة إلى لون من العاطفة والحب. قال عتبة الغلام : " إن تعذبني فأنا لك محب ، وإن ترحمني فأنا لك محب " .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وتعتبر رابعة العدوية في القرن الثاني " شهيدة العشق الإلهي " لأنها  
استجمعت قلبها وهمها في الحبوب ، و وهبت له حياتها فتقول :  
القلب فيه إن تنفس بالدجى

بسهام لوعات الهوى مجروح

وتقول : " الهي . . وددت أن النهار ليل حتى أتمتع بقربك " .

### 3- الرضا :

هو آية نصر المتصوف ، وثمره جهوده ، والراضي لا يكره الحياة لأنه  
اختار لنفسه بما ملاذاً و آيات الرضا :  
قلة الطعام . . السكون إلى الله . . الفرار من الناس .

### 4- الافتقار :

وهو توجيه الإرادة الصادقة إلى الافتقار الدائم إلى الله .  
الحارث المحاسبي ، رفض ثروة أبيه ، ومات في أسوأ حالات الفقر .  
إبراهيم بن أدهم ، يخلع ثوب الإمارة ، ويأوي إلى الصحراء سائحاً  
عابداً .

### 5- الصبر :

قالوا : صبر المحبين أقوى وأعنف من صبر الزاهدين .  
ويقول الشبلي :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

إن صوت الحب من ألم الشوق وخوف الفراق يورث ضرا  
صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر : صبرا

وهكذا نجد أن الزهد والتوبة والصبر والرضا والفقير معانٍ جديدة مدارها  
العاطفة والعشق ، وشعرهم خلا من المرح ، والمدح، و له طابع فريد بهذا  
. وهاموا في الفيافي والقفار ، وواجهوا أخطار الليل والوحوش والبيداء  
ليقيسوا إيمانهم بمقدار ما يختلج في أفئدتهم من هلع وجزع وثبات  
واطمئنان .

قال أبو الحسين النوري :

عذب فلم يبق قلب

يقول للسقم مهلا

وقد يذهب أحدهم ضحية لهذه الرحلة الشاقة الغامضة كما حدث لأبي  
تراب النخشي إذ نهبته السباع في البادية .

### 6- الخلوة والذكر :

أقرب الرياضات إلى الصوفي وأحبها إليه ، لأنها تتيح له مواجهة نفسه ،  
وتنقيها حتى تصفو وتنجلي ، ومرتبطان :  
بالوحدة أي الانفراد في التعبد .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

يقول الشبلي : " الزم الصحبة ، وامح اسمك من القوم ، واستقبل الجدار حتى تموت في سبيل الوحدة والتفرد " .

الصحبة :

الصحبة لها آداب وشروط " الشيخ والمريدون " ، وظهرت مجالس للأصحاب ، وحلقات السماع الصوفي .

يقول ذو النون المصري :

فلا عيش إلا مع رجال قلوبهم

تحنّ إلى التقوى وترتاح الذكر

سكون إلى روح اليقين وطيبه

كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر

الذكر :

هو ترديد ألفاظ ، كاسم الله ، أو الصلاة ، أو قراءة القرآن .

واختلف صوفية القرن الثالث ، في كتمان الحب أو الإفصاح عنه ،

واختلف قصاد هذه المجالس في تأثرهم عند السماع .

قال منصور بن عمار :

" تكلمت في مجلس فيه صحبة من المتصوفة ، فأما سفيان بن عيينه فقد

تغرغرت عيناه ثم نشفتا ، وأما عبد الله بن مبارك فسالت دموعه ، أما

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الفضيل فانتحب ، فقلت لسفيان : يا أبا محمد ما منعك أن يجيء منك ما جاء من صاحبيك ؟ قال : هذا أكمد للحزن ، فإن الدمعة إذا خرجت استراح القلب " .

وانتشر القوالون ، والمنشدون ، في مجالس السماع ، وكانت هذه المجالس مجالاً رائعاً للفن والأدب ، وعبروا بالرقص أيضاً عن وجدهم حين يملؤهم الطرب ، قال يحيى بن معاذ :

دققنا الأرض بالرقص      على غيب معانيكا  
و لا عيب على رقص      لعبد هائم فيكا  
و هذا دقنا للأرض      إذا طفنا بوادিকা  
وبهذا يدنوا الصوفية من أرباب الفنون ، والقلوب ، والأذواق .

## المذاقات

التصوف يفوق التدين والتفلسف في تخليص القلب لهذا الحب ، والحب والفناء في الحبوب ، والتجربة الصوفية تذيب الفواصل التي تغلف الخافيات وترتبط البحوث بين كلمتي : السريات أو التصوف والغموض .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

وفي المذاقات يبدأ العبد مرحلة جديدة في رحلة السفر إلى ربه لتذويب الإرادة الإنسانية في الإرادة الإلهية حتى ينعم بمذاقات الحب وآية الصوفي أن يحيا ، بين الوجد والفقد ، والصحو والحو .

يقول ابن عربي :

يا رب جوهر علم لو أبوح به

لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا

يقول ابن معاذ :

إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره

وإن رمتُ قرباً من حبيبي تقربا

أبي الحب أن يخفى وكم قد كتتمته

فأصبح عندي قد أناخ وأطنبا

و يبدو فأفنى ثم أحيا به له

ويسعدني حتناألد وأطربا

وتقسم المذاقات في التصوف إلى : الحب ، الفناء ، المعرفة.

### 1- الحب :

مرحلة المنادمة والمسامرة والمنجاة ، حين تزدحم التهاويل والصور

والرؤى فيصل الحب في سكره الصوفي إلى منطقة المعرفة. ويقول الحسن

البصري في المعرفة : " من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها " .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وحملوا كلمات الحب الشحنات النفسية : كالوجد ، والفقد ،  
والأنس ، والتغريد ، والرهبة ، والوله .

وتتميز اللفظة في شعرهم : بالحيوية ، والشفافية ، والصدق، ورهافة الحس ،  
ورقة الذوق ، وشفافية الوجدان . والدليل على رهافة الحس تلك النوبات  
التي تصيهم إذا ترامى إلى أسماعهم حديث الحب .

ويبدو أنهم مروا بتجربة الحب الإنساني قبل أن يدخلوا منطقة الحب  
الإلهي فتركوا ميراثاً في الغزل ينم عن تجربة كاملة للحب .  
وهكذا نجد أن الصوفية أعادت الحب إلى النشأة الأولى من خلق  
الكون.

فالحب : حركة دافعة أخرجت الكون من العدم .  
والحب وسيلة لكشف المعرفة العظمى ، وأسرار الوجود .  
ويعبر أبو يزيد البسطامي عن الحب بالغرس والجرح :  
غرست الحب غرساً في فؤادي

فلا أسلو إلى يوم التنادي

جرحت القلب مني باتصال

فشوقي زائد و الحب بادي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وقال :

سقاني شربة أحيا فؤادي

بكأس الحب من بحر الوداد

أما الشبلي فيقول :

جرى حبك في قلبي

كجري الماء في العود

والحلاج ينشد :

أنت بين الشفاف و القلب تجري

مثل جري الدموع من أجفاني

جبلت روحك في روحي كما

يجبل العنبر بالمسك الفتق

وسمنون ينشد :

يا معطشي بوصال أنت واهبه

هل فيك واحة إن صمّت يا

عطشي

و إبراهيم الخواص :

برح الجفاء في التلاقي راحة

هل يشتفي خل بغير خليله؟

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

و الشبلي :

رآني فأوردني عجائب لطفه

فمت وقلبي بالفراق يذوب

فلا غائب عني فأسلو بذكره

و لا هو عني معرض فأغيب

والحب محاط دائماً بين الإفصاح والكتمان ، وإحاطة الحب بالسرية

أدعى إلى استمراره ، لأن المحبين وحدهم يحملون عذابه وضمناه .

هذا في الحب الإنساني ، أما في الحب الإلهي فهو أخلق بالكتمان ،

لأن العبد إذا ناء بحب خالقه لمن شكواه ؟ . .

لا تفشي على أحد ما تحب أن يكون ستوراً منك ، وخوف الحب من

أذى البشر إذا وقفوا على سر حبه ،

فيقول الشبلي :

صح عند الناس إنني عاشق

غير أن لم يعلموا عشقي لمن ؟

وأبو حمزة يقول :

نهائي حيائي منك أن اكشف الهوى

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وأغنيتني بالقرب منك عن

الكشف

و الجنيد يقول :

معذبٌ عارف له فطنٌ

من نور أنس الحبيب يقتبس

النقاء :

لقد جرد الحب قلوب هؤلاء الأصفياء من طمع الثواب ، وخوف

العقاب ، تقول رابعة :

" الهى أغرقني في حبك ، حتى لا يشغلني عنك شيء . الهى اجعل الجنة

لأحبائك ، والنار لأعدائك ، أما أنا فحسبي أنت " .

وتقول :

كأسي وخمري و النديم ثلاثة

وأنا المشوقة في المحبة رابعة

فإذا نظرت فلا أرى إلا له

وإذا حضرت فلا أرى إلا معه

ويقول ذو النون المصري :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أموت و ما ماتت إليك صبابتي

ولا قضيت عن وردحبك أوطاري

مناي كل المنى أنت لي المنى

وأنت الغنكل الغنى عند افتقاري

ويقول الشبلي :

" سميت الحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب " .

المبادلة :

وهي أجمل مذاقات الحب ، وتشمل : الطواع واللوامع (اصطلاحان

صوفيان) .

الطواع : نور التوحيد يطلع على قلوب أهل المعرفة ، ويطمس سائر

الأنوار .

اللوامع : وهي تثبت من أنوار التجلي .

ويتم حب متبادل بين الرب و المحبوب فيتحد به ، ويشعر بالاستغراق في

ذات الله ، يقول النوري :

إذا تغيبتُ بدا

وإن بدا غيبيني

ويقول ذو النون :

قد وجدت لي سكنا

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ليس في هواه عنا

إن بعدت قريني

أو قربت منه دنا

### الملازمة :

يدوم العبد ، العب من كأس العشق حتى تتكون لديه طاقة ذاتية  
لينجذب إلى الحضرة الإلهية ، وأحل الصوفية الهجر والوصال محل " الجنة  
والنار " ، فأصبح لفظ عذاب هو " احتمال الضنى في الحب " .

يقول ذو النون :

إذا ذكرتك و في مقلتي أرق

من أول الليل حتى مطلع الفلق

و ما تطابقت الأجفان عن سنة

إلا ورأيتك بين الجفن والحدق

وينشد أبو عبد الله المغربي :

يا من يعد الوصال ذنباً

كيف اعتذاري و لي ذنوب

إن كان ذنبي إليك حبي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

فإني منه لا أتوب

و يقول الحلاج :

أرجو لنفسي براءاً من محبتكم

إذا ابتزأت من سمعي و من بصري

و لا همت بشرب الماء من عطش

إلا ورأيت خيالاً منك في الكأس

نفحات من التراث الغزلي :

سمنون :

أحن بأطراف النهار صبابة

وفي الليل يدعوني الهوى

فأجيب

وأيامنا تفنى و شوق زائد

كأن زمان الشوق ليس يغيب

الجنيد :

و ما تنفست إلا كنت مع نفسي

تجري بك الروح مني في مجاريها

وقيل :

إذا كان حب الهائمين في الورى



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

بليلى و سعدى يسلب اللب و

العقلا

فماذا عسان يصنع الهائم الذي

سرى قلبه شوقاً إلى العالم

الأعلى

واين الفارض :

من لم يبت و الحب حشو فؤاده

لم يدر كيف تفتت الأكباد

أما الشبلي :

وعينك : قال الله كونا فكانتا

فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

ورابعة العدوية :

أحبك حبين : حب الهوى

و حباً لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى

فشغلني بذكرك عن سواكا

و أما الذي أنت أهل له

فكشف الحجب حتى أراكا

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

### 2- الفناء :

يقرن الفناء في التوحيد بالبقاء ، وهو أن تثبت إهية الحق تعالى في قلبك  
وتنفي سواه ، فتجمع بين النفي والإثبات .

وهذا البيت الشعري قتل رجلاً صوفياً هو أبو الفتح الأعور :

يا بديع الدل و الغنج

لك سلطان على المهج

وجهك المأمول حجتند

يوم يأتي الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره ، وغمي عليه ثم سقط فحركوه فوجدوه قد

مات .

وقال عتبة الغلام :

إن تعذبني فأنا لك محب

وإن ترحمني فأنا لك محب

ويحدثنا تاريخ " ابن العربي " أنه قد أولع بجمال فتاة حجازية ولعاً نفذ به

من خلال جمال المخلوق إلى جمال الخالق ، أو من الحسن إلى الجمال المطلق

ويقسم الفناء إلى :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

### السكر :

وتسبق حالة السكر الغيبة ، وهي حالة وسطى بين الحب والفناء، فتطرب الروح ، ويهيم القلب .

ويكون السكر لأهل المواجيد بخمر الجمال على مائدة العشق الإلهي . ففيه نشوة مذاق ، ونشوة اجتلاء .

يقول الشبلي :

ذكر المحبة يا مولاي أسكرني

و هل رأيت محباً غير سكران

ويقول الجنيد :

قد كان يطربني وجدي فأقعدني

عن رؤية الوجد مَنْ في الوجد موجود

أما الحلاج فيقول :

فلما أراني الوجد أنك حاضري

شهدتك موجوداً في كل مكان

ويقول الجنيد أيضاً :

لي سكرتان وللندمان واحدة

شيء خصصت به من بينهم وحدي

سكران سكر هوى و سكر مدامة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

فمتى يضيق فتى به سُكران

أما يحيى بن معاذ :

" سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته "

ذو النون المصري :

" إن الله يسقي محبيه من كأس محبته "

الشطح :

هو حركة أسرار الواجدین إذا قوى وجدهم . ويعبرون عنه بعبارات

يستغرب مسامعها .

يقول الشبلي :

أنا والحلاج شيئاً واحداً

إلا أنه أظهر و كتمت

و ابن عربي :

يا رب جوهر علم لو أبوح به

لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

زوال الحجب :

ترتقي العبادة في ولها حتى لا تفي بما يحمله القلوب ، فتغلغل إلى

جواهر الطقوس ، يقول الجنيد :

قالت النار : يا رب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء أشد مني؟ .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

قال : نعم كنت أسلط عليك ناري الكبرى .

قالت : وهل نار أعظم مني وأشد ؟ .

قال : نعم . . نار محبتي ، أسكنها قلوب أوليائي المؤمنين .

أما الحلاج ينشد :

مكانك من قلبي هو القلب كله

فليس الخلق في مكانك موضع

و حطتك روحي بين جلدي وعظمي

فكيف تراني إن فقدتك أصنع

ويقول يحيى بن معاذ :

مثقال خردلة من الحب أحب إلي من سبعين سنة عبادة بلا حب .

أما رابعة فتقول : لا أريد الكعبة ، بل أريد رب الكعبة .

وجردوا الزمن من النسبية ، فقد سئل أبو يزيد البسطامي كيف

أصبحت . ؟ . . قال : لاصباح ولا مساء ، إنما الصباح والمساء لمن تأخذه

الصفة و أنا لاصفة لي والأحلام لديهم لا تخضع لقيود وحدود التي يخضع

لها الوعي لأنها مباشرة تتصل بالعالم العلوي ، وتصبح أنقى وأصفى .

يقول شاه الكرمانى :

رأيت سرور قلبي في منامي

فأحببت النفس و المناما

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

غلبة الشهود :

يقول الحديث القدسي :

" لم تسعني أرضي وسمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن " . الاستغراق في هذه التجربة جعلهم يتكلمون في غيبية الوعي ، لأنهم تجاوزوا منطقة الشعور ودخلوا في غيبوبة اللاشعور مع الفنان في أودية الإلهام والطاقة الروحية الخلاقة المتدفقة على على مائدة العشق الإلهي دون عشر أو سؤال وهم في دائرة الضوء المتوهجة " .

يقول الحلاج :

" رأيت ربي بعين قلبي فقلت له من أنت ؟ قال : أنت ! . "

وقال :

مزجت روحي في روحك كما

تمزج الحمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسني

فإذا أنت أنا في كل حال

دق رجل على أي يزيد داره فقال له : من تطلب ؟ . فقال : أطلب أبا

يزيد . فقال : مر " ويحك " ليس في الدار غير الله .

و أنشد :

وده

و ودي

ودي

وده

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

عشقه عشقي  
عشقي عشقه  
حبه حبي  
حبي حبه

سأل الشبلي سائل : ما لي أراك قلقاً ، أليس هو معك و أنت معه؟  
قال: لو كنت أنا معه كنت أنا ، ولكني محو فيما هو .  
والمصوفية علم بأخفى الخافيات . فقيل :

لو دبت نملة سوداء ، على صخرة صماء ، في ليلة ظلماء ، ولم أشعر  
بها أو لم أعلم بما لقلت : إنه ممكور بي ، وهو محق ، وأنا محق .

### 3- المعرفة :

المعرفة هي غاية الغايات ، ومعرفة الواصلين بعد هذه الرحلة الشاقة ،  
ولكن هل للقلب قدرة على أن يستغني عن العقل في خطوات هذه الرحلة  
الطويلة ؟.

قيل : إن القلب لا يخطيء أبداً ، وما عداه حلم زائل . .  
وقد امتلأت قلوب المتصوفة بالحب السامي الحقيقي فشعروا أن ملاذهم  
في الحب في حياة أخرى .

و يؤكد ابن القيم على امتياز القلب فيقول :  
في القلب قوة العلم ، وقوة الإرادة والحب ، فكماله باستعماله قوة  
العلم في إدراك الحق ، واستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ولهذا تتهدد شواهد المعرفة إذا حصل النأي والهجران ، لأن الامتلاء التام يحصل من المعرفة التامة . و شعور الصوفية بوجود الخالق و شهوده يرخي عليهم الطمأنينة ، و يجعل الحب حالة ضرورية إذا قيس كقيمة للعمل الإنساني و ذلك بفضل الله . و الله عند الواصلين حاضر و قريب ، دان بعيد ، هاجر واصل ، هو كل الكل .

يقول الخلاج :

لي حبيب أزوره في الخلوات

حاضر غائب عن اللحظات

حاضر غائب قريب بعيد

و هو لم تحوهِ رسوم الصفات

هو أدنى من الضمير إلى الو

هم وأخفى من لائح الخطرات

ويقول الجنيد :

و لما أراني الوجد أنك حاضري

شهدتك موجوداً بكل مكان

حاضر في القلب يعمره

لست أنساه لأذكره

ويقول ذو النون :

" تحبظ أهل الفلسفة ، بينما مشى المحبون له في طريق الضياء " .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

و أنشد :

ليلى بوجهك مشرق

و ظلامه في الناس ساري

والناس في سدف الظلا

م و نحن في ضوء النهار

### خاتمة التراث الخالد

يقول القديس اغناطيوس :

إن ساعة تأمل واحدة ، قد علمتني حقائق كثيرة تتعلق بالأشياء  
السماوية أكثر مما أفادتني تعاليم رجال الدين جميعاً .

يقول الجنيد :

فناجك لساني

وتحققتك في السر

وافترقنا لمعاني

فاجتمعنا لمعان

يم عن لحظ عياني

إن يكن غيبك التعظ

من الأحشاء داني

فلقد صيرك الوجد

وهكذا نجد أن الحب جوهر التصوف و لحمته وسدته ، وهذا الحب

الإلهي جعلهم يحبوا الناس به للتطلع إلى الجمال المطلق .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فيقول الحلاج :

و أي أرض تخلو منك حتى

تعالوا يطلبونك في السماء

تراهم ينظرون إليك جهراً

وهم لا يبصرون من العماء

وأثبت الصوفية أنهم قادرون على التصدي للمشاكل التي أثارها أهل  
الجدل والفقهاء والعلماء والفلاسفة .

و أثبت أن الشعر مادة صالحة لدراسة التصوف ، و وسيلة للتعبير لم  
تميز من لغة الإيجاء ، والرمز ، والغموض .

يقول الحلاج :

و إني لراض بما يرضيك من تلفي

يا قاتلي ، و لما تختار أختار

ويقول أبو حمزة :

و تحيي محباً أنت في الحب حتفه

و ذا عجب كون الحياة مع الحنف

و امتاز القرن الثالث بأهميته في تاريخ التصوف ، وتأثير الثقافة اليونانية،  
والهندية ، والفارسية . و ورثوا عن العقائد القديمة كاليهودية ، والنصرانية ،  
والجوسية ، والدهرية ، والمناوية ، والغنوصية .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ولا شك أن هذه العقائد ، وهذا التأثير من الثقافات المختلفة أنتج ثقافة إنسانية ممتازة لأن الفكر الشرقي ممتد وشاهق ، والفكر اليوناني عميق وامتسع .

والباحث " هارتمان " ادعى أن خراسان و كردستان هما المهد الأول للتصوف والتوحيد أنصع فكرة في المعرفة الصوفية وهو ثمرة المجهودات والمذاقات والمواجيد . وفي سبيل هذا التوحيد تعرض الصوفية للتعذيب والصلب . ولم ينته القرن الثالث حتى كان الصوفية قد خلقوا تراثاً رائعاً للتصوف في جانبه العملي والنظري.

وأورثت هذه الفلسفة الصوفية الأجيال المتعاقبة إحساساً بأن المعرفة الصوفية لله تعالى . .

وأوجدت فيما بعد ابن عربي ، السهروردي ، النسيمي ، ابن الفارض . أما عمر الخيام ، والشيرازي ، فقد مزجا الخمرة الإلهية بالخمرة الأرضية . ووجه المحبوب السماوي بوجه المحبوب الأرضي . والحانة مجاورة للمسجد .

وكانت غابة الشعر الصوفي إلهية ، وغاية الشعر العام بشرية ، ولكي نتذوق أدبهم علينا أن نتصور تجربتهم ، وبهذا نغفر لهم شطحهم و نتفهم غموضهم .

وهذه هي النقطة الهامة في التصوف ورسالتهم رسالة وجد ومحبة.وتقول

رابعة :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

حبيب ليس يعد له حبيب

و لا لسواه في قلبي نصيب

حبيب غاب عن بصري و شخصي

و لكن في فؤادي ما يغيب

ولبعض المتصوفة :

ليس في القلب و الفؤاد جميعاً

موضع فارغ يراه الحبيب

هو سؤلي ومنيتي و حبيبي

و به ما حبيت عيشي يطيب

وإذا ما السقام حل بقلبي

لم أجد غيره لسقمي طيب

وقيل :

تكلم منا في الوجود عيوننا

فنحن سكوت و الهوى يتكلم

طفح السرور علي حتى أنني

من عظم ما قد سرنى أبكاني

## بعض ما روي عنهم

قال الرسول : هل فيكم من ينشدنا ؟ . . فقال بدوي نعم وأنشد :  
قد لسعت حية الهوى كبدي

فلا طيب لها و لا راقبي

إلا الحبيب الذي شغفت به

فعنده رقيتي و ترياقني

فتواجد الرسول والأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه . فقال  
معاوية : ما أحسن لهوكم يا رسول الله . فقال الرسول : يا معاوية ، ليس  
بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

دخل رجل على الرسول وعنده قوم يقرءون القرآن ، وقوم ينشدون الشعر . فقال : يا رسول الله قرآن وشعر ؟ . فقال : من هذا مرة ، ومن هذا مرة .

والنابغة الجعداني كان ينشد الشعر عند الرسول فيقول له : أحسنت يا أبا ليلى . وعاش أكثر من مئة عام ، وكان أحسن الناس شعراً وكان الرسول يضع له منبراً في المسجد يهجو الذين يهجون الرسول . ويقال : أن بعض المتصوفة يتقلب على النار عند السماع و لا يحس بها لأنه في حالة وجد . وأن البعض عند السماع أخذ شمعة فجعلها في عينيه . فقال أحدهم : انظر . . فرأيت ناراً ونوراً يخرج من عينيه يرد نار الشمعة . وأن البعض عند السماع يمشي على الماء والبعض يرتفع من الأرض في الهواء .

المريد هو الذي مات قلبه عن كل شيء دون الله فيريد الله وحده . ويريد قربه ويشتاق إليه .

لهذا لم تكن مفردات الغزل والخمرة والطبيعة وحدها هي المعبرة عن أفكارهم وأحاسيسهم ، إنما كانت أيضاً موروثات من الحكايا والأساطير وقصص الحب ورموز الديانات الأخرى .

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل

وعدت إلى مصحوب أول منزل

ونادتنى الأشواق مهلاً فهذه

منازل من تهوى رويدك ما نزل

## معنى الأربعون

خصت الأربعين بالذكر في قول الرسول :

من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه وعلى

لسانه.

خص الله تعالى الأربعين في الذكر في قصة موسى عليه السلام . . أمر

الله موسى أن يقوم ثلاثين يوماً فلما تمت الثلاثون ليلة أنكر خلوف فمه

فتسوك بعود خرنوب فقالت له الملائكة : " كنا نشم فيك رائحة المسك

فأفسدته بالسواك " . فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام ، ولم يك صوم

موسى ترك الطعام بالنهار وأكله بالليل ، بل طوى الأربعين من غير أكل .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الله تعالى من التراب كون آدم وأربعين صباحاً خمر طينته . فالعبد عليه  
أن يزهّد في الدنيا ، ويتجافى عن دار الغرور إلى دار الخلود ولا يظفر  
بالحكمة إلا بعد الأربعين .  
داؤود عليه السلام لما ابتلى بالخطيئة خر لله ساجداً أربعين يوماً وليلة  
حتى أتاه الغفران من ربه .  
وقوت الخلوّة لمدة أربعين يوماً أن يقنع بالخبز والملح .  
المريد : الذي مات قلبه عن كل شيء دون الله . فيريد الله وحده .  
ويريد قربه ويشتاق إليه .

## الحلاج

يقول المؤرخ الفرنسي مونيو :

إن التاريخ هو ذاكرة البشرية ولكنها ذاكرة قد تضعف أحياناً ، وقد  
تصطنع الضعف أحياناً . ولقد كانت تلك الذاكرة أضعف ما تكون وهي  
تقدم تاريخ الحلاج ، ورسالة الحلاج .  
وعرفت جميع اللغات حياة الحلاج ومأساته ، وامتألت حقائب التاريخ  
العالمي بألوان من الأساطير حول فلسفته الروحية ، رغم أن الكثير تحاشى



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

هذه المأساة وسرها تحت ظلال صيحات الرعب والهول من العباسيين ، حتى أن السراج الطوسي معاصر الحلاج وأكبر المؤرخين للحياة الروحية أهلها و تجاهلها . رغم أنه يستشهد في كتابه اللمع بكلمات الحلاج دون ذكر اسمه . وكذلك كتب طبقات الصوفية .

ويقول المستشرق ماسنيون :

كان الحلاج يحرك الجماهير ، ويبشر بفكرة الحكومة المثالية الربانية التي تقيم الشريعة على نفحات المحبة وعبادة الله . وهي سر مأساة الحلاج الكبرى .

وفي بقعة من بلاد فارس تسمى " تور " في ضحى العصر الذهبي

للتصوف ولد : الحسين بن منصور الحلاج عام 244هـجري (

858ميلادي) ، فهو فارسي الأصل والمولد ، جده مجوسياً ، والده من

عمال النسيج لهذا سمي حلاجاً وأطلق عليه حلاج الأسرار لأنه

يكشف بما في القلوب . ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة " واسط " مركز

الإشعاع الفكري الروحي ، فنشأ في جو علمي حر ، ولفت إليه الأنظار

بذكائه المتوثب اللماح ونهل من ينابيع العلم والمعرفة ، ومن كلمات شبابه :

" حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك و

الاتصاف بأوصافه" . وتتلذذ على شيخ التصوف " عمر المكي " ومن

يده تلقى خرقة الصوفية وعاش حياتهم ثم رحل إلى بغداد فصحب الجنيد،

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

سيد الطائفة ، والتقى بصديق عمره ، الشبلي ، ثم استقل بنفسه وأخذ يسلك الطريق وحده ، وابتدع لنفسه طريقاً حلاجياً ، واتصلت روحه بربه اتصالاً عرف معراج الحلاج .

عاش في مكة عاماً كاملاً في صمت مطلق ، ولم يجتاز من الشمس و لا من المطر ، ويحمل إليه كل عشية كوز ماء ، وقرص من أقراص مكة ، وكان عند الصباح يرى القرص على رأس الكوز وقد عض منه ثلاث عضات فيحمل من عنده . وعاش حياته القاسية عاماً كاملاً ، وحين خرج من عزلته تلقاه أتباعه فترجم أمره بجملة قصيرة : " لو ألقى بما في قلبي ، ذرة على الجبال لذابت " وكان الحلاج باهر الشخصية ، ساحر الكلمة ، محبباً إلى القلوب، فتنت به الجماهير ، ونسبت إليه العجائب حتى غدت ضرباً خارقاً لقدرة الإنسان .

وتنقل بين الأهواز ومكة والسند وكشمير والهند و الصين ويفكر في

هداية الإنسانية كلها : وكانوا يلقبونه بالمغيث .

وبلغ من شأنه أنه كان يخرج الأطعمة من غير وقتها ، وينثر الدراهم في

الهواء ، و يعرف الكيمياء والطب ، ثم يعود إلى بغداد ليشتمل فيها وليحترق في أتونها . وعاش صوفيته في كل لفظ قاله ، وكل خاطر مر به حتى لقب بمسيح الإسلام .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

والتصوف عنده سفر تفتى فيه الصفات البشرية في الصفات الإلهية :  
فناء ، طاعة ، حب ، وجد ، ذوق ، شوق .

من أقواله :

" إن القلب الذي يعرف الحب لا يموت " .

" الحب لذة لا يعرفها إلا الصفوة من المحبين " .

كان ينشد المعرفة ليحظى بفيض إلهي ، والصوم والصلاة ليست طرقاً  
موصلة إلى الله بذاتها ، إنما الحب الذي يحرق شهواتنا ونزواتنا يوصلنا إلى  
الله.

أصبحت بغداد في عصره عاصمة الدنيا ، تنبج وتعب من كل لذة ،  
وتبتدع ألوانا من التفكير لا تعرف القيود والحدود . والخليفة المقتدر رقيق  
ركيك أحب جارية حسناء أسلمها الدولة وهو يلهو في قصره . وكذلك  
والدته ( شغب ) التي أحالته إلى العوبة في يدها .

من قلب هذه الحياة المتداعية تجلت شخصية الحلاج بما تملك من قوى  
خارقة أسطورية ، فأحاطت به الأحقاد والخصومات حين بدأ هجومه على  
الخلافة و الوزراء ويتحدث في رسائله عن الحرية الفردية والمثالية الخلقية  
والحقوق الاجتماعية .

وكذلك كثر الصراع بين الشبلي والحلاج ، وتنبأ الحلاج بأن الشبلي  
سوف يمضي على قتله وتحققت نبؤته .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وقد أمت علة بالخليفة المقتدر وجاء الحلاج فوضع يده على الموضوع وقرأ عليه فزال العلة . فأحدث دويماً في القصر ، وأصبح له مكاناً مرموقاً في قصر الخليفة . ففقد خصوم الحلاج أعصابهم ، وبدأت أكبر حملة تزييف في التاريخ تنتهم الحلاج بالإلحاد ، والحلول، والاتحاد . وجمعوا الشهود الزور وبدأت محاكمة الحلاج ومأساته ، وسجن في دار الخليفة ووجد في السجن طمأنينة وهدوء وانصرف إلى العبادة ووضع أخلد كتبه " طاسين الأول " وغدا سجنه مدرسة ومنتدى . ويروى أنه كان مع " أحمد بن فاتك " يوم " اليوم النبوز " فسمع البوق فقال الحلاج : أي شيء هذا ؟ فقال له أحمد : يوم النبوز . فتأوه وقال : متى تنورز ؟ . فقال له : ماذا تعني ؟ قال : يوم أصلب . فلما كان صلبه بعد ثلاثة عشرة سنة نظر إليه من رأس الجذع وقال : يا أحمد نورزنا . ورأى أن يأتم بالمسيح الذي بذل دمه قرباناً لله ولغسل ذنوب البشر فقال :

على دين الصليب يكون موتي      و لا البطحا أريد ولا المدينة  
واستمرت حياته في السجن ثمان سنوات استطاع الحلاج رغم سجنه أن  
يوجه الأحداث في بغداد و يحرك تاريخها .

وقال :

إن شمس النهار تغرب بالليل      و شمس القلوب ليس تغيب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وبتأمر الوزير " حامد " استطاع أن يمنح من الخليفة تفويضاً بمحاكمة الحلاج ، وقيد من كعبه إلى ركبته بثلاثة عشر قيداً ، ومع ذلك بقي يصلي كل ليلة ألف ركعة . وكانت محاكمته بأعجب حادث في تاريخ القضاء ، وكادت قضية الحلاج أن تحدث انهياراً في الحكم العباسي وتحفز الحنابلة ، والصوفية ، والشيعية ، وأنصاره للتمرد والانقضاض على الخلافة العاجزة الممزقة .

ولكن بالغدر والتآمر أبيض دم الحلاج وفي ليلة مصرعه كان يناجي ربه بمواجيد قلبه وألحان حبه :

عجبت منك ومني يا منية التمني  
أدنيني منك حتى ظننت أنك أني  
و غبت في الوجد حتى أفنينني بك عني

ثم صلى ركعتين وهو يناجي ربه : إني أحتضر ، أقتل ، أصلب ، أحترق ، وأحمل على المسافات . ثم أخذ يترنم ويرقص وهو في حالة من النشوة العارمة :

يا نسيم الريح قولي للرشا

لم يزدني الورد إلا عطشا

لي حبيب حبه وسط الحشا

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

لو يشا يمشي على خدي مشى

روحه روحي ، وروحي روجه

إن يشا شئت ، وإن شئت يشا

ثم شهدت بغداد أكبر حشد عرفه التاريخ على ضفاف دجلة ، والحلاج واقف في أغلاله وقيوده شامخاً جليلاً . وحين تقدم للصلب قال :  
" يا معين الفناء علي ، أعني على الفناء " .

ولما رأى الخشبة والمسامير ضحك كثيراً حتى دمعت عيناه ، ثم التفت إلى القوم فرأى " الشبلي " فقال له : يا أبا بكر ، هل معك سجادتك ؟ .  
فقال: بلى يا شيخ . قال : افرشها لي . ففرشها . فصلى الحلاج عليها ركعتين وقال :

" ركعتان في العشق لا يصح وضؤوهما إلا بالدم " ثم هشم

أنفه وسال الدم على شبيهه فصاح الشبلي ومزق ثوبه ، وغشي على جماعة من الصوفية ، وكادت الفتنة تهيج ، ففعل الجنود والحراس ما فعلوا . ثم ضرب ألف سوط ، وأخذ الحلاج يتواجد ويتبختر في مشيته وفي قدميه ثلاثة عشر قبدأً وراح في ثمل روحي عميق ينشد :  
نديمي غير منسوب

إلشيء من الحيف

دعاني ثم حياني

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

فعل الضيف بالضيف

ثم قطعت يده اليمنى ، ثم اليسرى . وأخذ وجهه في الاصفرار لكثرة ما  
نرف شال بذراعه على وجهه فخضبه بالدم حتى يخفي اصفراره و ترمم :  
وحرمة الود الذي لم يكن

يطمع في إفساده الدهر

ما نالني عند هجوم البلا

بأمس ولا مسني الضر

ما قُدد لي عضو ولا مفصل

إلا وفيه لكم ذكر

وتطائر نشيده إلى الجماهير فهاجت وماجت . أغمي على النساء ،  
وأسرع الجند إلى السياط ، وتتابعت مشاهد العذاب من جلد و صفع ،  
وطلب من الجمهور أن يرموا الحلاج ، ثم جيء بالشبلي و أرغموه على  
رجمه فرماه بوردة ثم بكى فقال الحلاج : "إن الوردة التي ألقاها  
الحبيب آلمتنا" . ثم قطعت رجلاه وتمزق الجسد بين قطرات الدماء وهو

في نشوة روحية وابتهالانه تردد :

يا لائمي في هواه كم تلوم فلو

عرفت منه الذي عنيت لم تلم

للناس حج ولي حج إلى سكني

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

تهدى الأضحاحي وأهدي مهجتي

ودمي

ثم تقدم الوزير " حامد " وأمر بقطع رأس الحلاج ، ثم لف جسده في بارية وصب عليه النفط وأحرق ، ونصب رأسه يومين على الجسر ببغداد وأحرق . وأخذته أم الخليفة فحنطته وعطرته وأبقته في خزانها عاماً كاملاً . ثم أرسل إلى خراسان .

يوم مصرع الحلاج ومأساته هو نقطة الانطلاق في حياته وسر خلوده التاريخي .

له أكثر من 49 مؤلفاً ، لم يبق منها إلا كتاب " الطواسين " الذي هرب من السجن عن طريق أحد أصدقائه . وانطلق خيال بغداد ليضفي على البطل الشهيد نسيجاً أسطورياً من أنسجة القداسة والخلود . وتلاميذ الحلاج يكونون جماعات روحية حلاجية تتدارس تعاليمه ، وتحافظ على تراثه. وابنه عبد الصمد أسس " الطريقة الحلاجية " .

وفي تركيا والسند طائفة من القوالين والموسيقيين يطوفون البلاد ويغنون:

سلوا العاشقين عن شروط العشق

وإن لم تصدقوا فسلوا من مثل المنصور

وفي العراق لا يزال قبر الحلاج الخالي من رفاته . ويزوره أعداد من مختلف البلاد ويضعون على قبره شموعاً ونقوداً . وامتألت حقائب التاريخ



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الصوفي بالحديث عن عجائب الحلاج و خوارقه . وأضاف إلى المعرفة الصوفية قوله بوحدة الأديان التي تؤدي إلى حقيقة واحدة . وأصبح الحلاج الملهم الأكبر لمواجيد الشعراء وأحانهم وأغانيتهم في الأفق الصوفي . واعتبرته الفرق الصوفية مثلاً للصوفي الفاني في الله . والمزمارة الرئيسي في الحفلات الروحية عند المولوية يدعى باسم " ناي المنصور " . ويقول الحلاج: " العشق صفة من صفات الذات الإلهية ، كالعلم والقدرة والحياة ، وهو جوهر العلاقة بين الخالق والمخلوق " .

وكتب الشاعر الفارسي " حافظ الشيرازي " :

لن يموت أبداً من يعيش قلبه من العشق.

والحلاج يفهمه القلب أكثر مما يحيط به العقل . ومحي الدين ابن عربي

يقول :

" الحلاج ما مات ، ولكن البيت خرب ، والسكان ارتحل "

عاش الحلاج بالحب وللحب فهو قوته الروحية ، وملهب أشواقه ،

مبدع مواجيدته . ومفتاح شخصية الحلاج " حبه الإلهي " وهو معرجه

الذي صعد عليه ليفنى في المحبوب الأعلى فالحب هو التصوف ،

والتصوف هو الحب .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وقد اعتنق الصوفية جميعاً هذه النظرية والتي جعلت الحب والحب وحده المعراج الموصل لمعرفة الله .  
ونجح الحلاج في " الحب " هو العذاب ، هو التضحية التي هي أسمى درجات الحب .  
لذا صريح الحلاج الشهيد لا يضم رفاتاً ، لأن الكون هو الذي ضم رفاتة .

وصورة الموت يجسدها بقوله :

اقتلوني يا ثقاتي	إن في قتلي مماتي
و مماتي في حياتي	و حياتي في مماتي
ثم مروا برفاتي	في القبور الدارسات
تجدوا سر حبيبي	في طوايا الباقيات

\* \* \*

## مشاهد روحية و مواجيدہ

يقال أن أخته كانت جميلة ، وتحتقر الرجال ، ولا تحتجب منهم ،  
وتقول:

" الحلاج نفسه نصف رجل لإفشائه ، الأسرار الإلهية ، فكيف يبقي  
الرجال " .

كان يخرج فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ،  
ويتكلم في ضمائر الناس ، وله القدرة في شفاء المرضى .  
يقال أن مياه دجلة زادت في تلك السنة فقبل بسبب إلقاء رماده فيها .  
بعد الحلاج ثالث ثلاثة أحبهم قوم فكفروا بحبهم ، وأبغضهم قوم فكفروا  
ببغضهم . الاثنان الآخران : عيسى بن مريم ، وعلي بن أبي طالب .  
حين حبس حبساً انفرادياً زاره الصوفية ثلاث ليال سوياً.. ففي الأولى  
افتقدوه فلم يجدوه ، وفي الثانية وجدوه ولو يروا السجن ، وفي الثالثة غاب  
هو والسجن عن عيائهم .

ويقال أن الحلاج رسم على حائط السجن صورة مركب وأمر المسجونين  
أن يركبوا ويذكروا اسم الله ، فلما فعلوا غابوا عن الحبس ، ونجوا جميعاً .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وجملة " على دين الصليب يكون موتي " ، مراده أنه يموت على دين نفسه  
فهو الصليب .

وجملته " أنا الحق " أي فناء الذات الإنسانية في ذات الله .  
كتب فوق صليب الحلاج بيت شعر لجلال الدين الرومي :

مادام القلم في أيدي الغدرة

فلا جرم أن يصلب الحلاج

قول فارسي :

إن العالم صورة ومعناها العاشق ، وليس في الدار غيره ديار  
من أقوال الحلاج :

العشق نارٌ نورٍ أول نار ، وكانت في الأزل تتلون بكل لون ، وتبدو بكل  
صفة وتلتهب ذاتها بذاتها ، وتشعشع صفاتها بصفاتها .

أما كلمات الشطح :

أنا الحق ، ما في الجبة إلا الله .

الطواسين :

من قال عرفته بفقدني ، فالمفقود كيف يعرف الموجود ، ومن قال عرفته  
حين جهلته ، فالجهل حجاب ، والمعرفة وراء الحجاب لا حقيقة لها .

من مواجيدته :

أفنيتهني بك عني

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

عجبت منك مني

وقففتني في مكان

حسبت أنك أني

ألقاه في اليم مكتوفاً و قال له :

إياك إياك أن تبتل بالماء

إن كنت لست معي فالذكر منك معي

يرعاك قلبي و إن غبت عن بصري

العين تبصر من تهوى وتفقدته

وناظر القلب لا يخلو من النظر

أما و الذي لو شاء لم يخلق النوى

لئن غبت عن عيني كما غبت عن

قلبي

ترنيك عين الذكر حتى كأنما

أناجيك عن قرب وإن لم تكن قربي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

كتبت ولم أكتب إليك ، وإنما

كتبتُ إلى روعي بغير كتاب

ألفت الضنى لما تطاول مكثه

فلو زال عن جسمي كبتة الجوارح

ولذ سهاد الليل عندي وإنه

لمر ، وطاب الدفع لي وهو مالح

أنا من أهوى و من أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته

وإذا أبصرته أبصرتنا

مزجت روحك في روعي

كما تمزج الحمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسني

فإذا أنت أنا في كل حال

## الحب الإلهي

الحب هو التصوف ، والتصوف هو الحب . وعرف التصوف

بكلمات :

الزهد ، التسامي ، العبادة . ولكنها لم تعبر عن المنهج الصوفي الحقيقي

فالتصوف في جوهره الصلة الدائمة بالله . والصوفي مسافر في طريق

روحي نحو ملكوت السماء ، بعيداً عن الأرض . وذليله ومعراجه هو حبه

لربه ذلك الحب الذي يحرق فيه كل ما هو تراي ليبقي كل ما هو روعي ،

رباني .

وقد جعل الصوفية من هذا الحب فلسفة تحيط بكل شيء في الكون ،

وتمسح وجه الكون المادي لتحويله إلى روح عابدة مسبحة . لأنها بالحب

خلقت ، وبالحب قامت ، وبالحب تسبح وتهتف .

يقول جلال الدين الرومي :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الحب دواء كبريائنا ، و غرورنا بأنفسنا ، والطيب لضعفنا . وعلى قدر محبة الصوفي لربه ، تكون محبته لعباده ، وكونه بكل ما ينطوي عليه .  
ويقول الصوفية :

الحب سكر المشاهدة ، والأصل الأصيل للتحقق الخلقى ، والإدراك الروحي ، والتخلي عن كل ما يضمن به الناس لوجه المحبوب ، دون تفكير في جزاء .

والحب الإلهي هو المصدر الحقيقي والسبيل إلى المعرفة العليا ، فإذا فנית النفس بالحب انكشفت لها الأسرار ، والحب الحقيقي ليس شرعة عامة للناس ، إنما هو هبة الله للصفوة المختارة .

قيل لمعروف الكرخي : أخبرنا عن المحبة أي شيء هي ؟ . . قال :  
ليس المحبة من تعليم الناس المحبة من تعليم الحبيب .

ويقول أبو يزيد البسطامي :

توهمت إني أذكره ، وأعرفه ، وأحبه ، وأطلبه ، فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرني ، ومعرفته سبقت معرفتي ، ومحبته أقدم من محبتي . وطلبه لي أولاً حتى طلبته .

ويقول الإمام الغزالي :



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

إن الله تعالى شراباً يسقيه في الليل قلوب أحبائه ، فإذا شربوا طارت قلوبهم في الملكوت الأعلى ، حباً بالله ، وشوقاً إليه .

ويقول جلال الدين الرومي عن الحب :

هو الكحل الذي تكتحل به عين القلب فينجلي بصرها .

ويقول فريد الدين العطار :

ما لم أتجه بقلبي إليك ، أعد صلاتي غير جديرة بأن تعد صلاة .

ويقول السهروردي :

فإذا نظر العاشق المسكين إلى نفسه لا يبصر بعد شيئاً . إذا وجدته مملوء

بهذا النور ، هناك يصبح بمثل عبارة الحلاج الوجدانية : أنا الحق .

ويرى المستشرق ماسنيون :

أن الحلاج هو الشخصية الكاملة التي تمثل أسمى ما وصل إليه الحب

الإلهي .

وأيضاً قيل :

الحلاج هو المبتكر الأول للمصطلحات الصوفية ، وهو الذي جعل

الحب الإلهي فلسفة وكل من جاء بعده ينسج على منواله وظهوره بدء

مرحلة جديدة في التصوف الإسلامي نثره وشعره ، خاصة في الحب الإلهي .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وليس هناك من متصوف أكثر عشرة مع الله يتصل في حديثه معه، أنا ، أنت ، نحن .

وينتهي الحب الإلهي بالصوفية إلى مقام الفناء ، فغنوا في محبوبهم الأعلى . وبالفناء يفقد الصوفية عالم الناس ليعيشوا في عالم آخر ، عالم الجمال المطلق ، واخير المطلق ، والحق المطلق .

يقول الحلاج :

" الحبة لذة ، والحق لا يتلذذ به ، لأن مواضع الحقيقة دهش وحيرة " .

" من أسكرته أنوار التوحيد ، حجبتة عن عبارة التجريد . بل من

أسكرته أنوار التجريد ، نطق عن حقائق التوحيد . لأن السكران هو الذي ينطق بكل مكتوم " . والحلاج لا يكتف حبه :

الحب ما دام مكتوماً على خطر

وغاية الأمن أن تدنو من الحذر

وأطيب الحب ما تم الحديث به

كالنار لم تؤتِ نفعاً و هي في الحجر

أرجو لنفسي بُرءاً من محبتكم

إذا ابتأت من سمعي ومن بصري

وهو قلق في حبه :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ما زلت أطفو في بحار الهوى  
يرفعني الموح وأعطُ  
حتى إذا صيرني في الهوى  
إلى مكان ما له شط  
ناديت يا من لم أبح باسمه  
ولم أخنه في الهوى قط  
تقيك نفسي السوء من حاكم  
ما كان هذا بيننا شرط

والحلاج في حبه يخاطب محبوبه الأسمى :  
وليلة الهجران طالت وإن قصرت  
فمؤنسي أمني فيها و تذكر  
إني لراض بما يرضيك من تلفي  
يا قاتلي و لما تختار أختار  
حب الحلاج هو دينه وديناه ، إنه حب قلب أبصر فعشق فاحترق :  
أشعلت في كبدي نارين واحدة  
بين الضلوع و أخرى بين أحشائي  
ويقول مترثماً :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

و لا همت لشرب الماء من عطشٍ

إلرايت خيالاًمنك في الماء

النار أبرد من ثلج على كبدي

والسيف ألين من هجران مولائي

### رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي

رابعة فريدة في معاملتها مع الله . إنها ذات الحذر الخاص المتقدمة بنار

العشق والاشتياق الفانية في الوصول .

في الليلة التي ولدت فيها لم يكن في بيت أهلها شيء حتى قطرة من سمن

يدهنوا بها موضع خلاصها ، ويقال أن والدها كان يعمل على مركب ويعدو

به من ضفة إلى أخرى وحين توفي عملت مكانه ولقبت عدوية ويقال أيضاً

أنها من آل عتيك بنو عدوة لهذا سميت عدوية وكنيتها أم الخير . وكان

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

لها ثلاث أخوات فسميت رابعة ونشأت رابعة بين تدين وحرمان وعفافة منطوية على نفسها لا تأكل إلا قليلاً . وكلما حفظت سورة من القرآن الكريم وتلتها أمام أبيها يتساقط دمع على خديه . وحين توفي والديها ذاقت طعم اليتيم ، وتشردت رابعة وأخواتها بعد أن انتشرت المجاعة في البصرة ، وباتت أياماً طاوية منطوية على نفسها ، فقد فقدت أخواتها البائسات وبقيت وحيدة تنادي ربها . وتبعها لص وهربت منه مستجيرة ثم وقعت على الأرض فأدركها الغاصب وجرها كالسبايا وباعها لتاجر بثمن بخس .

وأضناها هذا الرق وسيدها غليظ القلب لم يرحم صباها وحزنها . وحين تخلو إلى نفسها تصلي باكية : " الهي ، إني يتيمة معذبة ، أرسف في قيود الرق ، وأنوء بالقهر والضيم ، لكن همي الكبير هو أن أعرف أراضٍ أنت عني أم غير راضٍ ؟ . . . " . ورآها سيدها من خوخة الباب ساجدة تصلي وشاهد قنديلاً فوق رأسها بدون سلسلة والنور يملأ البيت كله فدعاها إليه ومنحها حريتها .

ولا ندري أين حطت رابعة هل بقيت في البصرة ؟ هل انطلقت إلى الكوفة ؟ أم انحدرت إلى البادية وديار الشام ؟ هذا بقي في ضمير التاريخ والنصوص لم تسعف فيه . هذا الانطلاق من الأسر والرق غير مجرى حياتها وانطلقت إلى حياة الغيد المتحررات ، وضمته ليال عاطرة زاهرة ، وربما كانت تنتقم من شدة التزمت والكبت في حياتها المتغيرة الحائرة . وهذه الفترة من حياتها مبهمة وغامضة ، والاحتمالات كثيرة ربما تزوجت وشقيت ،

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أو أحببت فخابت ، أو أصيبت بمحاذة ما ، فكانت هذه الانتفاضة الروحية التي بدلت حياتها ودخلت فجأة في سلك الزاهدين وهي في عنفوان العمر . لقد أوتيت رابعة وعياً مبكراً ، وذكاء متوقداً ، واتخذت طريق الحب للاستيلاء على الألوهية ، واتخذت مهنة العزف على الناي لتسعى إلى رزقها فلم تجد غير حرفة العزف والإطراب . هذه المهنة في ذلك العصر لم تنجحها من ألوان الإغراء لذلك ربما قطعت شوطاً كبيراً في بحر الشهوات إبان محنة صراع الدنيا والدنيا داخل نفسها ، وغشيت مجلس الحسن البصري والتقت برياح القيسي الصوفي الكبير ، وحملها على اطراح حياتها اللاهية بعد أن توسم منها ميلاً إلى الحياة الطاهرة ، وقامت بينهما صلة قوية وحدثت التوبة عند رابعة .

قال لها رجل : إني أكثر من الذنوب والمعاصي فلو تبت هل يتوب علي ؟ . . فقالت : لا . . بل لو تاب عليك لتبت .

وكانت تملك ملكة شعرية كامنة فيها وانبثقت حين اشتغلت بالعزف

والغناء . وأنشدت :

أنت روح الفؤاد أنت رجائي

أنت لي مؤنس وشوقك زادي

والطابع الحسي مختلطاً عليها وكأنه يتجه إلى شخص هي تلاحقه تحت ستار الترحل لكسب العيش بالعزف مع ذكرى هذا الحبيب وكأنها تتحدث عن حبها لله . وحين حدثت خيبة الأمل في الحب والناس أصبحت تشكو

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

إلى الله فقالت : " الهي ، أنارت النجوم ، ونامت العيون ، وخلا كل حبيب بحبيبه . هذا مقامي بين يديك " . وكانت تقوم الليل كله تصلي ويتحسر الشوق في قشعريرة القلب وهي قلقة موزعة بين الدنيا والآخرة . وإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر . وحين تغفو تثب من مرقدها وهي فزعة وتقول : يا نفس ! كم تنامين ؟ حتى ماتت . وكان قيامها الليل إما مفردة أو مع أصحابها وبيروي الحسن البصري :

بقيت يوم وليلة عند رابعة نتحدث عن الطريق وأسرار الحق بجمرة حتى نسينا أنني رجل وأنا امرأة . فلما فرغنا من الحديث شعرت أنني لم أكن إلا فقيراً بينما هي غنية في الإخلاص . وأقامت في صومعة بيتها في البصرة بعيداً عن الحي اللاهي الذي هجرته قانعة بما يسد الرمق ، ويستتر الجسم . ففي سرها وجهرها وصلاتها وتسييحها تنشد رضى الله . أما الأداة للتواجد فهي " استذكار الموت " وعلقت أكفانها على مشجب تتأمله على الدوام . وفيه تستدعي البكاء مبتهلة مصلية وكانوا يجدون محل سجودها كالماء مستنقع من كثرة البكاء . وكان عصرها عصر البكائين مثل " رياح القيسي " الذي كان إذا دخل المسجد بكى ، وإذا دخل بيته بكى ، وإذا دخل المقبرة بكى . وكذلك " عبد العزيز الراسبي " الذي يصرخ كالثكالى لإفراطه في البكاء والصراخ والفرع من الموت . أما " بملول بن ذؤيب " ارتدى الشعر الحشن وقيده يديه خلف ظهره بسلاسل من حديد ولجأ إلى جبل

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

بضواحي المدينة رافعاً رأسه إلى السماء مستغيثاً بالله . و " بهلول أبو لبابة " الذي قيد جسمه بعمود في مسجد المدينة تعذبه الندامة على ذنوبه .  
ومنهم من اعتصم بالصمت ، ومنهم من انقطع إلى الصلاة في المسجد لا يغادره ، ومنهم من سلك طريق الحج مشاة حفاة . ويقال أن " إبراهيم بن أدهم " مضى أربعين عاماً وهو يجتاز الصحراء حتى بلغ الكعبة .  
وأحدهم يطوف حول الكعبة مقوداً كالجمل بحلقة من أنفه تعذيباً لنفسه وجسمه . حتى " أبو نواس " لم يخل شعره من لمحات زهدية في بيته المشهور :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق  
ولما سمع هذا البيت زعيم الزهد " أبو العتاهية " أسف على ما صنع من الشعر وهو لم يكن من الزهاد في صدر حياته ، وصار زاهداً متعبداً .  
أما رابعة طوقها هذا المذهب بفنونه وأبت الزواج . وحين رأت " رياح القيسي " يقبل طفلاً ويضمه إليه ، غابت عنها عاطفة الأمومة وقالت له :  
" ما كنت أحس أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيره ، تبارك اسمه " . فأغمي على رياح من فرط التأثر وحين أفاق من إغمائه جعل يمسح عرقه ويقول :  
" رحمة منه تعالى بالإنسان ، ألقاها في القلوب لتعطف على الأطفال " .  
ومرحلة التكوين بدأت بالتهجد ، قيام الليل ، تأمل الموت .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

أما مرحلة التنقل فقد صار الحج عندها وسيلة للتقرب إلى الله ورويت عنها في هذا العهد حوادث وحكايات أشبه بالأساطير تتجلى فيها كرامات رابعة .منها :

لما غدت إلى الحج في قافلة كان معها حمار يحمل متاعها وفي أثناء الطريق نفق الحمار وأبت أن ترافق القافلة وجلست قرب حمارها تدعو الله وترجو رحمته وما كادت تتم الدعاء حتى عادت الحياة إلى الحمار فانطلقت في الصحراء تريد اللحاق بالقافلة ، وبقيت سبعة أعوام حتى بلغت الكعبة . ومن أقوالها :

" لا أريد الكعبة بل رب الكعبة ، أما الكعبة فماذا أفعل بما ؟ إنها الصنم المعبود في الأرض ما ولج الله و لا خلا منه " .

فهي تريد وجه الله وحده بقلبها وبصيرتها . وكانت لرابعة أدعية تفيض باللوعة والشوق والتوسل فهتفت :

" الهي إذا كنت أعبدك خوفاً من النار فأحرقني بالجحيم ، وإذا كنت أعبدك طمعاً في الجنة فاحرمني منها ، أما إذا كنت أعبدك من أجلك فحسب ، فلا تحرمي يا الهي وجهك الكريم " .

وسئلت عن الجنة ، فأجابت : " الجار قبل الدار " . وسئلت أتخبين الرسول ؟ قالت : " إني والله أحبه ، لكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوق " . وقيل لها : يا رابعة أنت في ميدان المحبة رائعة ، فكيف كانت صورة الواقعة حتى سُميت رابعة . فأنشدت :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

كأسي و خمري و النديم : ثلاثة وأنا المشوقة في المحبة رابعة  
فإذا نظرت فلا أرى إلا له و إذا حضرت فلا أرى إلا معه  
كم بت من حُرقي وفرط تعلقي أجرى عيوناً من عيوني الدامعة  
كأس المسرة والنعيم يديرها ساقى المدام على المدى متتابعة  
إنما نذرت رابعة نفسها لله ، وحببها الوحيد هو الله . وهذا هو الجديد  
في مذهب رابعة " التجرد والعزوبية " . ولم يتكلم في " الحب والمحبة " الإلهية  
قبل رابعة أحداً .

فهي التي ابتدعت هذا المعنى في التصوف الإسلامي وتقول رابعة :  
إني جعلتك في الفؤاد محدثي

وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس

وحيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ويروي السراج : أن ذو النون بينما كان يسير في الصحراء بصر بجارية  
عليها أطمار شعر وهي ناحلة ذابلة فسلم عليها فقالت : مرحباً ، حياك  
الله. فقال لها : ما حملك على الدخول في هذا الموضع؟ قالت : ألم تكن  
أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ! فقال لها : صفي لي المحبة ! فقالت : سبحان  
الله أنت عارف بما وتتكلم بلسان المعرفة و تسألني عنها. فقال لها: للسائل  
حق الجواب .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فأنشدت:

أحبك حبين: حب الهوى

وحباً لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى

فذكرتُ شغلت به عن سواكا

وأما الذي أنت أهل له

فكشفت لي الحجب حتى أراكا

وتنشد :

يا حبيب القلب ما لي سواكا

فارحم اليوم مذنباً قد اتكاكا

يا رجائي و راحتي وسروري

قد أبي القلب أن يجيب سواكا

فهي تقول بثنائية الحب " حب المذكور ، وحب الذكر " . أي : حب الله في نفسه الحب الذي هو أهل له . وحب الله لنعمه وهو حب فيه متعة شخصية . ويقول المناوي " في كتاب طبقات الأولياء " :

سمعت رابعة قارئاً يقرأ : " إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون "

(سورة يس) . وكلمة " فاكهون " معناها يفتضون الأبقار . وهنا امتعض

ضمير رابعة من هذا المعنى الشهواني وهي التي ارتفع عندها معنى الجنة إلى

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أعلى درجات الروحية . فتطورت الحياة الروحية عند رابعة بالتسامي عن كل ما هو حسي و واكب استغراقها الكامل في الله تعالى .

و يذكر أن رابعة كانت في الصلاة ، فدخلت قطعة قصب في عينيها فلم تشعر بها حتى إذا انصرفت من الصلاة . فهي في حال الفناء في الوجود الخارجي و ذلك بالفناء في الوجود المطلق وهي التي يشير إليها الصوفية بالرمز بحكاية صواحب يوسف عليه السلام اللواتي قطعن أيديهن لفناء أوصافهن . فالصوفي عليه أن يكون في حال فئانه عن دنيا الحواس .

في ذات يوم رأى جماعة رابعة وفي إحدى يديها نار ، وفي الأخرى ماء ، وهي تعدو مسرعة . فسألوها : إلى أين ذاهبة ؟ أجابت : أنا ذاهبة إلى السماء لألقي بالنار في الجنة ، وأصب الماء على الجحيم فلا تبقى هذه ولا تلك ، حتى ينظر العباد إلى الله دون رجاء ولا خوف . فسألوها : وأنت لم تعبدن الله ؟ أجابت : أعبدته لذاته ، لأنه أمرني بعبادته .

وينسب إليها جملة من الكرامات منها :

أن اللصوص لا يستطيعون سرقة منها لأن الله يحرسها وهي تهديهم إلى الإيمان .

الحيوان والطيور يألفها بحيث كانت الغزلان وهي النفور من الإنسان تقبل عليها وتمسح بها . وحرمت على نفسها أكل الحيوان وما يخرج منه .

و من قولها النادر في مقام الخلعة :

وخللت مسلك الروح مني

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وبه سُمي الخليل خليلاً

فإذا نطقت كنت حديثي

وإذا ما سكت كنت الغليلاً

سئلت رابعة : متى يكون العبد راضياً ؟ فقالت : إذا سرته المصيبة كما

سرته النعمة . وكان لرابعة أحوال شتى ، فمرة يغلب عليها الحب ، ومرة  
الأنس ، ومرة الخوف .

في حال الحب :

حبيب ليس يُعد له حبيب

و لا لسواه في قلبي نصيب

حبيب غاب عن بصري وشخصي

و لكن في فؤادي ما يغيب

في حال الأنس :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي

وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس

وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

في حال الخوف :

وزادي قليل ما أراه مُبلغني

أ للزاد أبكي أم ل طول لساني

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أتحرقني بالنار يا غاية المنى

فأين رجائي فيك أين مخافتي

وكانت رابعة شديدة الخوف فإذا سمعت ذكر النار أغمي عليها . وكان

الحسن إذا لم يرها في المجلس حاضرة ترك المجلس .

وأرسلت رابعة إلى " الحسن البصري " ثلاثة أشياء ، قطعة شمع ، وإبرة ،

وشعرة ، وأمرت رسولها أن يقول له : يا حسن ! اشتعل كالشمع وأضيء

للناس ، وابدأ بأن تكون متجرداً واعمل ، فإن فعلت هذين صرت نحيلاً

كالشعرة إذا أردت ألا يذهب جهدك سدى.

وحين حضرتها الوفاة دعت خادمتها " عبدة " وقالت : لا تخبري بموتي

أحداً ، وكفني في جبتي وفي خمار الصوف . وحين تجمع حولها نفر من

صحابها ومريديها قالت لهم : دعوا الطريق مفتوحة فقد دنت منيتي ،

فانصرفوا محزونين ووقفوا ببابها يرهفون السمع نحوها ، وحين فاضت روحها

سالت مدامعهم حزناً عليها .

واختلف المؤرخون عن موقع قبرها ، فريق قال في البصرة ، وفريق آخر

قال في القدس على رأس جبل طور زيتا . ووفاتها 130 هجرية .

وارحمتا للعاشقين قلوبهم

في تيه ميدان المحبة هائمة

قامت قيامة عشقهم فنفوسهم

أبدأ على قدم التدل قائمة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

إما إلى جنات وصل دائم

أو نار صد للقلوب ملازمة

سئلت رابعة : كيف رأيت المحبة ؟ قالت : ليس للمحب وحببيه بين ،  
كيف تصف شيئاً أنت في حضرته غائب ، و بوجوده ذائب ، و بصحوك  
منه سكران ، و بفراغك منه ملآن ، و بسرورك له ولهان، فالحبة بدولتها  
الصارمة في القلوب حاكمة .

فراعبة العدوية التي ابتدعت الحب الإلهي في مذهب التصوف نجد  
ذكراها خالدة بين المنتصوفين العارفين .

أبو يزيد البسطامي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

هو طيفور بن عيسى بن شروشان ، و شروشان كان مجوسياً فأسلم ، وقد كثر اسم طيفور في قبيلته وقومه . ويقال كان في محلة بويدان مسجد صغير فبنى صومعة يأويها ويسكنها . وكان يعمل عند جعفر بن صادق و سقى له سنتين فلقب بطيفور السقا .

وأمه كانت غريبة بين النساء ، بالتواضع والحياء والشرف والعفاف ، ولما تزوجها والده لم يباشرها وبلادها أربعين ليلة حتى علم أنه لم يبق في جوفها أثر ما أكلته من قبل في بيت والدها .  
ويقول أبو يزيد : " الهى لا تجعلني عالماً وزاهداً و لا متقرباً ، إنما أهلني لشيء من أسرارك ومعانيك " .

قالوا له : إن شهادة لا إله إلا الله مفتاح الجنة . قال : صدقوا ، ولكن لا يفتح المفتاح بغير مغلاق ، ومغلاق لا إله إلا الله أربعة أشياء :

1. لسان بغير كذب ولا غيبة .
2. قلب بغير مكر ولا خيانة .
3. بطن بغير حرام ولا شبهة .
4. عمل بغير هدى ولا بدعة .

وقال رأيت رب العزة في المنام فقال لي : كل الناس يطلبون مني .. غير أنك تطلبي .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ويقول : جاء سيل عشقه فأحرق الماء دويني . وأنشد :

أشار سري إليك حتى

فنيث عني ودمت أنت

محوت اسمي ورسم جسمي

سألت عني فقلت أنت

فأنت تسلو خيال عيني

فحيثما درت كنت أنت

وقال : الجنة اثنتان : جنة النعيم وجنة المعرفة . فجنة المعرفة أبدية

وجنة النعيم مؤقتة .

وقال : لا حظ لها عند المحبين . وأهل المحبة لمحجون لمحبتهم .

وروى :

نمت في البادية على وجهي لا آكل ولا أشرب ولا أنام، فمررت بدير

فيه راهبة ، فقلت لها : ها هنا مكان طاهر أصلي ، فقالت : طهر قلبك

، وصل حيث شئت .

ويقول :

عجبت لمن يقول ذكرت ربي

وهل أنسى فاذاكر ما نسيت

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

شربت الحب كأساً بعد كأس

فما نفذ الشراب ولا رويت

وأنشد :

قالت لطيف خيال زارها و مضى

بالله صفه و لا تنقص ولا تزد

فقال : خلفته لو مات من عطش

وقلت:قف عن ورود الماء لم يرد

قالت : صدقت ، الرفا في الحب عادته

يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

وقال :

أهل الحج يطوفون حول البيت فيطلبون البقاء ، وأهل الحبة يطوفون

حول العرش و يطلبون اللقاء . وأنشد :

غرست الحب غرساً في فؤادي

فلا أسلو إلى يوم التنادي

جرحت القلب مني باتصال

فشوق زائد و الحب بادي

سقاني شربة أحيا فؤادي

بكأس الحب من بحر الوداد

فلو لا الله يحفظ عارفيه

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

لهام العارفون بكل وادي

وحكي عن أبي يزيد البسطامي :

بينما هو واقف على جبل عرفات إذ قالت له نفسه : من مثلك يا أبا  
يزيد حججت خمساً وأربعين حجة ، وقرأت عشرة آلاف ختمة. فنأدى في  
الحال : من يشتري مني خمسة وأربعين حجة برغيف خبز . فقال رجل : أنا.  
فأخذ الرغيف منه وألقاه إلى كلب جائع .

لقد نفي سبع سنوات ، وخصومه ينادون بقتله ، وفتن قوم آخر  
بمواجيده وأحانه . وفهم أبو يزيد الألوهية على أنها استغراق كامل  
للوجود بأسره ، وعاش في الحب والنور ، وعرف السر ففني في معانيه  
وإلهاماته . وفي إشراقه ونوره .

وتوفي سنة إحدى وستين بعد المائتين ببسطام وقبره ظاهر يزار بها وكان  
له يوم مات ثلاث وسبعون سنة .

وقال أبو يزيد قبل موته : الهي ما ذكرتك إلا عن غفلة ، وما خدمت  
إلا عن فترة . وكان شعاره الحب ، ولا أصابت يده بالأذى إنساناً ولا  
حيواناً ولا نباتاً . ومن أقواله :

" جزت بجرأً وقف الأنبياء بساحله "

وتحدث أبو يزيد البسطامي عن الفناء بلهجة الشطح متأثراً بالثقافة

الهندية .

## الجنيد

كان الجنيد إمام عصره ، يهدي الناس إلى الصراط الحميد ، ويقوم في مسجد بغداد الأكبر . وقد بكى من خشية ربه حتى ذهب جفونه ، وبكى بقلبه حتى يسمع منه الأنين . ويستغرق في حبه لربه وفنائه في حاله حتى تأخذه الغاشية . وكان يلقب بسيد أهل التصوف . ومجالسه في بغداد جامعة وكل عشاق الأدب يحضرون مجالسه . وكان الجنيد يؤمن أن التصوف قوة عليا لا يرقى إليها إلا الصفة . وعبر عن التصوف بكلمة واحدة هي جماع الخلق .

دخل عليه الشبلي متواجداً فقال الجنيد : إن كنت ترى نفسك في حضرة الله فهذا سوء أدب ، وإن كنت خارجها فيماذا ظفرت حتى تتواجد؟ فهتف الشبلي التوبة يا إمام .

ويروى أن إبليس يوماً ارتدى ثوب خادم ، وعرض عليه خدماته دون أجر ، وتقبله الجنيد تقبلاً حسناً ، وبقي يخدمه عشر سنين ليلتمس الفرصة إلى قلبه ، ثم ينس وتلمس مخرجاً وقال للجنيد: أنا إبليس نشدت منك

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

غفلة فأعجزتني . قال الجنيد : عرفتك من اللحظة الأولى ، إنما استخدمتك  
عقوبة لك .

وقال أبو العباس الطوسي : مررت على الجنيد في بعض الدروب فإذا  
مغن يغني ويقول :  
منازل كنت تهواها وتألّفها

أيام أنت " على الأيام " منصور  
فبكى الجنيد بكاء شديداً ثم قال : يا أبا العباس ما أطيب منازل الألفة  
والأنس ، وأوحش مقامات المخالفات . ولا أزل أحن إلى بدء إرادتي ،  
وحدة سمعي ، وركوبي الأهوال ، طمعاً في الوصول ، وها أنا أتلهف على  
أوقاتي الماضية . وأنشد :  
مذكان لي مشرب يصفو برؤيتكم

فكدرته يد الأيام حين صفا

ومن أقواله :

" إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم ، وابدأه بالرفق ، فإن العلم يوحشه  
، والرفق يؤنسه " .

" مشى رجال باليقين على الماء ، ومن مات على العطش أفضل منهم  
يقيناً " .

" أنا والحلاج في شيء واحد ، خلصني جنوبي وأهلكه عقله " .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ويغضب يوماً شاعر الخليفة فيحرضه على الجنيد ويدعوه إلى سجنه ويوسوس له بإراقة دمه . فيطرق الخليفة رأسه ويقول في مرارة : لقد سحر الجنيد أهل بغداد ، فمن لي بجيش يقاتل أتباع الجنيد .

بكى الجنيد وأخذه وجد الحنين حتى إذا أصبح تلمسه الناس فإذا به في وجد يهزه هزاً ، وإذا بالوجد يفيض عليه إشراقه ، وعرف أحد صحبه أنه في النزاع الأخير ، ويلقنه أحدهم شهادة التوحيد فيفتح عينيه ويقول : " والله ما نسيتته منذ عرف لساني النطق " . وإذا بشيء رهيب يحدث لقد صعدت روحه إلى ربما ، ويقسم أصحابه أنهم سمعوا التوحيد يدوي في سماء الحجرة بعد موته .

والجنيد وقف موقفاً خطيراً في تاريخ التصوف لأنه أراد أن يوفق بين الحقيقة والشريعة واستحق لقب سيد الطائفة .

وكان يلبس لباس الفقهاء لا الصوفية فلما سئل قال :

" إنما الاعتبار بالحرقة ، وليس الاعتبار بالحرقة "

كما أنه لم يفتح صدره للحلاج ، ولم يمنحه حسن الاستقبال . لأن

ظاهر شطحاته يثير الرأي العام على التصوف .

ويقول الجنيد : " لا تصبح الحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر: يا

أنا " .

وينشد :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

إذا شئت أن أدعوه ناديت : يا أنا

وإن يدعني ، نادى جميعي بيا إني

### أبو بكر الشبلي

اسمه دُلْفُ ، خراساني الأصل ، بغداداي المولد ، مولده سامراء ، وقد عاش سبع وثمانين عاماً توفي 334هجرية ، دفن في مقبرة الخيزران ، وقبره ظاهر اليوم .

كان الشبلي أميراً فأعلن توبته ، وكان عالماً فقيهاً وصاحب الجنيد، والتقى بالحلاج في سجنه ، وقال :

" ليس من احتجب بالخلق ، كما احتجب بالحق "

ويعرف التصوف بأنه التآلف والتعاطف وضبط الحواس . وتوغل في

الحب والمعرفة وقال :

" أهل الحق طائفة إليه بأجنحة المعرفة ، ومستبشرة إليه بموالاة المحبة".

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وحب الشبلي و مواكبته مسيرة الحب كانت تولد في داخله الرغبة لأن يعيشها الآخرون ، فكان يحرض الناس على سكرة "الحب الإلهي" فقال : ما أحوج الناس إلى سكرة . فسأله الرازي : وأية سكرة ؟ قال : سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم و أفعالهم وأمواهم ، وهي سكرة الفناء الذاتي المطلق بالله المطلق .

وقيل للشبلي : نراك جسيماً بديناً ، والمحبة تضني . فقال : أحب قلبي وما درى بدني ولو درى ما أقام في السمن  
سئل مرة : متى تستريح ؟ فأجاب : إذا لم أرى له ذاكراً غيري . وسأله شاب قائلاً : يا أبا بكر ، لم تقول " الله " ولا تقول " لا إله إلا الله " .  
فأجاب : استحي أن أوجه إليه إثباتاً بعد نفي .

تناول من يد إنسان كسرة خبز فأكلها ثم قال : إن نفسي هي تطلب مني كسرة خبز ولو نفت سري إلى العرش والكرسي لأحترق .  
ونسى في إحدى المرات وهو في تواجده موعد الصلاة فنبهه إليه الحاضرين فقال :

فلا أدري غداً من عشاتي

وأنشد :

ذكرتك لأنني نسيتك لمحة

و أيسر ما في الذكر ذكر لساني



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

و كدت بلا وجد أموت من الهوى

وهام عدل القلب بالحفقان

فلما رأني الوجد أنك حاضري

شهدتك موجوداً بكل مكان

قال له رجل : إلى ماذا تستريح قلوب العاشقين ؟ أجابه : إلى سرور من

اشتاقوا إليه . وإذا أعجبه بعض ثيابه سارع إلى قذفها في التنور وإحراقها ،

وإذا ما احتج عليه من حوله قائلاً : هلا تصدقت بهذه الثياب بدلاً من

إحراقها . أجاب : سأشغل قلبي فهو سيشغل قلب غيري .

وقال : " ولم اسكن الأرض التي تسكنوها ، لكيلا يقولوا : إنني بك

مولع . أحبك الخلق لنعمائك . . وأنا أحبك لبلائك " .

وقال : ليس يدري ما بقلبي سواه . فقليل له : آه من أي شيء ؟ فقال

: من كل شيء . وأنشد :

قال سلطان حُبه

أنا لا أقبل الرشد

فسلوه فديته لم

قتلي تحرشا ؟ !

والشلي كان يراوح بين الشطح وبين الاتحاد بالمستحيل ، وسيطر عليه

الغزل الصوفي مرموزاً له بالأثني . فينشد :

تحسيني حياً ، و إنني لميت

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وبعضي من المهجرات يبكي علبعض

لقد فضلت ليلى على الناس كالتى

علئالف شهر فضلت ليلة القدر

فيا حبها زدني جرى كل ليلة

وياسلوة الأيام موعدك الحشر

ولقاه الحلاج كان نقطة التحول الكبير والانعطاف الهام في مسيرة حياته الروحية ، لأنه رأى فيه المبشر بالبهاء الإلهي . والشبلي حضر مأساة الحلاج وكان مذهولاً به دهشاً ، وألقى عليه وردة ليرجمه .

حجب شطحه بحجاب الجنون مما أبعده عن السقوط في شباك الاتهام .

وقال : استشهاد الحلاج درة من الجمال المحرم يجب إخفاؤها ، وليس زاد خلود يوزع على الجميع . وقال : " أنا والحلاج شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهر وكتمت " . وهو يريد أن يتمرد ويثور كالحلاج ، ولكن اتبع أسلوب المداراة وإعلان التوبة . وهو أول أصحاب الشطحات الذي قال بضرورة

كتمان : الأسرار الإلهية ، ثم أقره من بعده السهروردي بقوله :

بالسر إن أباحوا تباح دماؤهم

وكذا دماء العاشقين تباح

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

وسئل خادم الشبلي : ماذا رأيت عند موته ؟ فقال : لما أمسك لسانه ، وعرق جبينه ، أشار إلي أن وضعتي للصلاة ، فوضأته ، فنسيت تحليل لحيته فقبض على يدي ، وأدخل أصابعي في لحيته يخللها .

## ذو النون المصري

على الضفاف العليا للنيل ، وفي بقعة عرفت باسم النوبة ، نشأ "ثوبان بن إبراهيم " ، وعلمته الصحراء التأمل والتفكير في أسرار الكون ، وفي تكوين رجل التعبد الإلهي الذي عرفه التاريخ باسم ذو النون المصري .  
ومن قراءاته في كتاب الكون قال :

كنت ذات يوم في الصحراء أتأمل الجبال الصم ، وأسأل نفسي عن الحياة وأسرارها فإذا بقنبرة عمياء قد سقطت من عشها فعجبت لأمرها ،

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وكيف يرزق الطير الأعمى فإذا بالأرض تنشق فيخرج منها إناءان في أحدهما سمسم ، وفي الثاني ماء ، فجعلت تأكل من الأول وتشرب من الثاني، فقلت : سبحان الله الذي يطعم الطير الأعمى ، ولم يتركه يشفى .

وقال :

كنت يوماً على شاطئ النيل فرأيت عقرباً فأردت قتلها فهربت ، فركبت على ظهر ضفدعة فقامت بها حتى وصلت إلى الجانب الآخر فنزلت عن ظهرها ، وإذا برجل نائم وهو سكران وثمان قد أقبل ليلدغه فأسرعت العقرب نحو الثعبان فلدغته فتقطع . فأيقظت الرجل مذعوراً فأخبرته فأطرق ، ثم قال : يا رب هذه حكمتك ورحمتك مع من عصاك ، فكيف بمن أطاعك ؟ . وتناول ذو النون قيثاره العبادة وأخذ يسمع الدنيا أروع تساييح الإيمان ، مهاجراً ، متأملاً ، في كتاب الكون .

هبط ليلاً مدينة فسمع صوتاً فقال : ما هذا ؟ قالوا : عرس . ثم سمع بجانبه بكاء و نواحاً فقال : ما هذا ؟ قيل : فلان مات . فقال : أعطى هؤلاء فما شكروا ، وابتلى هؤلاء فما صبروا .

واتخذ ذو النون المحبة غاية وهدفاً ، وطال بذوي النون التطواف

والتجوال ثم عاد إلى مصر ليستمع الناس أحيان الإيمان ، ويبشر بدين المحبة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ولكنه أتم بالزندقة ورفع أمره إلى الخليفة ببغداد ، فحمل إليه مغلولاً مقيداً ، وهم الخليفة بإعدامه ، فابتسم ذو النون وابتهل إلى ربه ثم قال : إن من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور في أربع زوايا البيت ويرجع مكانه . وبين الرعب والذهول دار السرير بالخليفة وتطايير الحاضرون وهتف الخليفة: إذا كان هذا زنديقاً فما في الدنيا مسلم .

ودوى اسم ذي النون ، وأقبلت عليه الدنيا طائعة ، ففر منها ولم ينخدع بها ، ونسبت إليه الكثير من الخوارق و الكرامات .

وذو النون كان يملك قوى روحية أخرى هي قوة السلب والوجد في صوته ، وللصوت البشري أسرار وأسرار ، يسلب العقول بالغناء والمواجيد. ولما احتضر قيل له ما تشتهي ، قال : أن أعرفه قبل موتي . ثم هتف : لا تشغلوني . وهتف من فراشه صوت : " ولسوف يعطيك ربك فترضى " . وحكي أن ذا النون لما دخل بغداد ، دخل عليه جماعة ومعهم قوال فاستأذنه أن يقول شيئاً فأذن له فأنشد :

صغير هواك عذبني

فكيف به إذا احتنكا

و أنت جمعت من قلبي

هوى قد كان مشتركاً

أما ترثي لمكتتب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

إذا ضحك الخلي بكا

فطاب قلبه ، وقام وتواجد ، وسقط على جبهته والدم يقطر منها على الأرض . وكان ذو النون من أوائل الذين نشروا السماع في مستهل القرن الثالث الهجري . والسماع في الإسلام بدعة وذو النون من أوائل من نشره مع التنعيم والموسيقى الصوتية . وأنشد :

لك عزم بأن أكون قتيلا

فيك الصبر و الصبر عنك لا يكون

وذو النون واضع أسس التصوف ، وهو أول من فسر إشارات الصوفية . وعرف التوحيد بالمعنى الصوفي . وتحدث في السكر وكأس المحبة وتعمق في كشف الأسرار الإلهية . وقال حين تذاكر قوم المحبة في مجلسه :

كفوا عن هذه المسألة حتى لا تسمعها النفوس فتدعيها

فأخوف أولى بالمسيء إذا تأله و حزن

و الحب يُجمل بالتقى وبالنتقى من الدرن

وقد خضع للتأثير بالثقافة اليونانية التي كانت راسخة في عهده بمصر . من أدعيته :

" يا إلهي ! أدعوك في الملاء كما تدعي الأرباب ، وأدعوك في الخلاء

حبيبي ، أقول في الملاء . . وأقول في الخلاء يا حبيبي " .

## إبراهيم بن أدهم

ولد وفي أنامله الذهب ، وفي إهابه الملك ، وهو وحيد بيت من أعرق بيوت الملك في فارس والعراق .

وفي ذات مرة سمع نداء يهتف به : " يا إبراهيم ليس لذا خلقت ، ولا بهذا أمرت " . وتعجب إبراهيم وامتزج بالخوف ، فنزل عن فرسه وهبطت عليه رحمة الله . ونسي ملكه وجاهه وانطلق إلى الأفق الإلهي ووجد في التصوف الطمأنينة . وروي أنه كان يمكث شهراً كاملاً بلا طعام

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ويقتات بالتراب إن لم يجد طعاماً ويقال أنه تعلم الصوفية من راهب بعد أن زاره في صومعته .

وقطع البوادي بأربع عشرة سنة بالصلاة والخشوع حتى وصل إلى مكة .  
وقيل أنه فر من بلنح ولحق بأخته في الكوفة ، وقتل في الساحل السوري  
ودفن في جبلة . وباسمه أنشئت طريقة صوفية تدعى ( الأدهمية ) . وكان لها  
زوايا في أهم المدن العثمانية . وبقيت زاوية الأدهمية في بيت المقدس إلى عام  
. 1911 .

### إبراهيم الخواص

حفت به مظاهر الثراء ، وغدت مجالسه ملتقى الأدباء والعلماء  
والعظماء . وهو من أقران الجنيد والنوري . ثم حدث زلزال عنيف مدمر  
فاستيقظ إبراهيم من النوم يتفصد عرقاً لقد رأى رؤياً كانت حداً فاصلاً  
دفعت به إلى صفوف أهل التصوف .  
واتخذ الصحراء موطناً لألحانه وتساييحه ورأى الله في كل شيء ولقب :  
بريجانة الصحراء ، وسلطان البيد .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ورافقه صديق في البادية ثمانية أيام فضعضت قوته وهتف :

" لا أطيق معك صبراً "

فقال له : أيهما أحب إليك الطعام أم الشراب ؟ . قال : الماء . أجابه

: هو وراءك . فالتفت فإذا ببحر يصطفق موجه فشرب وتطهر .

واضع يوماً بالبادية ومعه صاحب فجاءت السباع فأحاطت بهما فلم

يبالي بها ، وفر صاحبه بعد صعوده إلى غصن شجرة يحتمي بها . وبات ليلة

ثانية فسقطت بعوضة على يده فجزع وتألم فقال له : ما جزعت من السباع

وتجزع من البعوضة ! ؟ .

أجابه : كان البارحة سلطان الجلال في القلب وبقوته لم أبالِ والآن غاب

فظهر العجز .

وبين صحرائه ومواجهه كان قد نذر ألا يتوضأ للصلاة إلا إذا اغتسل

فدخل مرة الماء وحمد الله ولم يخرج . وكانت آخر لحظات حياته .

## أبو الحسين النوري

كان خاشعاً عابداً يزكو النبات من حوله إذا تهجد أو صلى . وكان شهيداً من شهداء الحب والوجد .

عاش النوري بين الجهاد والعبادة ، وحين يبلغه الإشراق يقال "ذهب إلى ربه"

مرض النوري وكان موصول الود مع الجنيد ، فبعث إليه الجنيد بصرة دراهم فردها ثم اعتل الجنيد فعاده النوري ووضع يده على جبهته فزال المرض فوراً فقال له : إذا عدت إلى إخوانك فارزقهم بمثل هذا السر . دخل عليه الشبلي وهو معتكف فوجده ساكناً لا يتحرك فقال له: من أين أخذت هذه المراقبة والسكون ؟ . قال : من سنور لي . إذا أراد الصيد سكن فلا تتحرك فيه شعرة .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وكان يتواجد بالترانيم والغناء " غناء الحب الإلهي " وأنشد يوماً :

لا زلت أنزل من وداك منزلاً

تتحير الأبواب عند نزوله

فتواجد وأخذته النشوة فهام بالصحراء ، ثم عطف على أطراف العراق  
فوقع في أجمة قصب قطع ، وبقيت أصوله كالسيف فمشى عليه في وجده  
فسال الدم من قدميه ، وامتدت الجراح إلى ساقيه وهو في نشوته ، وتصايح  
الناس لكن قلبه هائماً بحبه لربه . فاهتز وتمايل ثم سقط بين تلك الأسنة  
المحددة ، حتى إذا احتضر قيل له ما تشتهي قال : رؤية الله ثم تنفس نفساً  
عميقاً وهو يردد

"ربي الله . . . ربي الحبيب القريب "

ولما حمل وخرجت بغداد تشيع هذا النور الذي اشتق منه اسمه صاح  
الشبلي : " أضرموا النار على الأرض ، فقد رفع العلم والإيمان ، وبقية  
العابدين الملهمين " .

## رياح بن عمرو القيسي

كان إذا دخل المسجد بكى ، وإذا دخل بيته بكى ، وإذا دخل المقبرة بكى . فيقال له : أنت دهرك في مآتم . فيقول : يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا . واتخذ غلاماً من حديد . فإذا جن الليل وضعه في عنقه وتضرع وبكى حتى الصباح . وكان يغشى مجالس الوعظ في البصرة خاصة مجلس " الحسن البصري " . وقد التقى رابعة ، ويقال هو الذي حملها على اطراح حياتها اللاهية وكان بينهما صلة قوية ، وتوسم فيها روحاً ساميةً فأنقذها مما هي فيه ، لذلك كانا يقضيان الليل معاً في بيتها انقطاعاً للتهجد والعبادة ، وكان أدمه الملح والخبز ويقول لنفسه : أمامك طعام العز والجاه، والعرس في الآخرة . وعند الموعدة يغشى عليه وهو يصرخ .  
من أقواله . .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

لا ينظر قلب محب الدنيا نور الحكمة . وقال : أن تتعلم العلم لغيرك فلا تعمل به ، فيكون لغيرك نوره وعليك وزره . وقال : لا يبلغ رجل منزلة الصديقين حتى يدع زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم يتم ، ويأوي إلى منازل الكلاب .

### بشر الحافي

في كوخه الذي يشبه الصومعة في أطراف بغداد ، أرسل إليه الخليفة المأمون الإمام " أحمد بن حنبل " ليأذن لأمير المؤمنين بزيارته فأجابه : ماذا ينشد المأمون مني ويده تقطر بالسيئات ، وأنا رجل فقير لا أصلح للملوك فرجع الإمام حزيناً وأخبر الخليفة بذلك .

ويقال أن بشراً كان من سراة بغداد ، وهو جالس بين العود والندمان ، والبخور والألحان ، منتشياً بالراح والغناء . فإذا بطارق يرسل النداء قوياً صاحباً ، فخرجت إليه الجارية فقال لها : صاحب هذه الدار حر أم عبد .

قالت : حر من السادة . قال : صدقت لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو خوفاً من سيده ، وتركها وولى . فأخبرت الجارية بشراً

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فخرج يعدو خلفه حافياً حتى أدركه . وأعاد عليه الكلام حين ألح عليه .  
فهام على وجهه حافياً تاركاً ماله ونعيمه . وعاش من يومها حافياً .  
وفر من الناس وعاش في كوخه . وعلى هذا الضوء عرف بشر  
التصوف .

من كلماته :

" كلمة واحدة تفتح آفاقاً للقلب والفكر ، وتختصر الفلسفة في جملة

."

" ليس من المروءة أن تحب ما يبغض حبيبك " .

أتاه رجل في مرضه ، فشكا إليه الحاجة فنزع بشر قميصه ولا يملك  
سواه وأعطاه له ، واستعار ثوباً فمات فيه .  
وقال الغزالي :

" ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها غير بشر " .

وروي أن جنازته خرجت من بغداد في الصباح فلم تصل إلى المقبرة إلا  
ليلاً من الزحام والجموع الزاخرة الباكية .

ويقال جاءت أخته إلى الإمام " حنبل " فقالت له : إننا نغزل على

سطوحنا ، فتمر المشاعل فيقع الشعاع علينا ، فهل لنا أن نغزل على

مشاعلها ؟ . فقال : من أنتِ ؟ قالت أنا أخت بشر . فبكى حتى أبكى من

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

حوله وقال : من بيتكم خرج " الورع والزهد " ، لا تغزلي في شعاعها فأهل  
بشر لا ينبغي لهم ما يباع لغيرهم .  
منّ منّ الناس كبشر خلع نعليه وانطلق إلى ربه ، فما أدركه أحد.

### سمنون المحب

كان يتكلم في المحبة بأحسن الكلام ، وهو من كبار مشايخ العراق ،  
مات بعد الجنيد . قال الهاشمي :  
كنت في بيت المقدس ، وكان برد شديد وعلي جبة وكساء ، والثلج  
يتساقط ، فإذا شاب مار في الصحن عليه خرقتان . فقلت : لو استترت  
ببعض هذه الأروقة فيكُنَّك من البرد .  
فقال :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ويُحسن ظني أنني في فنائه

و هل أحد في كِنِّه يجد القُرا

وقال أحدهم : كنت عند سمون فشهبك شهقة ثم قال : لو صاح لإنسان

لشدة وجده بحبه ملأ ما بين الخافقين صباحاً .

وأُنشد :

فليس لي في سواك حظ

فكيفما شئت فامتنحي

إن كان يرجو سواك قلبي

لا نلت سؤلي ولا التمني

وقال سمون : لا يعبر عن الشيء إلا بنا هو أرق منه ، ولا شيء أرق

من الحبة فيم يعبر عنها ؟ .

وأُنشد :

أنت الحبيب ، الذي لا شك في خُلدي

منه ، فإن فقدتك النفس لم تعش

يا مُعطشي بوصال أنتَ واهبه

هل فيك راحةٌ إن صحتَ وا

عطشي

وكان سمون جالساً على شاطئ دجلة وبيده قضيب يضرب به فخذه ،

حتى بان عظم فخذه و ساقه وهو ينشد :



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

كان لي قلب أعيش به

ضاع مني في تقلبه

رب فاردده علي فقد

ضاق صدري في تطلبه

وأنشد :

أحن بأطراف النهار صباية

و في الليل يدعوني الهوى فأجيب

وأيامنا تفنى و شوقي زائد

كأن زمان الشوق ليس يغيب

وأنشد :

فلو قيل لي : ما أنت ! قلت معذب

بنار مواجيد يضرمها العتب

بليئُ بمن لا أستطيع عتابه

ويعتبني حتى يقال لي الذنب

وقال :

فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل

فلمست أرى قلبي لغيرك يصلح

## شطح الشطح

وهو حالة الفناء الصوفي في المطلق ، حيث يطلق الصوفي عبارات  
وكلمات وأقوال : ظاهرها كفر ، وباطنها إيمان .  
وقدموا شطحهم بكل وضوح فمنهم من تظاهر بالجنون كالشبلي ،  
ومنهم من شطح في واضحة النهار كالبسطامي والحلاج. فسكن  
الصوفي ذات الخالق ، وشرع ينطق باسمه .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الشطح : يقال شطح الماء إذا فاض على حافتي النهر . ولفظة " الشطح " مأخوذة من الحركة ، لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قوي وجدهم ، فينطلق الصوفي من أرضية الحب ليحلق في سماوات السكر والوجد ، فيشطح .

هذه الحالة حققها عمالقة الشطح " البسطامي ، الحلاج ، الشبلي " وشرع بما التصوف الإسلامي ، وحلل البعض هذه الظواهر الوجدانية وردّها إلى شعور الصوفي بأن ثمة نار عطشى تشتعل في جوفه ، عطش إلى الفناء في حضن الألوهية .

### من شطحات البسطامي

إن الجنة لا خطر لها عند المحب لأنه مشغول بمحبته .  
غلطت في بدايتي في أربعة أشياء :  
توهمت أي . . أذكره ، وأعرفه ، وأحبه ، وأطلبه . فلما انتهيت رأيت :  
ذكره سبق ذكري ، ومعرفته تقدمت معرفتي ، ومحبته أقدم من محبتي ، وأطلبه لي أولاً حتى طلبته .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

كنت أطوف حول البيت أطلبه ، فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي . وقال : سبحاني . . سبحاني ما أعظم شأني ، وحسي من نفسي حسي .

أدخلني معه مدخلاً أراني الخلق كلهم بين أصابعي وقال لي : كيف ترى الخلق . فقلت : بك أراهم ، يا أبا يزيد إن خلقي يريدون أن يروك ، فأقامني وزينني ورفعني ثم قال : أخرج إلى خلقي . فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق ، فلما كان الخطوة التالية : غشي علي فنأدى : ردوا حبيبي فإنه لا يصبر عني . يا أبا يزيد ، إنهم كلهم خلقي غيرك . فقلت : فأنا أنت وأنت أنا .

سأله رجل : يا أبا يزيد العارف يحجبه شيء عن ربه . فقال : يا مسكين من كان هو حجابته أي شيء يحجبه ؟ .  
النعمة أزلية يجب أن يكون لها شكر أزلي .

### من شطحات الحلاج

يعتبر الحلاج الطواسي على رأس الهرم من كل من تحدثوا عن الشطح . وهو مبتدع نظرية الحلول في التصوف الإسلامي . أي أن الله حل به . كقوله :

مزجت روحك في روحي كما

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

تمزج الحمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسني

فإذا أنت أنا في كل حال

حين خرج من الحبس ليقتل كان آخر كلامه : حب الواجد أفراد

الواحد .

صدق الصوفي يؤدي به إلى الرحيل عن الرحيل شهيداً .

لا فرق بيني وبين ربي إلا بصفتين : وجودنا منه ، وقوامنا به .

من رأيي فقد رأى الحق ، أنا سر الحق فالحق أنا ، بل أنا حق ففرق

بيننا .

الصوفي أثر الله على الأرض .

رأيت ربي بعين ربي فقال : من أنت ؟ قلت : أنت .

وأنشد :

أدنينني منك حتى

ظننت أنك أني

وغبت في الوجد حتى

أفنينني بك عني

و إن تمنيت شيئاً

فأنت كل التمني

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

يا أهل الإسلام أغيثوني ، فليس يتركني ونفسي فآنس بها ، وليس يأخذني من نفسي فأستريح منها ، وهذا دلال لا أطيعه .  
وقال: رأيت كأني واقف بين يدي رب العزة فقلت : يا رب ما فعل الحسين بن منصور ؟ فقال : كاشفته بمعنى فدعا الخلق إلى نفسه فأنزلت به ما رأيت !  
ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه .  
لقد أحب الحلاج الله ، الإنسان ، العالم ، فهو عاشق فريد ، عاشق عبر عن عشقه بصوت مرتفع ولم يكتفم الحب .

### من شطحات الشبلي

محنتي فيك إني  
لا أبالي بمحنتي  
يا شفائي من السقام  
إن كنت علتي  
قربكم مثل بعدكم  
فمتى وقت راحتني

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

وقال:

جرى حبك في قلبي

كجري الماء في العود

وتحسبني حياً وإنني لميت

وبعضي من المهجران يبكي على بعض

وإنني وإياه لفي الحب صادق

تموت بما نهُوى جميعاً و لا نبدي

وأنشد :

لها في طرفها لحظات سحر

تميت بها و تحيي من تريد

و تسي العالمين بمقلنتيها

كأن العالمين لها عبيد

ألاحظها فتعلم ما بقلبي

و ألاحظها فتعلم ما أريد

وأنشد :

فمن كان في طول الهوى ذاق سلوة

فأتى من ليلي لها غير ذائق

وأكثر شيء نلته من وصاها

أماي لم تصدق كلمحة بارق

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وقال :

الحق يفنى بما فيه بقاء

ويبقى بما فيه فناء

وروى الشبلي قصة عن العشق :

متحابين ركبا بعض البحار فسقط أحدهما في البحر وغرق ، فألقى  
الآخر نفسه في البحر فأنقذا فقال الأول لصاحبه : أما أنا فقد سقط في  
البحر . وأنت لم رميت نفسك ؟ . فقال : أنا غائب بك عن نفسي ،  
توهمت إني أنت .

مصادر التصوف



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

### 1- المصدر الصيني :

ترجع الصلات بين العرب والصين إلى بضعة قرون قبل الميلاد ، أما المسلمين فاتصلوا بالصين في بداية القرن الأول الهجري .

فالتصوف وجد في الصين قبل قرون عديدة ( ق . م ) . ويقال أنه عاش في الصين أيام الحكيم " كونفوشيوس " أي القرن السابع ( ق . م ) . وكان رجلاً يقال له " لاؤتسة " من المتصوفين الكبار قد عبر بقوله عن التصوف :

إن الإنسان يستطيع أن يعرف كل ما في العالم من غير أن يخرج من باب داره .

ويقول الدكتور " فروخ " أنه هنالك صلة وثيقة بين التصوف الصيني والإسلامي . فالحياة سفر وتركبة النفس وتطهيرها عند الصينيين ، وهي توبة و ورع عند المسلمين . والإشراق الصيني يشبه الكشف والاتصال ، والاتحاد يشبه الفناء .

### 2- المصدر الهندي :

التصوف معروف في الهند خاصة في معتقدات " البراهمة والبوذية " .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

على الإنسان أن يجاهد ليخلص نفسه من استعباد الجسد لها . ويرتقي بها حتى تتحد الروح بأبراهما أي الله . واليوجا يعذبون أنفسهم من أجل الحصول على المعرفة ومقاماتهم كالصوفية الإسلامية . وأخذ المتصوفة من البراهمة وحدة الوجود وتكرار كلمة " أوم " يقابله في المتصوفة " هو " والبوذية نشأت على يد " بوذا " الذي تخلى عن العرش واعتزل الدنيا وبرياضة النفس والتفكير في أسرار الخليقة ليتوصل إلى " الفناء المطلق أو النيرفانا " وهي حالة من الاضطراب والتشاؤم . لأن الوجود عذاب وحالة من النعيم الروحي لأنه يأمل بالخلاص بعد الموت . وحية البوذية اتباع الفقر ، والزهد ، ولبس الحرقة الزرقاء ، وآمنوا بنظرية التناسخ ، أي أن الأرواح لا تفنى بل تنتقل إلى كائن آخر . وأخذ بها متصوفة الإسلام وقالوا : إن الدنيا نفس نائمة ، والآخرة نفس يقظى .

ولها فرق مذهبية منها : الجوكية ، أصحاب الأنعام والأوهام ، أصحاب الروحانيات ، أصحاب الحكمة .

### 3- المصدر اليوناني :

يرجع المصدر اليوناني في التصوف إلى " فيثاغورث " المعروف باتجاهه الصوفي وتشفه . ومن نظرياته : أن النفس تتصل بالملأ الأعلى حين تتحرر من شهوات الجسد . وهو عالم فوق عالم الطبيعة. وتأثر فلاسفة الإسلام بالفكر اليوناني بفضل الترجمة . ومنهم الكندي ، الغزالي ، ابن سينا .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

واستقى التصوف من الأفلاطونية "الذوق ، المواجد ، الفيض ، المكاشفة" .  
ويقولون . . أول فيض من الله تعالى كان العقل الأول . وكذلك أخذوا " وحدة الوجود ، وحدة الشهود ، الفيوضات " .

### 4- المصدر الفارسي :

عرف في فارس " المانوية ، الزراديشتية " وهو مأخوذ من " البوذية والإبراهيمية " وظهرت هذه الأفكار في بلاد الشرق في العصر العباسي بفضل الترجمات .

### 5- المصدر اليهودي :

كان تأثيرهم محدوداً في الصوفية ، لأن اليهود عاشوا في الجزيرة العربية واليمن والحجاز وأتقنوا اللغة العربية ، ولأن موسى ظهر في طور سيناء .

### 6- المصدر النصراني :

المسيح ولد في فلسطين ، عاش في الجزيرة العربية واليمن ، وقبائل عربية دخلت النصرانية (كالغساسنة ) فأخذوا عن حياة الرهبان والأديرة النقشف والزهد .

ويقول ابن عربي : كانوا يجتمعون إلى الرهبان ويناقشونهم في الاتجاهات الروحية والفلسفية . ومن أهمها " التسامح ، إثارة النفس ، المحبة " وأنشأوا على منوالهم مذهب الحب الإلهي ورائدته رابعة العدوية .

## شكاية التوحيدي

### أبي حيان

شكى التوحيدي من عصره وأهل زمانه فقال :أما حالي فسيئة كيفما  
قلبتها ، لأن الدنيا لم تواتني لأكون من الخائفين فيها ، والآخرة لم تغلب  
علي فأكون من العاملين لها .

إلى متى نقول بأفواهنا ما ليس في قلوبنا ؟

إلى متى ندعي الصدق ، والكذب شعارنا ودثارنا ؟

إلى متى نستظل بشجرة تقلص عنا ظلها ؟

إلى متى نبتلع السموم ونحن نظن أن الشفاء فيها ؟

ثم يضيف :يا هذا الغريب الذي لا اسم له فيذكر ، ولا رسم له فيشهر ،  
ولا طي له فينشر ، ولا عذر له فيعذر ، و لا ذنب له فيغفر ، ولا عيب  
عنده فيستر . هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه ، ولم يتزعزع عن مهب  
أنفاسه .

وأغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه ..

وأبعد البُعداء من كان في محل قربه .

يا رحمتا للغريب ..

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

طال سفره من غير قدوم .. وطال بلاؤه من غير ذنب  
واشتد ضرره من غير تقصير .. وعظم عناؤه من غير جدوى ..

### السهروردي

هو شهاب الدين بن أميرك السهروردي ، ولد في مستهل النصف الثاني من القرن الثاني عشر ميلادي ، تعلم في المراغة على يد الشيخ " مجد الدين الجبلي " ثم ارتحل إلى اصفهان ، وبدأ حياة التنقل والأسفار ، محباً للوحدة التي هيأت لحياته الروحية التأمل في معارك الصوفية ، وأقام في " ديار بكر " وأهدى الأمير " عماد الدين قره ارسلان " كتابه المسمى باسم الأمير " الألواح العمادية " .

و السهروردي لم يلق الاضطهاد من جانب الفقهاء فقط بل من جميع الفلاسفة .

وأصحابه الحكماء امتداد لسلسلة الحلاج ويدعوه باسم "أخيه" . وقسم معظم أيامه بين بلاد الروم وبلاد الشام . حتى رحلته الأخيرة إلى حلب ولم يعد منها .

و ذكر عن السهروردي أنه كان يميل إلى سماع الموسيقى ، ويلبس ثوباً واسعاً طويلاً ، ويحتقر مظاهر الأبهة الدنيوية ، ويضع عمامة زاهية الألوان ، أو في أحيان أخرى يبدو في ثياب مهلهلة ، أو في خرقة صوفية ،

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وكان متهوراً مستهتراً وهذا الذي دفع به إلى مجابهة الفقهاء والعلماء في مدينة " حلب " فتآمروا للقضاء عليه عند السلطان " صلاح الدين الأيوبي " ولم تستطع صداقة ابنه " الملك الظاهر " أن تنقذه من ذلك المصير ،  
والتهمة الرئيسية التي وجهها الفقهاء ضده هي أنه قال في كتبه : " إن الله يملك إن شاء أن يخلق نبياً ؟ " . فأجاب السهروردي بأن الله قادر على كل شيء . فقالوا : إلا على خلق نبي . فأجاب : هل الاستحالة هنا مطلقة أو غير مطلقة؟ فقالوا له : أنت كافر .

وأخبار موته متباينة ، بعضهم يقول : إن الشيخ مات مخنوقاً ، وبعضهم يقول مات بحد السيف ، وقسم ثالث يقول أن الشيخ امتنع عن الطعام حتى مات .

وأطلق عليه لقب الشيخ المقتول ، وقبره في مدينة حلب ، ويرمون من وراء لقبه ألا يدعوه باسم الشهيد ، لكن تلاميذه لم يفهموا لقب مقتول إلا بمعنى شهيد .

وتوفي السهروردي وهو في السادسة أو الثامنة والثلاثين عام 587هجرية ( 1191ميلادية ) .

وكان تلميذه " الشهرزوردي " من أشد المتحمسين والمخلصين له ، وكان يرد بعنف الطعنات التي وجهت ضد شيخه إلى صدور الفقهاء والفلاسفة .  
وشرح مؤلفات أستاذه ، وكتب بروح المذهب كتاب " الشجرة الإلهية "

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وذكر تلميذه أسماء 49 مؤلفاً والجزء الأكبر يشير إلى كتب ألفت باللغة العربية والأخرى بالفارسية . وترجم كتابه " حكمة الإشراق " من العربية إلى الفارسية .

يقول السهروردي في التصوف :

أست تعلم أنه كما أن قوى المخلوقات عاجزة عن أن تعطيك الوجود كذلك هي عاجزة عن أن تمسك الاستعداد للسلوك روحياً في طريق الحقيقة . كلا إن الله هو الذي يهب لكل شيء طبيعته ، ثم يهديه ، وقدرته هي التي توجدك ، وكلمته هي التي توجهك .  
سمو صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله .

حلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، لأنها متأصلة في الروح ، وفرعها عند الله تعالى ، وعروقها ضاربة في أرض النفس . من القلوب ما هو بمثابة الأرض الطيبة التي أنبتت الكأ والعشب الكثير وهذا مثل من انتفع بالعلم في نفسه واهتدى .

ومن القلوب ما هو بمثابة الأخاذات ، فنفس الصوفية تركت قلوبهم ، صفت ، فصاروا أخاذات ، لأن قلوبهم واعية صارت أوعية للعلوم .  
الأخاذات " أي الغدران " جمع أخاذة وهو الغدير . من أشعاره :  
أشم منك نسيماً لست أعرفه

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أظن لمياء جرت فيك أردانا

تكلم منا في الوجود عيوننا

فنحن سكوت و الهوى يتكلم

### عماد الدين النسيمي

ثمة اختلاف حول مكان ولادته ونشأته ، ويقال أنه ولد في مدينة شمالي عاصمة سلالة ملوك " شروان " 770هجرية (1370ميلادية) .

وشروان مشهورة بتراثها الأدبي والفكري لوقوعها على طريق الحرير ،

وتزخر بالعلماء والفقهاء والشعراء ، لذا وجد فيها المناخ الثقافي فتعمق في

الفلسفة والفلك والمنطق والرياضيات وعلوم الطبيعة إلى جانب لغته الفارسية ، والتركية ، وأيضاً اللغة العربية لغة القرآن .

كتب الشعر باللغات الثلاث ، ورسخ اللغة الفارسية لتكون لغة الإبداع

الأدبي . وترك عشرة آلاف بيت في مختلف الموضوعات ، وديوانه بالفارسية

يضم حوالي خمسة آلاف بيت ، وشعره بالعربية تعرض للضياع والإتلاف ولم يصل منه إلا القليل .

كتب الشعر وهو يافع ، ودافع عن الإنسان وقيمه الحقيقية وقال :

" جوهر الله محبوب بالإنسان "



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وأثر في شعره وفكره جملة من الثقافات : التراث الأذربيجاني ، التراث الفارسي ، التراث العربي ، والعقيدة الحروفية .

العقيدة الحروفية تمتاز بجرأة الفكر ، ومواجهة قوى التسلط ،

وتقديس الإنسان وتمجيده . وقد اعتنق النسيمي هذه العقيدة ، وفي سبيلها سافر إلى تبريز وبغداد وأقام فيهما يدعو إلى هذه العقيدة حتى عرف باسم " النسيمي التبريزي البغدادي " .

ولم يخف على النسيمي ما سوف يلقاه في سبيل دعوته من مصاعب حتى أن أخاه " شاه خاندان " حذره من سوء العاقبة ولكنه أجابه :

" الخلق محيط شمال الأرجاء ، وهو مع الكون في مكان واحد "

وحين لاحقته السلطات العثمانية كان قد وصل إلى حلب المدجأ الأخير

له ، وكان رجل دين متصوف يرتدي الملابس البيض ، وأقام في حي

الفرافرة وكان من أشرف أحياء حلب وأقدمها في مسجد قرب حمام

السلطان على الخندق المشرف على القلعة وسمي بعد ذلك باسمه

( مسجد النسيمي ) وذاعت شهرته في حلب ، وتردد اسمه بين العلماء

والفقهاء .

ويروى أن أحد تلامذة النسيمي كان يتغنى بأشعاره ، فألقي القبض عليه

وحين المحاكمة نسب الشعر لنفسه ليدراً الخطر عن أستاذه فحكم عليه

بالإعدام لأن الدعوة إلى الحروفية سرية ، وهذا الشاب أعطى خصومه

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الفرصة لهاجمته فاعتقل وأقام في سجن القلعة، ثم أصدر السلطان مرسوماً بإعدامه وذلك بأن يسلخ ويشهر بحلب سبعة أيام ، وتقطع أعضاؤه ، وكان يوم إعدامه يوماً مشهوداً، وهم يسلخونه وهو ينشد موشحات في التوحيد حتى عمل ما يقرب من خمسمائة بيت وهو يبتسم ، وسأله أحد خصومه :

تدعي بأنك إله فلماذا يصفر لونك عندما ينزف دمك ؟ أجابه : إنني

شمس الحب على أفق الخلود ، والشمس تصفر دوماً عند الغروب ، وهي عبارة تهاى فيها " بالحب الإلهي " .

ويحكى أن الذين أصدروا الحكم بإعدامه قالوا : لعن الله تلك اليد التي يجب أن تقطع إذا سقطت عليها قطرة دم من هذا الزنديق، فنفرت قطرة دم وسقطت على إصبعه ، ولما طالبه الناس ببتز إصبعه لم يفعل فقال النسيمي وهو تحت السلخ : تقرب وتحيد عن الحق خوفاً من بتر إصبعك ؟

ألا تعتبر من الشاعر المسكين الذي يسلخ جلده ولا يصيح ، ثم لفظ أنفاسه أمام أسوار قلعة حلب .

وبذلك انطوى واحد من أكبر فلاسفة الحروفية وعلم من أعلام الشعر

الإنساني الصوفي . وفي أذربيجان وتركيا تروى أشعاره وتحولت سيرته إلى أسطورة في الشجاعة والحب . وأهدت الحكومة الأذربيجانية مدينة حلب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

تمثالاً " للنسيمي " وضع في المتحف الوطني، وله ثلاثة دواوين شعرية " بالعربية ، والفارسية والتركية " .

### مقتطفات من كلماته

كون الكون بحرفين " كاف ونون " إذا أدركتم ذلك تشرق الكلمة .

الحب أسكرني في الوليمة الأزلية وأنا الآن أرى العالم أمام عيني في نشوة

سكرى . .

الحب متهيج بخمرة الله .

منذ مولدي عشقت وأقررت بسكري حتى النشوة . حين فاض العقل

الكوني خلق العالم .

أعطني حباً وخذ الغد لنفسك ، ساعة أقضيها مع حبيبي لن أبادلها بحقة

كاملة .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

عندما تسكر فإنك تدخل مدينة الحب هناك ترى وجه جمالات العالم  
في النشوة الخالقة .

حديقة الورد السماوية مغرمة بسجع الهزار الحزين .  
من شففتيك يا حبيبي تنداح أفواه الحياة ، أما أنا فارتحت حبيبي فما  
حاجتي إلى الدنيا .  
لا تسألني يا حبيبي ما الذي ستكونه لي لأن العاشق لا يرغب بشيء  
غير حبه .

خمرة الحكمة في كأس جمشيد هي الإنسان .  
في الأساطير الشرقية أن للحاكم الإيراني جمشيد كأساً إذا ملئت خمرة  
يظهر فيها كل ما يحدث في العالم . فشبه النسيمي العقل البشري بكأس  
جمشيد .

كنز الله الحقيقي المخبوء هو " الإنسان " .  
الشبلي قطرة من بحرنا ، وأدهم نقطة من حروفنا .  
أنت الذي ترى في وجهك مادة الأزل ، صورتك هي صورة الرحيم  
الوديع .

لا تستر وجهك عني ، أنا الذي احترقت " بمبك " مئة مرة كالشمع ،  
وتكفيني شعلة من شوق وجهك حتى أقصدها كالفراشة لأحترق بما .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

في هذا العالم الذي يسكره الحب يقول : أنا الحق ، لقد قتل المنصور  
الحلاج بنشوة السكر .

الصديق المنفرد يكسب الفجور .

إذا كنت سهران فدع عينيك تشعان بالمعرفة .

إذا كنت رزيناً فعليك أن ترشف خمرة الحب .

إذا حكمت الآخرين فتخلي عن أنانيتك .

العمر مثل الثلج تحت شمس تموز .

منحت قلبي بإرادتي لدوامه الحب ، وصرت غريقه المدنف .

القلب عرش الرحمة ، والروح هي الكلمة .

عمل الله عجينة من الماء والتراب ، وصاغ منها الإنسان مرآة الكون

وسماه حباً ، عاشقاً ومعشوقاً ، واندمج الحب في الوحدة .

جوهر الدعوة الحروفية الارتقاء بالإنسان إلى مرتبة المطلق ، وذلك بترائي

الله في وجهه .

المحبة عنده شأن الشعراء الصوفيين في فارس :

ترق ، وتدق حتى تصير فكرة ، روحاً ، نوراً مطلقاً ، وتتكاثر حتى

تصير جسداً رائع الجمال ، فيتخذ من الغزل كأساً يملؤها بخمرة أفكاره .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أيتها الوردة . . اقبلي من الفردوس في مجدك البانع . . ابتسمي ثانية ،  
نوري الينبوع الطهور ، ملك العالم جمالك الأسر ، فمن ينكر بأنك لست  
روح الله أمام أعيننا .  
جفونها تركت في قلبي جراحاً عميقة ، وبحثت طويلاً عن بلسم لجروحي  
الميتة فلم أجد غير شفيتها تجيدان فن الشفاء .  
أعد الأغنية التي تغري قلبك في النشوة السكرى .  
خليل الله أنت يا نسيمي ، بلسانه اليوم تنطق .  
لقد كشف لك الأسرار في نشوتك السكرى .  
النسيمي لؤلؤة في بحر الحب ، ولهذا اللؤلؤة أنت الجواهر البراق .  
ونفسك رفع الخضر والمسيح إلى النور . .  
وجهك مرآة القانت منه يستمد النسيمي الفرح الدائم .

ابن عربي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

ولد أبو بكر محمد بن علي من قبيلة حاتم الطائي ، والمعروف ابن عربي ولقب : محي الدين ، الشيخ الأكبر ، ابن أفلاطون .  
ولد في " مُرسية " 560هجرية ( 1165ميلادية ) . وكان ابن عربي من أسرة نبيلة غنية وافرة التقوى ، وله خالان سلكا طريق الزهد .

### خاله الأول :

كان ملك مدينة تلمسان ، فزار شيخ فقيه عابد من أهل "تونس" يقضي وقته في موضع خارج تلمسان يسمى " العباد " فسأله الملك : أتجوز لي الصلاة بهذه الثياب الفاخرة ؟ . فضحك الشيخ وأجابه : أنت وعاء مليء حراماً وتسأل عن الثياب ومظالم العباد في عنقك ! . فبكى الملك ونزل عن دابته ، وخرج عن ملكه ، ولزم خدمة الشيخ، فمكث ثلاثة أيام ثم جاءه بجبل وقال له : أيها الملك فرغت أيام الضيافة فاحتطب ، فكان يأتي بالحطب على رأسه من الجبال ويبيعه بالسوق والناس ينظرون إليه ويكون ، فيأخذ قوته ثم يتصدق بالباقي ، وإذا طلب الناس دعاء الشيخ يقول لهم : التمسوا الدعاء من " يحيى بن يغان " فإنه ملك وزهد .  
ثم مات ودفن في تربة الشيخ .

### خاله الثاني :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

كان يقوم الليل فإذا أدركه العياء ضرب رجله بقسوة بقضيب حتى لا ينام ويقول لرجليه : أنتما أحق بالضرب من دابتي ، ويقضي الليل في مجاهدة شديدة .

في هذا الوسط العامر بالزهد والتصوف قضى ابن عربي طفولته ، ولما بلغ الثامنة انتقل مع أهله إلى اشبيلية ولم يكن قلبه مشغولاً ناحية الزهد بل الآداب والصيد ومعه الخيل والخدم . وتزوج امرأة سالحة ، ولكنه مرض مرضاً شديداً والحمى تنتابه مصحوبة بتهاويل وهلوسة مروعة من عذاب الجحيم ونجا من المرض بفضل دعوات أمه التقية وأبيه الذي كان ساهراً يرعاه ، ثم توفي أبيه فكان لموته الأثر الحاسم في حل أزمته الروحية فتحول إلى الله بكليته، ويشير في الفتوحات المكية إلى الكرامات التي صاحب موت أبيه فيقول :

إن أباه قد تنبأ بموته في اليوم والشهر قبل وفاته بخمسة عشر يوماً، ولما كان يوم موته استوى قاعداً وقال لي : اليوم يكون الرحيل واللقاء فقلت له: كتب الله سلامتك في سفرك هذا ، وبارك في لقائك ، ففرح بذلك . . وغشي جسمه نوراً أبيضاً كان يضيء الغرفة كلها ، وعلى جبينه لمعة بيضاء . فقبلت يده وودعته وخرجت وقلت له : أنا في المسجد إلى أن يأتيني نعيك . فقال لي : رح ولا تترك أحداً يدخل علي . فلما جاء الظهر



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

جاءني نعيه ، فجننت إليه فوجدته على حال يشك الناظر فيه بين الموت والحياة ، وكان مشهد عظيم .

دخل الحياة الصوفية وهو في سن الحادية والعشرين أي بعد وفاة أبيه بسنوات ، وعكف على قراءة التصوف في اشبيلية . وتلقى ابن عربي من شيخين مختصين في عملية محاسبة الضمير يومياً " هذه العملية مسيحية من عمليات الكمال الروحي " وهي طريقة محاسبة على الأفعال والأقوال فأضاف إليها الخواطر وقال : النية في العمل ، كالمعنى في الكلمة .

ثم ترك المشايخ واعتزل ، وخلا إلى المقابر يقضي عندها النهار بطوله في اتصال مباشر مع أرواح الموتى وهو مأخوذ بالوجد يهمس بأحاديث مستترة .

حتى قيل فيه : من أراد أن يعتزل الناس فليعتزل مثل ابن عربي . ونما إيمانه بالظواهر الخارقة في الحياة الصوفية وشاهد كرامة عدم الاحتراق في النار . حققها صوفي لإقناع فيلسوف كان ينكر الكرامات .

ويقول ابن عربي أنه التقى بالخضر مراراً وحدثه ، والخضر شخص أسطوري جُسم فيه الاتجاه الأستسراري في الإسلام ، وفي اليهودية والمسيحية " ايليا " وكذلك من شيوخ ابن عربي في طريق الله عجوزان صالحتان هما :

" ياسمينة " وهي صوفية من مرشانة الزيتون .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

و " فاطمة القرطبية " وكانت ذات أحوال ومواجيد في التسعين من عمرها .

وعاش معها في كوخ من القصب مريداً وخادماً ويقول : كنت أستحي أن أنظر إلى وجهها وهي في هذه السن من حمرة خديها وحسن جمالها تحسبها بنت أربع عشرة سنة . وسمعتها تقول : عجبت لمن يقول : إنه يجب الله ولا يفرح به ، فهؤلاء البكاؤن كيف يدعون محبته ويكون أما يستحيون ؟ . ثم تسألني : يا ولدي ما تقول فيما أقول ؟ فأقول لها : يا أمي ! القول لك وقولك . فتقول : لقد أعطاني حبيبي فاتحة الكتاب تحمدي ، فوالله ما شغلني عنه . يقول ابن عربي " حبك الشيء يعمي ويصم ، فلا تقع عينك على ما تخاف منه " .

### رحلاته

بعد أن أصبح على علم بكل أنواع التصوف بدأ السياحة في بلاد المشرق والمغرب وكانت قرى الأندلس ومدنه المسرح الأول لجولاته ، وحين مر بمدينة الزهراء ، أوحى إليه أطلالها بتأملات حزينة على زوال المجد الإنساني .

فقال :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

ديارٌ بأكتافِ المغيبِ تلمعُ

وما إن بها من ساكنٍ وهي بلقُعُ

ينوخُ عليها الطيرُ من كلِّ جانبٍ

فيصمتُ أحياناً وحيناً يُرجعُ

فخاطبتُ منها طائراً متفرداً

له شجنٌ في القلبِ وهو مُروع

فقلتُ : على ماذا تنوخُ وتشتكي

فقالَ : على دهرٍ مضى ليسَ يرجعُ

ثم ارتحل إلى أفريقية ، ثم إلى تونس ولقي حظوة عند حاكمها ، وفي أثناء

إقامته بتونس تجلّى له " الخضر " وكان ذلك في ليلة القمر فيها بدر .

كان ابن عربي يستريح من مجاهداته الصوفية في قمرية سفينة راسية في

الميناء ، فأحس بألم حاد في بطنه اضطره إلى الصعود على ظهر السفينة

فسكن الألم . ولكح من بعيد شخصاً يسير على الماء متجهاً إلى السفينة

اقترب منه وتفوه بعبارات غريبة فاستولت الدهشة عليه ، ثم سمعه ينشد

تسبيحات لله . وفي اليوم التالي لقيه شخص لا يعرفه في المدينة ثم سأله :

كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الخضر ؟ .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أما في اشبيلية وقعت له كرامة أعجب بها كل من شاهده ، ذلك أن ابن العربي ألف قصيدة في ذهنه لم ينسخها ، ولم يقرأها لأحد من الناس ، وفي ذات يوم بينما يخاطب شخصاً لا يعرفه ، بدأ الرجل في إنشاد القصيدة بحروفها .

تعجب ابن العربي وسأل الرجل عن مؤلف القصيدة فقال أنها لابن

العربي وذكر أنه في نفس اليوم والساعة التي ألف فيها " ابن عربي " في ذهنه هذه القصيدة وهو في جامع تونس ، كان شخص غريب في اشبيلية ينشدهم القصيدة ، فكاد يغمى على ابن عربي من الدهشة .  
وذات يوم كان يصلي " في فاس " فلاحظ نوراً باهراً يضيء على كتفه بوضوح أمام عينيه ، ثم غادر فاس متجهاً إلى " مُرسية " وكأنه يودع وطنه الوداع الأخير ، وتراءى له الخضر وهو يصلي على حصيرة ، ولما فرغ من صلاته سلم عليه وأنشده :

شُغل الحُبُّ عن الهواء بسره

في حبِّ من خلقَ الهواء وسخره

العارفون عُقوبهم معقولة

على كل كون نرتضيه ، مُطهره

فهمو لديه مُكرمون وفي الورى

أحوالهم مجهولة و مُستره

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وانقطع إلى الصلاة والرياضة الروحية ، وكتب كتابه " مواقع النجوم " تحت ستار الرموز الفلكية ثم ذهب إلى مراكش وهناك رأى " رؤيا " في حالة التجلي حملته على القيام برحلة إلى المشرق ، ثم دخل بجاية وهناك ذات ليلة عقد قرانه في المنام على جميع نجوم السماء ، وجميع حروف الهجاء بلذة روحانية ، وعرض هذه الرؤيا على رجل عارف فقال له : " هذا هو البحر الذي لا يدرك قعره". ثم سكت ساعة وقال : صاحب هذه الرؤيا في هذه المدينة وهو الشاب الأندلسي الذي وصل إليها .

ثم رحل إلى " تونس " واستقر فيها . وفي ذات يوم كان يصلي خلف الإمام وإذا به يصيح فجأة وبغير وعي منه صيحة كانت من الهول بحيث غشي على كل المصلين ، حتى أن بعض النسوة كن على سطوح منازلهن فغشي عليهن ومنهن سقطن إلى صحن الدار ولم يصبن بأذى ، فلما تاب ابن عربي لم ير شيئاً في أول الأمر ، ثم شاهد شعاعاً من السماء ، وبعد قليل أفاق الجميع من غشيتهم واستولى عليهم العجب .

وتابع رحلته إلى مصر ثم إلى مكة وذاع صيته وبدأ العلماء والصالحون يتوددون إليه ومن بين هؤلاء الإمام " أبو شجاع " الذي انعقدت بينه وبين ابن عربي " مودة وثيقة ، وكان للإمام بنت ذات جمال رائع فأوحت " نظام " وهو اسمها إلى " ابن عربي " بموضوع كتاب من أشهر كتبه " ترجمان الأشواق " ويعترف في مقدمة الكتاب أنه منذ عرف هذه الفتاة فكر في

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

تأليف قصائد غزلية موجهة إليها ظاهرياً ولكن في باطنها ومعناها " الصوفي  
" موجهة إلى الله تعالى . و " نظام " عذراء هيفاء تلقب بعين شمس  
والبهاء ومنذ هذا التاريخ نشط في الكتابة كثيراً .

مقتطفات من ترجمان الأشواق :

طلع البدرُ في دُجى الشعرِ

و سقى الوردُ نرجسَ الحورِ

غادةٌ تاهتُ الحسانُ بها

و زَها نُورُها على القمرِ

إن الفراقَ مع الغرامِ لقاتلي

صعبُ الغرامِ مع اللقاءِ يهونُ

كلما صَنَتْ تباريحُ الهوى

فضجَ الدمعُ الجوى والأرقا

واشربُ سُلَافةِ حَمَرِها بخمارِها

واطربُ على غردِ هُنالكِ يُنشدُ

أعدُ الحديثَ علي من جنباتِه

إن الحديثَ عن الحبيبِ حبيبُ

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ما حياتي بعدهم إلا الفنا

فعليتها وعلى الصبر سلام

وفي السنة التالية كتب " مشكاة الأنوار " و " حياة الإبدال " . وتنبأ " ابن عربي " بوقوع مصائب لما شاهد النجوم تتساقط تساقطاً عجيماً و وقعت هذه المصائب في السنة التالية ، فقد هبت على اليمن ربح عاتية تحمل غباراً غطى الأرض ولم يعد في وسع الناس أن يمشوا في النهار إلا في ضوء المشاعل بسبب ظلمة السماء . ثم انتشر الطاعون وفتك بأهل مكة ، والبحر يدوي دويّاً عظيماً .

وكتب في هذه السنة " الدرّة الفاخرة " ثم رحل إلى بغداد واستأنف إلى الموصل ثم عاد إلى مصر ، وعاش في زقاق القناديل بالقاهرة مع الصوفية في العبادات والمجاهدات . وفي ذات ليلة تجلى " لابن عربي " شخص رائع الجمال ألقى إليه بكلمات في غاية الحسن ومنها : " الخير في الوجود ، والشر في العدم " .

ووصلت آراءه إلى علماء الصوفية العامة وبعض الفقهاء ، فاتهموه أمام السلطان بأنه مبتدع أو كافر ، وطالبوا بسجنه ورأسه ، ولم يدهش ابن عربي من موقف الفقهاء .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أولاً - لأن الله أنذره في مكة أنه سيمتحن في سمعته في حياته وبعد مماته

ثانياً - لأنه طعن بالقول والكتابة في فقهاء المغرب والمشرق واتهم بالجهل وسوء الأخلاق .

ولكن الشيخ " أبي الحسن البجائي " سعى في خلاصه لدى السلطان فأمر بإطلاق سراحه .

وفي آسيا الصغرى استقبله الملك " كيكاسوس الأول " . ومنحه داراً فخمة أقام فيها ابن عربي ثم التقى بسائل فأعطاه هذه الدار صدقة .  
واستأنف التأليف في كتابيه " مشاهد الأسرار ، و رسالة الأنوار " . وكانت تظهر له تجليات سماوية على هيئة جسمية وتتحد بروحه في مشاهد وجدانية خارقة . وتابع رحلته حتى وصل إلى بغداد وتعرف هناك على الصوفي الشهير " شهاب الدين السهروردي " وذكر تفاصيل أول مقابلة بينهما ، نظر كل منهما إلى الآخر في صمت ، ثم انفصلا دون أن ينطقا بكلمة ، وقال السهروردي لتلاميذه : إن ابن عربي " بحر الحقائق " وتجمع حوله في بغداد التلاميذ حتى جعلوا طاعته قبل طاعة الخليفة . ثم وصل إلى حلب وكرمه الملك الظاهر وجعل له بيت خاص في بلاطه ، وبلغ من نفوذه حداً طغى على نفوذ أهل البلاط . وسلطان حمص منحه كل يوم مائة فضية لكن زهد ابن عربي جعله يتصدق بهذا المبلغ . .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أما سنواته الأخيرة فقد أصابه بما الزهد الشديد وأصيب ببعض  
الاختلال العقلي ، ويعترف هو أن عقله لم يكن يعمل بطريقة عادية حين  
يكتب مؤلفاته والتي زادت على أربعمئة كتاب . وحين كان يصنف كتاب  
" الحكمة الإلهية " أصيب في وجع بدماعه ، وضعف في ذهنه ، واشتدت  
عليه لما دخل سن الشيخوخة . واستقر ابن عربي في دمشق عام  
620هجرية . ورحب به السلطان ، وأعجب بهذا الرجل العجيب الذي  
طبقت شهرته بلاد المشرق والمغرب . وكان في الستين من عمره ، ولم  
يغادرها حتى توفي . وفي هذه الفترة اشتدت عليه الواردات الاشراقية  
وانعكست في كتبه : " الفصوص ، الفتوحات ، الديوان " وفي عام  
627هجرية أصابته هلوسة بصرية حادة جداً ويقال ظهر لعينيه شكل  
هندسي بلون أبيض يحيط باسم "هو" فلما شاهد ذلك غشي عليه . وفي  
نفس العام ظهر له الرسول وسلمه كتاب " فصوص الحكم " ويعرض فيه  
أغرب نظرياته في وحدة الوجود بشكل الهامات .  
وامتدت أيامه في دمشق ونعم بالراحة والرخاء مع أسرته ، وكان قاضي  
الشافعية " شمس الدين الخولي " يخدمه ويرعاه ، وظل يحرر مؤلفاته رغم  
بلوغه الثمانين . حتى توفي في دمشق يحيط به أهله وأتباعه الصوفية يوم  
الجمعة 638هجرية ، ودفن جثمانه خارج دمشق في قرية الصالحية على  
سفح جبل قاسيون ، وهو موضع زيارة مشهور ، وخلف بعد وفاته ولدين :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

سعد الدين محمد : كان شاعراً صوفياً له ديوان شعر مشهور توفي

في دمشق ودفن بجوار والده . عماد الدين محمد : توفي بمدرسة

الصالحية ودفن أيضاً بجوار والده وأخيه .

أما ابنته زينب فيؤكد في " الفتوحات المكية " أنها كانت منذ طفولتها تتلقى إلهاماً علوياً . ولا تزال ذكراه حية وصرجه يزار كل يوم جمعة بدمشق.

### مذهبه الروحي :

إذا كان التجلي الإلهي هو غاية " التصوف " وهو البديل عن العقل

الفلسفي واللاهوتي في الكشف عن الحقيقة فإن الزهد هو الذي يهيئ

النفس لمثل هذا التجلي .

ولقد أطلق عليه اسم " محي الدين " لأنه أحيا الحياة الدينية للروحانيات

وجددها ولقب " بالشيخ الأكبر " عند السنة والشيعة في الفرس .

والزهد في جوهره " زهد الخلوة " وفوائده المطلقة . أما قاعدة الصوفية

مبنية على أربع خصال : " الصمت ، العزلة ، الجوع ، السهر " وهذه

الخصال أسس مذهبه في جميع رسائله ، أما أوج الروحانية الصوفية فهي :

العبادة ، التأمل ، الذكر .

أما التطهير فله ثلاث مراتب هي : تزكية النفس ، تصفية القلوب ،

تجليه الروح .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

1- "أما" التوبة " يفهمها ابن عربي كما يفهمها المسيحيون بأنها: " اقتراب من الله ، وتباعد عن المخلوقات " . وقواعد الصوفي تقوم تحت رمز مؤثر هو رمز أنواع الموت الأربعة :  
الموت الأبيض : هو الجوع .  
الموت الأحمر : هو مخالفة الشهوات .  
الموت الأسود : احتمال الأذى من الخلق ، والآلام الجسمية والمعنوية  
بصبر .  
الموت الأخضر : وهو ليس المرقع من الخرق .

2- " الزهد " هو وسيلة وشرط للعشق الإلهي و المحبة . ومذهبه في المحبة اتفاق مع المسيحية : عبادة المرضى ، المسجونين ، إطعام الفقير ، إرشاد الأعمى ، إغاثة الملهوف ، وكل أعمال الرحمة التي تتناول الدواب ، الحيوانات ، البهائم ، لأنها مخلوقات الله . ويتفق مع المسيحية أيضاً في محاسبة النفس ، محاسبة صباحية ذاتية ، ومحاسبة أمام الله .

3- " المحبة " يتحدث عن حضور الهي يمنحه الله لأصفيائه فيقول :  
لقد بلغ بي قوة الخيال أن كل حي يجسد لي محبوبي من خارج عيني فلا أقدر أن أنظر إليه ، وكلما قدمت لي المائدة يقف على حرفها ويقول : "

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أتأكل وأنت تشاهديني ؟ " فامتنع عن الطعام ولا أجد جوعاً فامتلى منه وهذه نوع من كرامات الرؤية .

أما جلسات السماع عند الصوفية فيقول إنها بدعة حديثة العهد . أما الإنشاد الديني فهو غني ومتنوع ويتألف معظمه من أشعار غزلية تفهم بمعنى رمزي ، وتعبّر عن العشق الإلهي ، ويرافقها عزف على الناي ورقص وضرب للصنج من أجل إثارة الوجد . وحين يغيب أحدهم من شدة الوجد يسقط عنه الثوب فيقال : الشخص مجذوب ويتوزع ثوبه الحاضرون كعلامة للبركة لما وهبه الله من نعم وألطف ، والمجذوب إنسان مات عن الدنيا وروحه خرجت من بدنه لتتحد بالله .

أما آيات القرآن الكريم فيفضل أن تتلى بخشوع على الإنشاد . أما الكرامة فهي مواهب وفضائل للنفوس المختارة ومعناها موهبة ،

عطية . وتقسم إلى ظاهرة ، وباطنة ، وتمنح من القدرة المطلقة .

### 1-المعرفة :

هبة من الله وهي ثلاثة أنواع : المكاشفة ، التجلي ، المشاهدة .

### 2-الحب :

له ثلاث درجات :

الأولى الهوى يتولد في النفس من الإيمان بكلمة الله .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الثانية الحب ميل برضا وإخلاص وإيثار الله على كل شيء .

الثالثة العشق إفراط المحبة الذي يأسر النفس ويستولي عليها .

ويقسم الحب إلى :

1- الحب الطبيعي الذي لا ينشد غير خير المحب .

2- الحب الروحاني الذي لا ينشد غير خير المحبوب .

والله في حبه يجمع بين :

الحب الطبيعي الذي يسعى إلى خيره الخالص .

والحب الروحي الذي يسعى إلى خير المحبوب .

والحب " أزلي أبدي " لأنه من صفات الله .

قبل أن توجد الموجودات أحبها ، ولأنه أحبها خلقها ، وبعد أن أوجدها

أحبها إلى الأبد .

و الصوفية في قصائدهم الغزلية المقصود هو الله . ويؤكد أن الله

يتجلى لكل حجب تحت حجاب المحبوبة التي لا يعيشها إلا بقدر ما يتجلى

فيها من مشابحة للألوهية ، لأن الله وحده الجمال الحقيقي الجدير بالحب .

وينشد :

نعيمك أو عذابك لي سواءً

فحبك لا يحول ولا يزيدُ

فحبي في الذي تختارُ مني

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وْحُبِكَ مِثْلُ خَلْقِكَ لِي جَدِيدُ

ويورد صوفية جميلة بقوله :

يا حبيبَ القلوبِ مَنْ لِي سِوَاكَ

ارحَمَ اليَوْمَ زائراً قَدْ أَتَاكَ

أَنْتَ سؤُلي ، وَ بُغيتي ، وَ سروري

قد أَيْ القَلْبُ أَنْ يَحِبَّ سِوَاكَ

يا مُنَايا ويا سِيدي واعتمادي

طالَ شوقي متى يَكُونُ لِقَاكَ

ليسَ سؤُلي عن الجنانِ نعيمًا

غيرَ إني أريدُها لأراكا

خصائص مذهبه الروحي :

أول خاصية هي الأثر الافلوطيني المتغلغل في مذاهبه ، وتصوفه ، ثم تتجلى أحوال الجذب والفناء في الحب الإلهي . ويمتاز مذهبه في خاصيتين هما: التلفيق والاستسرار .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

1- وهو مذهب المستور المستسر ومعناه العميق غير الميسور لعامة الناس ، بل للخاصة منهم . لذا وضع معجم خاص لاصطلاحاته ، لأنه من الغموض بحيث أن فقهاء المسلمين لم يستطيعوا النفوذ إلى المعنى الحقيقي لأحواله . وتصوفه طابعه الغموض في العبارة .  
أما زهده ، فهو شعبي وميسور لعامة الناس .  
ويضع دين الصوفي فوق كل الأديان ، ويرى أن الإسلام جاء ليكمل اليهودية ، والمسيحية .  
فيقول :

لقد صار قلبي قابلاً لكل صورة

فمرعى لغزلانٍ وديرٍ لزهبانٍ

وبيتٍ لأوثانٍ وكعبةٍ طائفٍ

وألواحٍ توراةٍ ، و مُصحفُ قرآنٍ

أدينُ بدينِ الحبِ أنى توجهتُ

ركائبه فالحبُ ديني و إيماني

2- مذهبه في وحدة الوجود :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

إذا كان العالم يصدر عن الله ، والمخلوقات هي علامات وتجليات له ،  
من الواضح إدراك هذه الوحدة في الوجود . وينبغي أن يكون المطلوب  
الأسمى للتفوق . فالنفس ترجع إلى الاتحاد بالله الذي صدرت عنه .  
وقد عبر عن رأيه بما خلق الله بقوله :  
إن العارف المكمل هو من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه ، لذلك  
سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص ، حجر ، أو شجر ، أو كوكب ، أو شمس  
... الخ .

فهذا اسم الشخصية فيه ، والألوهية مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة  
معبوده . أما العارفون بالأمر فيظهرون الأفكار لمن عبد من الصور ، لأنهم  
علموا أن الوقت مجلى عظيم من مجالي الحق . فعبدوا الله فيها بحكم سلطان  
التجلي الذي عرفوه فيه ، وجهله المنكر الذي لا علم بما تجلى . . .

## النفري

يعتبر " محمد بن عبد الجبار الحسن النفري " من أساطين التصوف  
الإسلامي في القرن الرابع الهجري . و رغم إهمال المؤرخين له فقد بدأ أثره  
الكبير في عمالقة التصوف .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ولا يعرف عنه إلا إشارات خاطفة ، وهناك مؤرخ أورد ذكره مؤخراً هو حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون .

وكل من يقرأ كتابي النفري " مواقف ، ومحادثات " يلمس تلك النبرة التي تذكرنا بالكتب المقدسة الشرقية وخاصة كتابات "ماني" . ويقول الباحث " يوسف سامي اليوسف " أنه نبي مرسل إلى نفسه وحدها ، على قول ابن الفارض :

إلي رسولاً كنت مني مُرسلاً

وذاقي بآياتي علي استدلت

وقد فتح " النفري " آفاقاً في التصوف ، ووسع دائرته بحيث تشمل الأديان كلها وصولاً إلى الإنسان الكامل ، وأشار أن اللغة لا تستطيع أن تعبر وتوضح عن مكونات نفسه لأن طاقاته الروحية أكبر من الحروف والكلمات وأوضح ذلك بقوله :

" كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة "

وقد حمل على عاتقه مهمة عليا " للصوفي " متجاوزاً مقولتي الخير والشر وصولاً إلى الملاء الأعلى ، ويقدم نفسه بصمت خفي من حيث أنه نائب لقوة الخلق الكونية . إنها أزمة وصال واتصال بين العالم الأعلى والعالم الأدنى . والرغبة في الوصال الاستبصاري هي التي شحذت خيال النفري . ولديه

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ثلاث مستويات للاتصال بالحقيقة . أدناها " العلم " ، وأسمها " الرؤيا " ،  
وبينهما تقف " المعرفة " .

وليعبر إلى ساحل تجربة الاتحاد المستحيل عاش تجربة الحب الإلهي

واستضاء به . فاستغرقه الله واقفاً ومخاطباً فيقول :

" الوقفة نار الكون ، والمعرفة نور الكون "

وسجل خطراته على أنها ضرب من الإلهام على شكل خطاب الهي . .

" وقال لي :

إن أردتني بكل شيء ، وأردت بي كل شيء ، علمتك علماً لا يستطيعه

الكون " .

وتأثر بالمانوية والفلسفات السورية القديمة .

" وقال لي : أنا في كل شيء . . أبدو لك فإنني منك " .

ثم يتابع " أوقفني وقال لي :

الجهل حجاب الرؤية ، والعلم حجاب الرؤية .

فأنا الظاهر لا حجاب ، وأنا الباطن لا كشف " .

" وقال لي :

اذكريني في كل شيء . . أذكرك في كل شيء .

سل كل شيء عني . . ولا تسألني عني .

أعلن توبتك في كل شيء . . يستغفر لك كل شيء . . " .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

وفي المواقف والمخاطبات نلمس أن النفري يترجم رؤيته إزاء "الله" ،  
الإنسان ، الوجود" وهو في حالة ذهول النشوان والخطاب موجه إلى الله  
، وبذلك حقق التواصل معه . ويبرز الإنسان كخليفة لله على الأرض  
وكفاعل أول ، ويتم الاتحاد والوصول بفعل الحب لأنه يتوق إلى الأصالة  
السرمدية . فيقول :

أنا أقرب إليك من كل شيء فلا بين  
وأنا أقرب إليك منك فلا إحاطة لك بي  
يا عبد انتقل بقلبك عن القلوب التي لا تراي  
إذا كنت لي فأنت بي . وإذا كنت بي فأنت لك .  
أنا في عين كل ناظر .  
وقال لي : ما الذات ؟ قلت : أنت الله لا إله إلا أنت .  
أظهرني على لسانك كما ظهرت على قلبك وإلا احتجبت عنك بك .  
إن قبلت حسنة جعلت السيئات كلها حسنات .  
سبح إلى الأبد ، وهو وصف من أوصافي ، فخلقت من تسبيحه الليل  
والنهار ، وجعلتهما سترين ممدودين على الأبصار والأفكار ، وعلى الأفتدة  
و الأسرار .  
قل للعارفين كونوا من وراء الأقدار ، فإن لم تستطعوا فمن وراء  
الأفكار .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الصبر من السكينة ، والحلم من الصبر ، والرفق من الحلم .  
فعل القلب أصل لفعل البدن ، فانظر ماذا تغرس ، وانظر الفرس ماذا  
يشمر ؟

لو علمتك ما في الرؤية حزنت على دخول الجنة .  
ولقد عبر النفري عن طبيعة عروجه في عوالم الحب الإلهي ، بأسلوب  
نشري كأنه الشعر وما هو الشعر .

فهو عاشق يترجم عشقه بلغة التوتر الخلاق التي لا يدركها ولا يفهمها  
إلا العاشقون . لأنه تحدث بلغة الوجد المتسامي محققاً ضرباً من التكامل .  
ولقد وظف القلب ، والعقل لتجربته الروحية . فيقول:  
إن الأسماء كلها أسمائي ، وليس أسمائي في الأسماء .  
وقال لي :

أنا أقرب إلى الشيء من نفسه ، وأنا أبعد من الشيء له .

عمر بن الفارض

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

إن الغرامَ هو الحياةَ نمتُ بهِ

صَبَّأً ، فحُفِّكَ أن تَموتَ و تُعذِرَ

قُلْ للذِينَ تَقدموا قِلي وَ مَنْ

بَعدي و من أَضحى لأشجاني يَرى

عني خذوا ، و بي اقتدوا ولي اسْمَعُوا

وتحدَّثوا بصِبايَ بَينَ الوري

و لقد خلوتُ مع الحبيبِ و بيننا

سِرٌّ أرقُّ من النسيمِ إذا سَرى

و أباخَ طرفي نظرةً أملتُها

فغدوتُ معروفاً و كنتُ مُنكرا

فدهشتُ بَينَ جماليهِ و جلالهِ

و غدا لسانُ الحالِ عني مُخبرا

فأدِرُ لِحاظِكَ في محاسنِ وجههِ

تلقى جميعَ الحُسنِ فيه مُصورا

لو أن كلَّ الحُسنِ يكملُ صورةً

و رآهُ كان مُهللاً و مُكبِرا

مولده ونشأته :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

هو أبو حفص وأبو القاسم " عمر بن أبي الحسن علي بن المرشدين علي  
" ويعرف " بابن الفارض " وينعت بشرف الدين ، أي هو العارف  
بالفرائض .

هو حموي الأصل ، مصري المولد والوفاة . ويحدثنا سبط ابن الفارض  
عن جده بأنه ولد في القاهرة 576 هجرية ، وتوفي 632 هجرية ، أي في  
الربع الأخير من القرن السادس وأوائل القرن السابع ، ودفن في سفح جبل  
المقطم وله من العمر أربع وخمسون وستة أشهر وأيام .  
وسبب هجرة والده من حماة إلى مصر غامض ، وكان يفرض الفروض  
للنساء على الرجال بين يدي الحكام فلقب " بالفارض " ورفض منصب  
قاضي القضاة . واعتزل في قاعة بالجامع الأزهر ، وكان والده ذو علم  
فاعتنى بتربيته وتهذيبه وأجلسه معه في مجالس الحكم والعلم .  
ويقال أنه ينسب إلى بني سعد قبيلة " حليمة " مرضعة الرسول ، لكنه  
ولد وعاش ومات في مصر .

ويقول :

وطني مصر وفيها وطري

و لعيني مشتهاها مشهاها

وكان يحكم مصر ملوك الأيوبيين ، وكانوا محبين للعلم والأدب والدين  
والتصوف وعاصره السهروردي وابن عربي .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

منذ نشأته الأولى سلك طريق الصوفية وبدأ سياحته في وادي  
"المستضعفين بالمقطم" وكان من الفقهاء والأعلام وقاضياً ولي الأحكام ،  
وغرس في نفسه التقوى والورع والعبادة .  
يقال أنه دخل الجامع ليصلي ، والخطيب يخطب فوجد شخصاً يغني  
فنوى تأديبه سراً بعد الصلاة ، فناداه ابن الفارض للشخص فلما أقبل  
أنشده:

قَسَمَ الإلهُ الأمرَ بينَ عبادهِ

فَالصَّبُّ ينشُدُ والحلي يُسبح

ولعمري التسييحُ خيرَ عبادةٍ

لِلناسكينِ وذا لِقومٍ يُصلحُ

ويقال أن هذه الحادثة كانت سبب زهده .

رحل " ابن الفارض " إلى الحجاز ، وقال سبط ابن الفارض حين جمعه  
لدبوان أبيه فاتته قصيدة واحدة كان قد نظمها في الحجاز وأهل مكة  
يعلمونها لأبنائهم في المكاتب وينشدونها في الأسحار على المآذن، وظل ولده  
يلتمس هذه القصيدة زهاء ستين عاماً دون أن يظفر بها حتى عثر عليها  
ومطلعها :

أبرقُ بَدا من جانبِ الغورِ لامعُ

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع  
وبعد عودته إلى مصر فاضت أشعاره بوصفه لحياته مع أحبته ، وفيها  
إحساسه بالألم والسهاد على فراقهم فأنشد :  
و يفرحُ محزونٌ ، ويحيا مُتيمٌ  
و يأنسُ مُشتاقٌ ويلتذُّ سامعٌ  
كلمَ السهادُ جفونهُ فتبادرتُ

عبرائهُ ممزوجةً بدماءٍ

وقد نظم أشعاره بعضها في الحجاز ، والبعض الآخر في مصر ، وعمد في  
الطور الأخير إلى تنسيق شعره ونظمه .

سمع الملك " الكامل " به حين سمع إحدى قصائده المشاعة تنشد في  
قصره ، وكان ابن الفارض في الطور الأخير من حياته ، فأوفد إليه كاتب  
سره ومعه ألف دينار فرفضها وتأبى عن مقابلة الملك ، فقصد الملك إليه  
بالجامع الأزهر وحين أحس بقدمهم ، خرج من الباب الآخر وسافر إلى  
الإسكندرية وأقام بجبل " المنار " وعاد بعد فترة متوعكاً إلى الجامع ، وأراد  
الملك أن يبني له تربة خاصة به ليدفن فيها رفض أيضاً .

وافته المنية 632هجرية ، ودفن بسفح جبل " المقطم " تحت المسجد  
المعروف بالفارص وهو في أعلى الجبل المذكور ، وكان الناس يتهافتون على  
حمل نعشه ، والأميرة " جميلة كريمة الخديوي إسماعيل " أنشأت بجوار قبره



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

قبة كبيرة دفنت فيها ابنها وغرست الأشجار والأزهار وكأنها هيأت للشاعر العاشق أن تحيا روحه في ظل الجمال الذي فاضت روحه بحبه .

### حياته الصوفية :

هي مزاج من العمل والذوق والرياضات والمجاهدات وبدؤها في وادي المستضعفين في جبل المقطم ، ثم رحل إلى الحجاز سائحاً في أودية مكة . كان جميلاً نبيلاً كريماً ، فصيح العبارة ، عذب المنهل والمنبع . وكانت له أربعينيات متواصلة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام فيها ، ويروى أنه في آخر أيام من أربعينياته اشتتت نفسه لونهاً من الطعام فأخذ يطالبها بالصبر ولكنها ألحت بشدة ، فاشترى هذا اللون ودخل إلى قبة الشراي ، ولم يكد يرفع أول قطعة إلى فمه حتى انشق جدار القبة وخرج شاب جميل أبيض الثياب ولامه إن أكلها فألقى بها قبل أن تصل إلى فمه ، وأدب نفسه بزيادة عشرة أيام على الأربعين.

في مكة كان يصحبه سبع كبير ينخ له كما ينخ الجمل ويقول له: اركب يا سيدي ! ويقال أنه كان يقضي أغلب أوقاته دهشاً شاخصاً ببصره لا يسمع ولا يرى من يكلمه ، وهو في غيبته كانت ثمراته قصائده . خاصة وأن قوام المكاشفات الصوفية والفتوحات الإلهية هو التأمل وتركيز الشعور في نقطة واحدة ، وتعطيله أو غيبته عن كل ما عدا هذه النقطة بحيث يستوعب جمال الوجد أو الغيبة ويدرك الحقائق ويكشف الأسرار .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

كان " ابن الفارض " محباً للجمال ، وكان صورة لمواجيده وأذواقه  
الروحية . وأصبحت كل الكائنات مظاهر لحقيقة واحدة هي " الذات  
العليا " التي أحبها وانجذب إليها ، وهام بها لحد الفناء ، وأحب الجمال  
بكل صوره فقال :

وَصَرَخْ بِإِطْلَاقِ الْجَمَالِ وَلَا تَقْلُ

بتقبيده ميلا لُزخرفِ وزينة

فكلُّ مليحٍ حُسْنُهُ من جماله

مُعَارَ لُهُ بَلْ حُسْنِ كُلِّ مَلِيحِهِ

وكان إذا استمع وتواجد وغلب عليه الحال ، ازداد وجهه جمالاً ونوراً  
وتحدر العرق من جسمه حتى يسيل تحت قدميه .  
سمع مرة فرقة من الحرس ينشدون فأثار نشيدهم كوامن نفسه ، فإذا هو  
يصرخ ويتواجد ويرقص كثيراً ، ويخلع كل ثيابه ، ثم يحمل إلى الجامع الأزهر  
، وهو على هذه الحال ، ويظل في سكرته أياماً . وقد عبر الصوفية عن  
هذا بقولهم :

" إن العبد إذا تخلق ثم تحقق ثم جذب اضمحلت ذاته ، وذهبت صفاته  
، فتلوح له بروق الحق بالحق ، ويرى الله في كل عين ولا يراه سواه " .  
وعبر ابن الفارض بقوله :

تراه إن غاب عني كل جارحة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

في كل معنى لطيفٍ رائعٍ بهيج

في نعمة العودِ و النأيِ الرخيمِ إذا

تألّفا بين ألحانٍ من الهُج

و في ساحبِ أذيالِ النسيمِ إذا

أهدى إلى سميراً أطيّب الأرج

وفي مساقطِ أنداءِ الغمامِ على

بساطِ نورٍ من الأزهارِ مُنتسج

ويقال بمدينة " بنسا " بصعيد مصر ، كان يقيم في بيت فيه بعض  
الجواري المغنيات الضاربات على الدفوف ، وكان يقصد هذا البيت حيث  
يلقي نفسه في غمرة من غمرات السماع يتولد منه "الوجد ، الدهش ،  
الغيبة" يقضي الليلة ثم يعود إلى القاهرة فيقول :

ويحضرنني في الجمع من باسمها شدا

فاشهدها عند السماع بجملي

فمني مجذوب إليها وجاذب

إليه ونزع النزاع في كل جذبة

وحياته النفسية تتنازعها قوتان :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الروح تنجذب إلى أعلى وتجبر معها الحياة النفسية  
و النفس تهبط إلى أسفل وتجبر معها الحياة النفسية  
وهنا تكون الحركة والاضطراب ، وهما أظهر آيات الرقص .  
ويشبه ابن الفارض حاله عند السماع بحال طفل ، الذي يسكن  
اضطرابه كلما حركت يد مربيه مهده فيقول :

يناعى فَيَلْغِي كُلَّ كِلِّ أَصَابُهُ

و يصغي لِمَنْ ناعاهُ كالمُنصتِ

فرفض ابن الفارض رقص يشهد الواجد فيه الموجود ، ويغيب به عن  
وجده بحيث يصبح وجده وجوداً كما عبر عنه " الجنيد " :

وقد كان يطربني وجدني فأقعديني

عن رؤية الوجد من الوجد في الوجد موجود

وهذه المواجيد والأحوال تصدر عن شعور باطني عميق ، يستغرق الحياة  
النفسية كلها إلى نقطة ينجذب إليها الشعور ، وقد قال وليم جيمس :

" إن الحالات الصوفية قد تزيد في نشاط النفس "

كراماته :

منها

1- حين كان السهروردي في مكة في يوم الطواف بلغه أن "ابن

الفارض" هناك فاشتاق إلى رؤيته وبكى وقال في نفسه : ترى هل أنا عند الله

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

كما يظن هؤلاء في؟ . وهنا ظهر " ابن الفارض " وقال له : يا سهروردي لك البشارة ، فاخلع ما عليك فقد ذكرت على ما فيك من عوج .  
وابن الفارض شعر بالسهروردي ولم يكن قد رآه بعد ، وكأن روحه تتصل بروحه وتخطبها وهذا ما يسمى في علم النفس الحديث " الشعور عن بعد "

كان هذا اللقاء 628هجرية ، وألبسه السهروردي خرقة الصوفية المعروفة باسمه على طريقته الخاصة .

2- استدعاه الشيخ " أبي الحسن البقال " وهو في مصر لابن الفارض وهو في الحجاز ليحضر موته ، وأحس ابن الفارض بحال أستاذه وشيخه ورآه يحتضر .

والأرواح تشعر من بعيد بما يقع للأخرى .

3- وقال الجعبري أحد الذين حضروا احتضار " ابن الفارض " أن تمثلت له الجنة أمام عينيه ، ولكنه ما كاد يراها حتى تأوه وصرخ صرخة عظيمة ، وبكى بكاء شديداً وتغير لونه فقال :  
إن كان منزلي في الحب عندكم

ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

أمنية طفرت روحي بها زمناً

واليوم أحسبها أضغاث أحلام

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ثم تملل وجهه وتبسم وقضى نخبه فرحاً مسروراً ، فعلمت أنه أعطي مرامه .

آثاره :

نكاد لا نعرف لابن الفارض آثاراً أدبية أو صوفية غير ديوانه وهو مرآة صادقة ينعكس على صفحاتها ما فاضت به نفس الشاعر من " حب الهي " وقد جعل هذا الديوان من ابن الفارض " سلطاناً للعاشقين ، وإماماً للمحبين " . وهو الملقب في جميع الآفاق : بسطان المحبين والعشاق .

وهذا الديوان على ضآلته يمكن أن يعد تراثاً روحياً خصباً خالداً . وكان ابن الفارض كلفاً بالتكلف والتصغير ، مثلاً يقول : أهيل بدلاً من أهل ، وحببي بدلاً من حبيبي ، وشاعت في الكثير من قصائده كما يدل قوله : ما قلت حُبِّي من التحقير

بل يعدُّ اسمُ الشخصِ بالتصغير وتكثر في شعره المحسنات البديعية ، ورغم ذلك يمتاز شعره بدقة المعنى ، وعمق الفكرة ، وبعد الخيال ، وجمال الصورة . ولديوانه نسخ كثيرة منها مخطوط ومنها ما هو مطبوع .  
غيري على السلوان قادر

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وسواي في العشاق غادر

ومن تائيته الكبرى :

سَقَنِي حُمِيَا الْحَبِّ رَاحَةً مُقَلَّتِي

و كأسِي حُمِيَا مِنْ عَلِي الْحَسَنِ جَلَّتْ

ومن الميمية :

شَرِينَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً

سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرَمُ

وقد ذاع شعر ابن الفارض في المشرق والمغرب الإسلاميين ، وتجاوزه إلى البلاد الأوروبية ، وترجم إلى لغات مختلفة وأنشأ حوله دراسات وبحوث وترجم إلى اللاتينية . ويقال أن " ابن عربي " أرسل إلى ابن الفارض يستأذنه في وضع شرح لتائيته الكبرى فأجابه بقوله : كتابك " الفتوحات المكية " شرح لها .

وأهل الطرق الصوفية يستعينون بشعره على خلق جو فياض بالانفعال

من بكاء وتواجد وتأثر عميق عند سماع أبيات من خمريته أو تائيته الكبرى والصغرى . ويقال أن شخصاً أمياً حفظ الديوان دون أن يفهم معانيه . ومن خمريته :

مَا بَيْنَ مَعْتَرِكِ الْإِحْدَاقِ وَالْمُهْجِ

أَنَا الْقَتِيلُ بِلَا إِثْمٍ وَلَا حَرْجٍ

ومنها :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

قلبي يُحدثني بأنك مُتلفي

رُوحِي فداك عرفتَ أو لم تعرفِ

تِه دلالا فأنتَ أهلٌ لذاكا

و تحكم فالحسنُ قد أعطاكَا

وفي تائيته الكبرى انتهى إلى مذهب صوفي في الوحدة ، وانطوى على

كثير من المنازع الفلسفية .

أما في خمريته أعطى نظرية في المحبة من حيث هي أصل الخلق والمنبع

الذي فاض منه كل شيء . . .

### الحب الإلهي وابن الفارض

اتخذ الصوفية الغزل في شعرهم أداة لبث حبههم للذات الإلهية . وابن

الفارض يعد شعره في الحب الإلهي أرق وأسمى ما وصل إليه الغزل الصوفي

العربي من دقة الوصف ، ورقة الشعور ، وخفة الروح، وتعنى بالجمال ،

والحب ، والخمر الروحي الذي كنى به "الحب الإلهي" والمعرفة الإلهية ،

وشاعت في ديوانه ألفاظ الغزل والخمر ، الحب ، العشق ، الهيام ، الهوى ،



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

الغرام ، الصباية ، الشوق والاشتياق ، الجوى ، القرب والبعد ، والوصال  
والصد ، وفاضت بما قصائده .

يقول في تائيته الكبرى :

وجاوزتُ حدَّ العشقِ فالحب كالثقل

و عن شأو معراج اتحادي رحلتي

فطبُّ بالهوى نفساً فقد سُدت أنفس

العبادِ من العبادِ في كل أمة

وفي لاميته يقول :

هو الحبُّ فاسلمُ بالحشا و الهوى سهلاً

فما اختاره مُضنى به و له عقلُ

وقوله :

وما بين شوق واشتياق فنييت في

قول بحظر أو تجل بحضرة

ويستعمل ضمير المفرد أو المثنى أو الجمع أو الغائب ، وتارة يذكر اسم

المحبوبة " ليلي " وتارة " سلمى " ومرة " سعاد " . ويتغنى بالخمير في بعض

أبيات تائيته الكبرى والصغرى . وهذا الخلط بين " الحبيب الإلهي والإنساني

" بأسلوب الرمز والإيحاء والتلويح ما قاله :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

بها لم يبيح من لم يبيح دمه وفي الـ

إشارة معنى ما العبارة حدث

وفي أبيات أخرى يفهم شعره على أنه مذهباً إنسانياً .

فيقول :

ولما تلاقينا عشاء وضمنا

سواء سبيلي دارها و خيامي

فرشت لها خدي وطاء على الثرى

فقال لك البشرى بلثم لثامي

فما سمحت نفسي بذلك غيرة

على صونها مني لعز مرامي

وبتنا كما شاء اقتراحي على المنى

أرى الملك ملكي والزمان غلامي

ويقول :

أهواهُ مهفهفاً ثقيلاً الردفِ

كالبدْرِ يُجِلُّ حُسْنَهُ عن وصفِ

ويقول :

ما أحسنَ ما تبنا معاً في بردِ

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

إذ لاصقَ خدهُ اعتناقاً خدي

هل كان حب ابن الفارض إنسانياً قبل أن يتصوف ويتجرد ؟ . . قيل  
في هذا الصدد :

إنه صعد منارة المسجد ، فرأى امرأة جميلة فوق سطح البيت ، فاشتعل  
قلبه وهام مع الهائمين وتلك المرأة زوجة أحد القضاة ، وربما أخفق في حبه  
الإنساني ولم يصب ما يصبو إليه قلبه فانتقل من مرحلة الحب الإنساني إلى  
مرحلة الحب الإلهي للتسامي بعاطفته عن هذه الأرض وربما الفكرة القائلة أن  
:

" الدين غالباً ما يكون بمثابة الملاذ الأسمى للعاشقين الذين ما تزال فيهم  
بقية من حياة ليست خلواً من المعنى " .  
فيقول :

فالوجدُ باقٍ و الوصالُ مُماطلي

والصبرُ فانٍ و اللقاءُ مُسوفي

لم أخلُ من حسدٍ عليكِ فلا تصنعِ

سَهري بتشيعِ الخيالِ المُرجفِ

ومن خمريته :

سَقَتني حميا الحبِ راحةً مُقلتي

و كَأسي محيا مَن عن الحُسنِ جلتِ

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

فأوهمتُ صُبحي أن شربَ شراهم

به سُرَّ سرِّي في انتشائي بنظرة

و بالحدق استغنيثُ عن قدحي ومن

شمانلها لا من شمولي تشوتي

وفي تائيته الكبرى . .

رمز إلى الحب الإلهي " بالحميا " وإلى وجه المحبوبة بالكأس ، والحب

الإلهي بالمدامة . فقال :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بما من قبل أن يخلق الكرم

والحب عند ابن الفارض هو المنبع الفيض بالخلق ، ففي خمريته يرمز إلى

الحبة الإلهية بالشمس :

لها البدرُ كأسِي و هي شمس يُديرها

هلالٌ وكم يبدو إذا مزجتُ نجم

والحبة الإلهية :

وجدت منذ الأزل وإلى الأبد باقية خارجة عن قيود الزمان والمكان

فيقول :

ولا قبلها قبلٌ ولا بعدَ بعدها

و قبيلةُ الأبعادِ فهي لها حتم

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وعصر المدى من قبله كان عصرها

وعهد أبينا بعدها ولها اليتيم

والحبة منبع فيض بالآثار الكونية :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه

يفنى الزمان و فيه ما لم يوصف

ورغم أن الحب يؤثر في نفس الحب ، ويحمله المشقة و الألم ، ورغم

المعاناة يبقى راضياً بأهوال الحبة ومحمّل لها . فيقول :

هي قبل أن يفنى الحب مني بقية

أراك بها لي نظرة المتلفت

ومني على سمعي بلن إن متعت أن

أراك فمن قبلي لغيري لذة

فعندي لسكري فاقّة لإفاقّة

لها كبدي لولا الهوى لم تُفتت

وكل أذى في الحب منك إذا بدا

جعلت له شكري مكان شكيتي

أما حالة الفناء :

فأفنى الهوى ما لم يكن ثم باقياً

هنا من صفات بيننا فاضمحلّت

وكنت بها حباً فلما تركت ما

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أريد أراذني لها و أحببت  
فصرت حبيباً بل محباً لنفسه  
و ليس كقول مر نفسي حبيبي  
والاتحاد في ذات المحبوبة وقد تجلت له على صفحة مرآة المظاهر  
الكونية:  
جلت في تجليها الوجود لناظري  
ففي كل مرئي أراها برؤية  
ومن أنا إياها إلى حيث لا إلى  
عرجت وعطرت الوجود برحمتي  
و حين يصحو يدرك وحدته مع المحبوب :  
ففي الصحو بعد الخو لم أك غيرها  
و ذاتي بذاتي إذا تجلت تجلت  
والذات العليا معنى لجمال المحبوبة :  
قال لي حسن كل شيء تجلى  
بي تملى فقلت قصدي وراكا  
لي حبيب أراك فيه معنى  
غر غيري و فيه معنى أراكا

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ويرى أن السماع يصفى النفس ، ويرقق الحس للسمو إلى أوج الحياة  
الروحية في طريق المحبة الإلهية .  
و لي في الهوى علم تجل صفاته

ومن لم يفقه الهوى فهو في جهل  
ومن لم يكن في عزة الحب تائهاً  
بحب الذي يهوى فبشره بالذل

ويقول :

و يحشر العاشقون تحت لوائي

وجميع الملاح تحت لواكا

وتبقى الصلة وثيقة بين الحب والمعرفة ، والفناء هو جسر العبور للمحب  
والعارف فيقول :

مالي سوى روحي و باذل نفسه

في حب من يهواه ليس بمسرف

و يصف الخمر بقوله :

يقولون لي صفها فأنت بوصفها

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

خبير أجل عندي بأوصافها علم  
صفاء و لا ماء ولطف و لا هوا  
و نور و لا نار وروح و لا جسم  
وقامت بها الأشياء ثم لحكمة  
بها احتجبت عن كل من لا له فهم  
و هامت بها روحي بحيث تمازجا  
اتحاداً و لا جرم تخلله حرم  
فقد وقع التفريق و الكل واحد  
فأرواحنا خمر . . و أشباحنا كرم  
والنفس هي مصدر المعرفة وتتجلى للفاني أو النائم ، فالحب والمعرفة  
يرتكزان على الشعور الباطن دون العقل المفكر ، ونفسه التي تجردت من  
ميولها ورغباتها هي الحجاب الكثيف بين المحب ومحبوته . فيقول :  
أغار عليها أن أهيم بحبها  
و أعرف مقداري فأنكر غيرتي



## جلال الدين الرومي

ولد في بلخ عام 604هجرية . والده بهاء الدين ولد ينتهي إلى أبي بكر الصديق ، وكان من العلماء ويجمع في حلقات درسه الكثيرون .  
جافاه أحد ملوك " الخوارز " فهاجر بلده مصطحباً ابنه " جلال الدين " . وفي نيسابور قابل " فريد الدين العطار " فبشره أن لولده استعداداً طبيعياً لمستقبل باهر ، وأهدى إليه نسخة من ديوانه " أسرار نامه " .  
وفي طريق الحج التقى والده بالسيد " برهان الدين الترمذي " وهو من كبار المتصوفة وتباحثا في موضوع التصوف ، فأصبح جلال الدين منذ ذلك الحين ميالاً إلى العلوم الباطنية ، ثم انقطع إليها .  
سكن مع والده دمشق مدة ، ثم رحل إلى بلاد الروم ، واستقر في مدينة " قونية " بناء على دعوة السلطان " علاء الدين السلجوقي " واشتغل والده بالتدريس وبعد وفاته خلفه ولده " جلال الدين " فاشتهر وتمأقت عليه الطلاب لكنه مال إلى التصوف ، وانتسب إلى حسام الدين الجلي ، وبارشاده نظم ديوانه " المثنوي " ويقدر بـ/26/ ألف بيت وجعله في ستة أجزاء ، ويعد من أروع ما أنتجه الفكر ، ويشتمل على قصص دينية وأخلاقية بأسلوب رشيق جذاب .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وهام مع " شمس الدين التبريزي " في البادية متصوفاً على الطريقة المولوية ونظم ديوانه " شمس تبريز " ويقع في /33/ ألف بيت وكله في الغزل الصوفي الجياش بالعاطفة الملتهبة ، والشعور الفياض . ويعد " جلال الدين " من كبار مشايخ الطرق ، والأولياء، وذاعت شهرته في كل العالم الإسلامي . توفي 672هجرية عن عمر بلغ 69 عاماً . مرقدته في " قونية " موضع للإجلال ومحط الرحال .

وجلال الدين مؤسس الطريقة المولوية وشعراء المولوية يحيطون العطار بمالات من الحرمة والقدسية لأنه غرس حب " جلال الدين العطار " في قلوب أصحابه ويجمع المؤرخون على أن عمدة التصوف الفارسي : سنائي ، العطار ، جلال الدين الرومي .

مقتطفات من شعره :

ذلك العشق الذي زاد الضنى

ما حكى عنه فقيه في الدنى

بحياتي كنت جربت الردى

فلأمت بالحب كي أخلدا

اقتلوني، اقتلوني يا ثقات

إن في قتلي حياة في حياة

يا منير الخد يا روح البقا

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

اجتذب روحي و جد لي باللقا  
لي حبيب حبه يشوي الحشا  
لو يشا يمشي على عيني مشى  
لم يطق صبراً على نار الجوى  
و هوى صدر جهان والنوى  
كم وكم جريت يا باهي السننا  
لم أجد إلاك حلواً في الدين  
من فراق الحل يختل الحجا  
و هو مثل البدر في جنح الدجى  
من فراق الغصن يصفر الورق  
مثلما يمسي محيا من عشق  
فالفراق النار و النار الفراق  
حيث لا يرجى من الحب التلاق  
دل على العشق و حبيب قلبها  
ما شف هذا الجسم غير حبها  
من قصيدة " الناي " :  
من جروح ترى بصدري الحزين  
أبعث الصوت مشبعاً بالأنين

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فتراني بكل ناد أنوح

وفؤادي من الغرام جريح

تلك نار بقلبه و هيام

حين جاشت من الغرام المدام

شفني لو تحالفت مع قلبي

كنت أفشي كالنأي أسرار حي

### مداخلة

أهم ما يميز القرنان السادس والسابع الهجري ظهور ابن العربي، وابن الفارض، المدرسة الوجودية معروفة باسم ابن العربي. أي وجود الله هو عين وجود العالم.

فالاتحاد والحلول ووحدة الوجود، يختلف بعضها عن بعض، ويدل بعضها على ما لا يدل عليه البعض الآخر.

فابن الفارض اتحادي والحلاج حلولي وابن عربي وحدة الوجود.

الحلاج كان يعتقد بحلول الخبواب في الحب. ويتفق "جلال الدين

الرومي" مع الحلاج في الحلول فيخاطب محبوبته بقوله:

"سعيدة هذه اللحظة التي أرايك وإياك فيها جالسين في القصر، بما لنا

من صورتين ووجهين، ولكن جمالك ولي من روح واحدة".

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ابن الفارض أدرك الوحدة بين نفسه وبين الذات الإلهية ، ويشبهه الحلاج في حاله وعاطفته فكلاهما رجل سيطر الحب على نفسه سيطرة قوية. وجلال الدين الرومي " الشاعر الفارسي الصوفي " يشارك ابن الفارض في مذهبه فكما يقرر ابن الفارض أن الذات الإلهية قد جلت له الوجود في تجلها حتى أصبح يشهدها في كل مرئي . كان جلال الدين يرى أن العوالم الظاهرة ليست إلا صوراً لذات الله . والوجود الحقيقي لا يفنى ، إنما هو ذات الله وحده .

ابن عربي لا يختلف مذهبه عن مذهب ابن الفارض في إثباته لوحدة الشهود ، ونفيه للحلول ، فهو كابن الفارض صاحب ذوق ، وحال ، وفناء.

ونادى ابن الفارض بوحدة الأديان لأنها مختلفة في ظاهرها ، متفقة في

جوهرها وتدعو الجميع إلى عبادة إله واحد ، فيتفق مع الحلاج وابن عربي، والحلاج أول قائل بوحدة الأديان .  
وبلخص مذهب ابن الفارض بقوله :

إن الذين ضلوا السبيل ولم يهتدوا إلى معرفة الله ليسوا بأقل إيماناً ولا بأكثر زيفاً من الذين عرفوه واهتدوا إليه . لأن الله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فيرى أن المجوس لم يعبدوا النار ، إنما هم رأوا نور الذات الإلهية فتوهموه ناراً فعبدوها ، وضلوا في الهدى بنور الهدى .

وكذلك الحلاج يرى أن الله شغل بكل دين طائفة لا اختياراً منهم بل اختياراً عليهم .

وقد قال الله تعالى :

" كان الناس أمة واحدة " .

وعباد الله مجبولين على طاعته من حيث الفطرة الأصلية ، فبعث الله لهم الأنبياء مبشرين ، فمن اتبع الرسل من حيث اسمه " الهادي " ومن خالف الرسل من حيث اسمه " المضل " . فاختلف الناس ، وافتقرت الملل ، وظهرت النحل ، وذهبت كل طائفة إلى ما علمته أنه صواب .

أما لفظة القطب بمعنى الإنسان الكامل عند الصوفيين . لأن القطب هو الذي تدور حوله أفلاك الوجود من أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ الوجود وإلى الأبد . ويقول ابن الفارض :

و عن مذهبي في الحب مالي مذهب

و إن ملت يوماً عنه فارقت ملتي

و لو خطرت لي في سواك إرادة

على خاطري سهواً قضيت بردتي

وما احترت حتى اخترت حبيبك مذهباً

فوا حيرتي إن لم تكن فيك خيرتي

## أبو حامد الغزالي

ولد محمد الغزالي " أبو حامد " في مدينة طوس من أعمال خراسان 450هجرية . والتي كانت مدرسة للتصوف في ذلك العصر . ولما توفي والده وكان رجلاً فقيراً يشتغل بغزل الصوف وبيعه ويتبع مذهب التصوف وسط الفقر والحاجة كان قد أوصى بولديه أحمد ومحمد إلى صديق له فقام الرجل على رعايتهما وتعليمهما حتى عجز عن الإنفاق عليهما فدفع بهما إلى نظامية نيسابور ليتابعا التعليم وليحصل لهما القوت .

درس الغزالي على أشهر معلمي عصره ، وتلقى علوم الفقه والجدل والفلسفة حتى بلغ الثلاثين ، وقصد الوزير نظام الملك وراح يحضر مجالسه

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وينظر الأئمة والعلماء حتى كان له التفوق عليهم فذاع صيته ، فاختره الوزير للتدريس بمدرسة النظامية ببغداد عام 484هجرية ، وبقي فيها أربع سنوات حتى اكتسب شهرة واسعة . ثم انكب أبو حامد على تعلم الفلسفة عن طريق مطالعته الشخصية، وبدأ يبدي عدم اطمئنانه في شكوكه الفكرية، وبلغت شكوكه ذروتها فعزم على ترك التدريس والأهل والمال والولد وخرج من بغداد عام 488هجرية . وانصرف إلى البحث عن حقيقة التصوف، وبدأ يحب البلاد على طريقة أهل التصوف وآثر حياة التقشف والزهد ، متنكراً في زي الفقراء ، ويده عكاز وعليه مرقعة ، وعلى عاتقه ركوة . ورآه أحد القضاة وعرفه حين كان في بغداد يدرس أفاضل الناس فدنا منه وسلم عليه وقال له : يا إمام أليس تدريس العلم ببغداد خير من هذا ؟ . فنظر إليه شزراً وأنشده :

تركتُ هوى ليلى إليّ بمغزلٍ

وعدتُ إلى تصحيح أول منزلٍ

ونادتُ بي الأشواق مهلاً فهذه

منازلٌ من تهمى رويدك فانزل

غزلتُ لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد

لغزلي نساجاً فكسرتُ مغزلي

ودام ذلك التطواف لأبي حامد عشر سنوات ما بين بيت المقدس ومكة

. ثم الاعتكاف في الجامع الأموي بدمشق وما زالت فيه زاوية تعرف



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

بالغزالية . وأثناء اعتزاله في الجامع الأموي ألف كتابه الشهير " إحياء علوم الدين " ويعتبر موسوعة عند المتصوفين .

ثم عاد إلى مسقط رأسه في " طوس " وراح يوزع وقته بين مجالس المتصوفة ، وتدريس طلبة العلم ، ونشر علوم التصوف ممزوجة بعلوم الدين ، وذاع صيته في البلاد ولقب بزعيم الصوفية وفقبه الأمة ، وإمام الفلاسفة

وتعرف على الثقافات المختلفة وقال في كتابه " المنقذ من الضلال " :

أن الحق لا يعدو واحداً من أربع فرق هي : الباطنية ، الصوفية ، المتكلمة ، الفلاسفة . وإن ذلك الحق موجود في الصوفية دون سائر الفرق الأخرى . ورغم معارضته للفلاسفة والرد عليهم نقل مصطلحاتهم وأفكارهم

وعشق من التصوف نظرية الأشراقين " في الفيض والتلقي " ووجد في التصوف الطريق إلى الحقيقة الخالصة ، أما المعرفة فتطلب تجربة مباشرة بينما العلم لا يشترط التجربة .

ويقول العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب ، أما الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها ويسمى علم المكاشفة علم الباطن . وأفى زهرة حياته وهو يطلب العلم والمعرفة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وسعت إليه الملوك يطلبون وده . و تطامنت أمامه هامات الفلاسفة  
والعلماء. وبقي حائراً يحس بظماً ملح إلى الإيمان بحقائق ترضي عقله وقلبه  
وروحه .

درس العلوم كوسيلة للمعرفة ، ودرس علم الكلام ليصل إلى الله، ودرس  
الفلسفة ليرضي عقله ، ولكنها زادتته شكاً .

ويقال أنه التقى بالشيخ " يوسف النساج " وقص عليه رؤيا حصلت له  
في المنام وكانت تلك الرؤيا خاتمة الجهاد النفسي العنيف، والخيط الأول  
للفلسفة الغزالية الروحية ووجد في الحب الإلهي غاية الحياة .

وأصبح من أكبر أصحاب المذاهب الفكرية ، وحطم الفلسفة والمذاهب،  
وخاطب القلب والروح ، وتراثه خلاصة جهاد القلب والعقل ووحى الروح  
والإلهام ، وعلم الناس أن الحياة محبة .

محبة الله ، محبة الأنبياء ، محبة البشرية ، محبة الخير .

وكان موضع إعجاب وانتقاد من الكثيرين ، ويقال أن كتبه حُرقت في  
المغرب والأندلس 507 هجرية ، قرطبة والسعودية وقفت موقفاً حاسماً من  
مؤلفات " الغزالي " حتى عصرنا هذا .

## فريد الدين العطار " النيسابوري "

الغموض يكتنف سيرة العطار في كل جوانب حياته ويمتد حتى إلى " اسمه  
، لقبه ، كنيته " ثم أجمعوا على أن اسمه " فريد الدين أبو حامد بن أبي  
يعقوب اسحق العطار " .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

وكان والده يعمل عطاراً وكان من مريدي الشيخ الصوفي "قطب الدين حيدر" في نيسابور ، ووالدته من أهل المعنى وبكاها العطار بعد وفاتها وقال : " لم يكن لي أنس إلا بأمي ، كم أشدت أوزي وكانت لي حصناً ودرعاً " .  
ويقول كانت رابعة الثانية وبقيت تسعة وعشرين يوماً تلبس حقير الثياب وخشنها وتقوم الليل دعاء وبكاء .

أما العطار قد ألصق به منذ كان يعمل صيدلياً ، ويملك دكاناً للعطارة ويعمل بالطب وقد ورث عن أبيه العطارة واكتسب منها ثروة طائلة حتى قيل أنه أصبح مالكاً لجميع حوانيت العطارة في نيسابور .  
ورجح مولده عام 545-550هجرية . ويقول محدثاً نفسه : "إن كنت قد قضيت سبعين عاماً ، فليس هذا بعجيب ، ولكن العجيب أن نفسك تزداد سوءاً في كل لحظة " . ويفترض أنه توفي 627هجرية . واختلف الباحثون في تحديد سنة وفاته الحقيقية وكيفية وفاته . يقال أنه هرب من " نيسابور " عندما هاجمها المغول وأحرقوا كل عود أخضر . ويقال أن جنود المغول أسروه وأراد أحدهم قتله ، ولكن أحد مريدي الشيخ تدخل وطلب أن يدفع مبلغ ألف درهم ليفدي بها " العطار " ولكن العطار رفض .  
ومغولي آخر قال مازحاً ، إني أدفع ثمناً له صندوقاً من التبن فوافق العطار على هذه الصفقة فزاد ذلك من حنق المغولي فقتله . ويقال أن العطار ضربت عنقه فحمل رأسه بين يديه مدة من الزمن وهو يؤلف كتابه "يسير

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

نامة" أي كتاب مقطوع الرأس ، وربما تكون القصة خرافة رويت من نفوس غمرها الإعجاب بروحانية العطار ، ويرجح أن العطار توفي وفاة طبيعية . ومقبرة فريد العطار في نيسابور ، وقد كتب على شاهد القبر مقدمة " منلق الطير " ونص شعري من عشرين بيتاً .

ويكتنف العطار الشك في كل ما قيل عن أخبار من خلفهم ، فمن قائل أنه لم ينجب مطلقاً ومن قائل أنه أنجب ولداً واحداً ، ولكن إحجام العطار عن ذكر زوجته وأولاده في كتبه يجعلنا نشك في أنه تزوج وخلف . وهناك قصة يرويها أحد كتاب التراجم في مقدمة الترجمة لكتابه " الإلهي

نامة " يقول : إن العطار كان له عشرة أبناء وقد وقعوا في أسر قطاع الطرق، وهؤلاء اللصوص ضربوا أعناقهم الواحد تلو الآخر ، والعطار في كل مرة يرفع عينيه إلى السماء وهو يتسم وما أن جاء دور ابنه العاشر والأخير حتى قال ذلك الابن : ما أقسى ذلك الأب الذي يتسم وهو يرى أولاده يموتون تلك الميتة . فرد العطار قائلاً : بني العزيز لا حول ولا قوة أمام من يأمر بهذا "أي الله". وما أن سمع اللصوص ذلك الجواب حتى أطلقوا سراح الولد العاشر ، وطلبوا المغفرة وتابوا وأصبحوا من مريديه .

### حياته الصوفية :

هناك روايات كثيرة عن كيفية تحول العطار إلى طريق التصوف . تقول رواية " دولتشاه " ورواية " عبد الرحمن الجامي " في كتابه نفحات الأنس :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ذات يوم كان العطار في دكان عطارته فجاءه فقير وقال له عدة مرات :  
أعطني شيئاً لله . فلم يأبه بالفقير ، فقال الفقير: أيها السيد كيف تموت ؟ .  
فقال العطار : كما ستموت أنت. فقال الفقير : أيمكنك أن تموت مثلي ؟ .  
فقال العطار : نعم . فوضع الفقير قدمه تحت رأسه وقال : الله . وأسلم  
الروح ، فتغير حال العطار ، وتخلص من متجره ، واتبع طريق التصوف .  
ثم ذهب إلى صومعة الشيخ " العارف ركن الدين " وتاب على يده وبدأ  
بمجاهدة نفسه وبالرياضة الروحية . فيفهم من الرواية أن تحول العطار إلى  
التصوف كان فجائياً . وفي رواية أخرى في مقدمة كتاب " تذكرة الأولياء "  
أن العطار كان مولعاً بالصوفية منذ صغره فيقول: " باعث آخر لتأليف  
الكتاب هو أنني كنت أشعر منذ الطفولة بمحبة زائدة تجاه هذه الطائفة تروج  
في قلبي ، كما كانت أقوالهم تسعدني " . ثم يخبرنا أنه ألف كتاب " مصيبت  
نامة ، وإلهي نامة " في دكانه فيقول : " مصيبت نامة " هي حسرة العالم . "  
إلهي نامة " هي الأسرار المشهودة . بدأتها في الصيدلية وسرعان ما تفرغت  
منهما .. وإذا كان العطار صوفياً منذ صباه ، فلم هجر دكانه ؟ . ربما لأن  
حالة الوجد غلبت عليه وزاد عشقه الصوفي ، فأصبحت العطار حجاباً في  
طريقه ، وعلى عادة الصوفية تخلص من هذا الحجاب لأنه من العلائق  
الدينية .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

والتقى العطار مع غيره من متصوفة زمانه ، وتأثر " بالغزالي " في بعض قصصه ، فقصة منطق الطير أصولها من رسالة الطير " للغزالي " . وكذلك قصة " الشيخ صنعان " من تحفة الملوك للغزالي . فالغزالي درس في نيسابور وتأثر العطار بأفكاره .

وقد أخذ من كل طريقة صوفية ما يروق له منها . وتعلم فن الطب من والده ، وكان على علم كبير بأصول الفقه الإسلامي ، وحافظاً للقرآن ومطلعاً على الحديث ، وعلم الكلام وعلم التاريخ لذلك أورد قصصاً عن السلاطين والملوك ، ولكنه أعلن حرب عشواء على الفلاسفة ، وتناول وحدة الوجود في كتابه " منطق الطير " . وكان شاعراً على علم بالأوزان والقوافي والموسيقا ، واهتم بعلم النجوم . وهاجم الفلسفة لأنها تتصل بالعقل فقال : كم أفضل كاف الكفر على فاء الفلسفة . لأن التصوف يعتمد على القلب ، أما الفلسفة وعلم الكلام فيعتمدان على العقل . ويعتبر المتعصب جاهلاً فيقول : إن كنت تفخر بالعقل واللب فكيف وقعت أسير التعصب ؟ . ولم يمدح أحداً في أشعاره فقال : شكراً لله فلم أجد إلى قصر ، ولم أكن ذليلاً لكل حقير ، ولم أطمع خبز ظالم مطلقاً ، ولم أهتم كتاباً بذكر أحدهم مطلقاً .

وكان طعامه الخبز الجاف المبلل بدموعه فيقول : عندما أقيم مائدة من خبز خشن ، فإنني أبلله بدموع عيني .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

أحب العزلة ، وفقد الثقة بالخلق وشبه نفسه بمالك حزين . يقولون لي :  
ماله قد آثر العزلة ؟ . . لا إنني أصادق الله في هذه العزلة .  
وارتبط اسم العطار بالعديد من الكتب وأوصلها البعض إلى مائة وأربعة  
عشر كتاباً أي بعدد سور " القرآن الكريم " والبعض يقول أن عددها ستة  
وستين كتاباً ، أغلب كتبه شعرية عدا كتاب " تذكرة الأولياء " . وترجم إلى  
العربية " منطق الطير ، ويندر نامة " . ويعتبر " منطق الطير " أعظم ما في  
الأدب الفارسي من نظم .



## منطق الطير

من أجمل ما نظم في الأدب الفارسي عامة ، وفي الأدب الصوفي خاصة

وكتب بقلب قصصي ممتع شمل المعاني الروحية وترافق اسم العطار مع " منطق الطير " وجميع الطيور التي تحدث عنها حقيقية ، أما إله الطير " سيمرغ " فهو وهمي وهو اسم فارسي مرتبط بشجرة الحياة التي تنمو في البحر . وعشه على شجرة طيبة تعطي بذوراً كثيرة ، وتنثر أغصانها بذوراً فتحيل الأرض خصوبة إذا وقعت عليها .

وقد أنطلق " العطار " الطير بدلاً من الإنسان ، وأسقط شعوره ومعتقداته على الطيور وحض كل طائر بما يوافق من طباع ومعتقدات ويقرب عدد أبياتها (4650) بيتاً ، ويوضح في أبياتها معتقدات صوفية فيقول:

لقد ختم عليك منطق الطير كما ختم على الشمس بالنور ، وهذه المقامات طريق كل حائر ، وملاذ كل مضطرب .  
إن العالم طلسم ، والكنز الذي وراءه هو الله ، فإذا حل الطلسم فتح الكنز .

ما دام الوجود لله وحده وما عداه عدم ، فلا يمكن أن يصدر عن العدم فالفاعل هو الله وحده .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وأسهب العطار في الحديث عن العشق ، واعتبره أعلى مكانة من الإيمان والكفر ويفوقهما معاً ، واعتبر العشق أسمى مكانة من العقل لأن العقل قاصر أمام العشق فقال :

" العشق نار أما العقل فدخان ، والعشق يسمو بالعاشق حتى يجعله يفنى في ذات المعشوق " .

والعشق نوعان :

عشق دائم وهو عشق المعرفة وعشق الله الأبدي .

عشق زائل وهو عشق الصورة عشق المادة الفانية .

فيقول على لسان المهدهد وهو يرد على البلبل الذي يتباهى بعشق

الوردة . .

" يا من تعلقت بالصورة لا تتباه أكثر من ذلك بعشق الجميل ، فعشق شيء مآله الزوال يصيب العاقلين بالضجر والملل " .

فالعاشق يفضل المعشوق على كل ما عداه من نعيم وملك ومال . حتى

إن العاشق يتخلى عن روحه طواعية من أجل محبوبه ، وكذلك العشق الإلهي يشغل العاشق عن الاهتمام بأمور الغير . والعاشق غيور في عشقه .

ويقول العطار : إذا رماك المعشوق الثمل بحجر ، فهذا أفضل من أن

تنال جوهرة من الغير .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وخير للعاشق أن يتحمل أذى المعشوق من أن يجوز الرضا من غيره ،  
وآلام العشق يجب أن تورقه دائماً .

كتب :

مر معشوق بعاشقه فوجده نائماً فكتب له وريقة فيها بعض الكلمات " لتخجل إن كنت عاشقاً ، فأى شأن للنوم بعين العاشق؟. إذا كنت بالعشق جاهلاً ، فلتهنأ بالنوم لأنك لست للعشق أهلاً " .  
ويعلي من مكانة العاشق حتى يجعله قادراً على الإتيان بالخورق .  
فيقول: إنه شبه المجنون من شدة العشق . ويسير على الماء من قوة العشق .  
فالعطار والصوفية أطالوا الحديث في العشق لأنه يمد الروح بطاقة غريبة للمضي في طريق المعرفة حتى إدراك الفناء .

### " فالعشق مفتاح التصوف "

واعتبر العقل قاصراً أمام إدراك الله وحده ، وقاصراً أمام العشق الإلهي ،  
فيقول : العقل ليس متخصصاً في ميدان العشق ، والعشق ليس وليد العقل ، والفرق بين العقل والعشق أن الأول محالط للطبيعة ، والثاني من الذات الإلهية ، وهو مدرك لها تماماً .

ويقسم الطريق في منطلق الطير إلى سبعة أودية وهي :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وادي الطلب ، وادي العشق ، وادي المعرفة ، وادي الاستغناء  
، وادي التوحيد ، وادي الحيرة ، وادي الفقر والفناء .

يقول في الفناء :

إذا ما تلاشى أحد من بين الجميع فهذا هو الفناء ، وإذا ما فنى عن  
الفناء فهذا هو البقاء .

" امضِ إلى الفناء دائماً ، حتى تفنى نفسك في العشق تماماً " . والعطار  
يبتعد عن " الحلول والاتحاد " ويضيف وحدة الاستغراق في الله .

قال جلال الدين الرومي :

" لقد طاف العطار بمدن العشق السبع ، وما زلنا نحن في منعطف جادة  
واحدة . وأنه كل ما وصل إليه من تصوف مدين به للعطار " .  
" العطار روح ، وسنائي عيناه ، ونحن خلفنا سنائي والعطار " .  
وسئل صوفياً كبيراً عنهما فقال :

إن الرومي بلغ قمة الكمال كالنسر في طرفة عين . والعطار بلغ القمة  
نفسها كالتملة بعد سير طويل ودأب لا يفتر .

ورغم اعتراف المؤرخين بتفوق الرومي ، فإن الرومي اقتبس من العطار  
الكثير من أفكاره ، وحكاياته .

ورغم أن الصوفية لا يتكلمون عن أنفسهم ، إلا أن العطار يتكلم عن  
نفسه ويوضح مكانته في خاتمة منطلق الطير فيقول :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وأهل الصورة غرقى في بحار كلامي . وأهل المعنى رجال أسراري. ونظمي  
يتسم بخاصية عجيبة ، فهو يولد معنى جديداً في كل آونة . وإذا تيسر لك  
أن تقرأه كثيراً ، فسيزداد حسناً في كل مرة لديك .  
وبالرغم من مرور سبعة قرون على وفاته ، فلم تنجب إيران ما يفوقه إلا  
شاعراً واجداً هو " جلال الدين الرومي " والذي اعترف للعطار بالفضل  
والسبق .

### العفيف التلمساني

هو أبو ربيع " عفيف الدين " العابدي ، التلمساني ، ومعروف  
بالعفيف التلمساني أما نسبه " العابدي " نسبة إلى قبيلة بني عابد  
البربرية في الجزائر . أما نسبه " التلمساني " نسبة إلى مدينة تلمسان في  
المغرب الأقصى .  
لفظ تلمسان بربري الأصل أي " الصحراء والتل " وتلمس أي  
تجمع ولسن أي اثنان وهي أحسن مدن المغرب ، ماء وهواء ، وعريقة في  
القدم .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلى مقدسي

ولد سنة 610هجرية ، ونال ثقافته الأولى في تلمسان . وفي أوائل العقد الثالث من عمره قدم إلى القاهرة وأقام في " خانقاه سعيد السعداء " عند الشيخ شمس الدين الأيلي . ثم انتقل إلى بلاد الروم متجراً صوفياً . وعمل هناك أربعين خلوة وكل خلوة تدوم عند المتصوفة 40 يوماً ، وأصبح معلماً رائداً من أعلام التصوف .

المرحلة الرابعة من حياته أخذ ينعم بلذات العيش وجمال الحياة في منزله الذي أقامه في دمشق على سفوح جبل قاسيون . وما زال مكان قصره المنيف معروفاً فيها وهو حي من أحيائها باسم "العفيف" ونال منزلة عند السلطان ، وبعض فقهاء الدين اتهموه بالزندقة لأنهم حكموا على ظاهر شعره ، وعبر عن مواجهته في السلوك الصوفي ولم يسخر شعره لفرض ذاتي ، وحين بلغ الشيخوخة الهادئة وقبل أن تدركه المنية قال له أحدهم : كيف حالك ؟ . قال : بخير ، من عرف الله كيف يخافه ، وأنا فرحان بلقائه . وتوفي بعد عامين من وفاة ابنه الشاعر المشهور " بالشاب الطريف " ودفن في مقبرة الصوفية بدمشق .

وأجمع القدماء على اكتمال فضائله الخلقية وطيب عشرته ، وصرح بمذهبه الصوفي في الوحدة المطلقة ، وكان شديد التشيع ، ومناظراً في أصول الإيمان . وقد وصف الجود النفسي ، والعطاء الصوفي ووصف قوس برج الشمس قاتلاً :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ألا ليتما الشمس قوس برجها

كما قابلت قلبي تلوح لناظري

و والله إن كان الندى عن يمينه

على المنزل النائي لا قرب ماطر

لعلك يا ربح الجنوب مجانب

سوانا فزرنا اليوم يا خير زائر

يود لو أن الفلك يحمل شوقه

فبيعت فوق الماء نار الضمائر

يصدر الفلك المشحون المحمل بثقل الأشواق ومنه تتصاعد ألسنة اللهب

الذي أحجبتة نيران الضمائر وقد برحت به الأشواق ، وهذه النار

المتصاعدة من الفلك الصوفي الرمزي المتخيل لا يستطيع ماء البحر على

إطفاء نار الضمائر وجمر القلوب وهب الأشواق الأبدية .

وقد قال : " القرآن يوصل إلى الجنة ، وكلامنا يوصل إلى الله تعالى " .

صنف العفيف آثراً كثيرة في الشعر والتصوف وعلم الكلام ، وضاع

معظمها ، وله ديوان شعر صوفي مشهور منذ القدم ولا يزال مخطوطاً ، وجمع

شعره في ديوان خاص مرتب وفق الحروف الهجائية ، ووزع نسخ من هذا

الديوان في أكثر الأرجاء وترجم ديوانه إلى الفرنسية بعنوان " ديوان الحب

" وترجمه اسكندر المغربي .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وتحدث في شعره عن الجمال ، والحقيقة الأزلية ، واتخذ لوصف الخمر رموزاً وسكر بما سكرأ صوفياً وأدخلها في النسيب والغزل والصهباء والسكر والخمار والحانة والطبيعة ، وعرض في أسلوبه الرمز الصوفي ومواجهه وعقائده .

### النسيب والغزل الصوفي :

من خلال الرمز لمحبوته تحدث عن المشاعر والعواطف الإنسانية من خلال لمعان طيف " ليلى " التي يشترك في حبها المتصوفة فقال :

عصابة وجد حب ليلى شعارها

و سقم الغرام الحاجري دثارها

ويتحدث عن خيام الحبيبة حديث الصب العاشق :

له من هوى ليلى مميت وباعث

و دون خباها موقف و مقام

والهوادج محمية مصونة :

إذا برزت ليلى من الخدر أبرزت

لنا ميسماً تثني عليه ثناياه

ويقول :

إذا زمزم الحادي بألحان حبههم

يسابقه ركب من الدمع في خدي



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وكم نسيم سرى أودعته نفساً

مالت به عذبات البان و الغار

سرى عرفها من راحة فتأرجحت

رياض خزامها و فاح عرارها

ويقول :

يا سليم الفؤاد من حر وجدي

أنا في حبك المعنى السليم

قد دعاني إلى هواك جمال

كل قلب على حماه يحوم

ما ترى الكون قد تعطر سرا

من شذا عرفه ورقة النسيم

صب يرى نار الصباة إنها

في حبكم برد له و سلاما

تنوح عليه الورق مما أصابه

فتجري دموع الغيث و هي سحام

يا صاح ما بال نسيم الصبا

قد بل برديه دموع الغمام

وهام في الآفاق مضنى فهل

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

هام بليلى فاعتراه السقام

وفي رموز أخرى قال :

قل : عبد علوة لا أزا

ل ببابهـل أبداً أقيم

أضع الخدود على الثرى

مما تشوقني الرسوم

وقال :

تسم ثغرها والليل داج

فنبهت الندامى للصبح

ويقول في " نعم " ولفظة نعم تقترن بالنعمة :

هواك يا نعم لي نعيم

فليعذروا فيك أو يلوموا

وذبت طرباً واشرب وطب ثم غب فما

نعيمك إلا سكرة في هوى نعم

وقال في سعاد :

و وجد ما تغيره الليالي

حفظت به عهد هوى سعاد

ويتابع في ليلى :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

رأوا عطف ليلى قد تثنى فأشركوا

وقد يثنى حسنها و هو مفرد

فإن حاولوا مني الجحود أو الردى

فهذا دمي حل لهم لست أجد

وهكذا ذكر في شعره الكثير من أسماء النساء العربيات ، إنما بقيت ليلى

الرمز الصوفي للأصل المطلق ، واستهدف نوعين من الغزل ، العذري ،  
والمادي الصريح .

### الغزل العذري :

لم يلتزم مفهوم الحب العذري على امرأة واحدة ، إنما ذكر أكثر من خمس  
عشرة امرأة ، فالمرأة عنده الرمز ، وهي مشاع في حبها ، ويعطي أجمل معاني  
الحب العذري في رموز الحمرة مما لم يفعله الشعراء العذريون ، لأن الحمرة  
الصوفية حل له . فقال :

نفوس تعيسات إلى الوصل حنت

فلما سقاها الحب بالكأس جنت

و كانت تمننت أن تموت صبابة

فساق إليها الوجد ما قد تمننت

شكا سقمه ومض هواها صبابة

فقال له : اصبر في الصبابة أو مت

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

و ما عش إلا مغرم مات في الهوى

بحي ، و هذا في المحبين سنتي

ستأتيك مني قهوة إن شربتها

صحوت، وفي صحوة الهوى كل سكرة

ويقول إن جميل بثينة ليس بقادر على تحمل ما يحمل من هواه ولا

من صبره :

و أين جميل في غرامي وقد غدا

لديه جميل الصبر في الحب يقبح

الغزل الصريح :

وللغزل الصريح طريقاً إلى شعره فيقول :

أنا في ليلة أنسي

قد صفا مشرب وردي

و تناولت كؤوسي

بين ريحان و ورد

من يدي حلو التثني

فاتن أهيفه قدّ

تارة ينشد خذ كأ

سي و طوراً هاك خدي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

في هواه دع ملامي

واطرح غيبي و رشدي

نار وجددي في هواه

كنعيم الخلد عندي

ويصف المعشوق بقوله :

سبيت الورى حسنا وأنت محجب

فكيف بمن يهواك و إن زالت الحجب

و أصبحت معشوق القلوب بأسرها

و لا ذرة في الكون إلا لها قلب

إذا سكر العشاق كنت نديمهم

و أنت لهم ساق و أنت لهم مشرب

و لم لا يذوب العاشقون صبابة

و جداً وسلطان الملاح لهم حب

ويقول :

يا أخت ليلي في يدبك زمامي

و إليك مرقى منيتي ومرامي

وفي المهده أرضعت الغرام و إنني

لأشيب فيه و ما بلغت فطامي

وأنا الإمام لكل من علق الهوى

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

بفؤاده ، والحسن فهو إمامي

### الخمريات الصوفية :

أما الرمز الثاني الصوفي هو الخمريات لأن معنى الخمر يوحى إليه بجوهر العقائد الصوفية . فتحدث عن قدم الخمرة وعوالم الأرواح والصور ووصف الألوان التي أسكرت والخمار الإلهي الذي سقاها . فالخمر الصوفية في عرف الشاعر قديمة أزلية .

فقال :

فإذا نظرت رأيت من عشاقه

أما سكارى في شراب معينه

من خمرة عصرت لهم منهم كما

عصرت لآدم في بقية طينه

والشمس هي النور الإلهي فيقول :

ينال منها جنان الخلد شارحها

ونار لالائها ترميه بالشرر

فإن خشيت عيون الحاسدين بما

ففي أشعتها إن شئت فاستتر

أما سلافة الريق والمدامة فيقول :

و ناولتني كؤوساً من مدامتها

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

قديمة لم تكن في عصر عصّار

وتغدو الخمرة ناراً فيقول :  
و اشرب الراح حين أشربها

صرفاً و أصحو بها فما السبب

خمرتها من دمي و عاصرها

ذاتي ومن أدمعي لها الحبيب

إن كنت أصحو بشربها فلقد

عريد قوم بها و ما شربوا

هي النعيم المقيم في خلدي

وإن غدت في الكؤوس تلتهب

فغن لي إن سقيت يا أملي

باسم النبي بي علي تحتجب

وخمارته كالكعبة يطوف حولها فيقول :

وائت حانات حبه يا نديمي

بائعاً بالعقار ثوب الوقار

و تورع عن التورع فيها

و اصرف الهم بالكؤوس الكبار

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

نحن قوم بها شرينا وطبنا

و رفعنا برمي تلك الجمار  
واقترن ذكر الحانة بالحب الإلهي والحسن المطلق ، فأقاموا للحب حانه  
يدعى إليها ينام ليهبوا إلى دعوة الراح . .

ملاء الكون حسنه فلهذا

كل صب إلى معانيه يصبو  
شاهدت حسنه القلوب فأسى  
وله في العقول نهب و سلب  
نصبوا حان حبه ثم نادوا  
يا نيام القلوب للراح هبوا  
نبت كرم رقت لكل كريم  
ما على نفسه النعيسة صعب  
ويتخيل حانة نصبها الحسن تحت هدب العين فيقول . .

كم تحت ذاك الهدب من حانة

رؤق فيها الحسن صرف المدام  
و يصف الساقى والنديم والكأس فيقول :  
و إذا سقيت الصرف من خمر الهوى  
إياك تغفل عن جمال الساقى



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وقدس الجمال والحسن بقوله :  
قد كست بالشعاع وجه الندامي

وحباها جمال وجه الساقى

فالصلاة للخمرة الإلهية ضرورية فقال :

وصل الندامة و النديم وصل للحا

نات و اسجد خاضعاً للساقى

يسعى بها لدن قوام مهفهف

كالغصن ماس برونق الأوراق

أحداقه ملئت من الأقداح أم

أقداحه ملئت من الأحداق

ثم يتمثل انعكاس عقيق شفتيها في مقر كأسه فيقول :

و ندمانة مبلت كأسى نحوها

إلى أن رأيت الكأس ميلها نحوي

تمثل في كأسى عقيق شفاهها

و صار منال الثغر منها إلى العلو

وقرن بين الشمس والقمر والخمر فقال :

وقل لوجه مدبر الكأس : يا قمري

قارن بكأسك بين الشمس و القمر

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وتخيل الكأس ثغراً يرتشفه وصور جموته المتقدة فقال :

محيك تهواه الحميا أما ترى

حشا الكأس فيه جمرة تتوقد

و لولا بكاهها ما بدا فوق خدها

حباب حكاها اللؤلؤ المتبدد

إذا ما ارتشفت الراح من ثغر كأسها

الست تراها نحو وجهك تسجد

عجبت لكأس قد صحوت بشربها

بها أبدأ سكري علي يعربد

ويعاتب النديم حتى يناوله كأساً في حبه فيقول :

هات كأساً في حبه يا نديمي

فهي تغري منه لثغر و خد

واصلها في غلالة من نضار

طرزتها أيدي المزاج بعقد

و حين يتجلى كأس الساقبي يقول :

إذا تجلى كأس ساقبيكم

كنت له أول من يشرب

يا حبذا الكأس بكف الحبيب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

إذ نبت لنوار فوق اللّهب

وحبذا الكأس التي لم تنزل

تصرفني بالسكر حتى أغيب

أما عن كأس خده فيقول :

وما كنت أدري قبل وسانان جفنه

و عشق الصدى الظمآن فهل وردة

و لا لذة السكران من قبل عشقه

إلى أن سقاني ناظري كأس خده

والمدامة التي تناولها مدامة صرف أزلية :

و ناولتني كؤوساً من مدامتها

قديمة لم تكن في عصر عصّار

فصرفتني كما شاءت لسكرتها

كؤوسها الصرف في أوطان أوطاري

ويجمع في الكؤوس الجنة والنار فيقول :

يسكن من يشرب كاساتها

في جنة الفوز بها و هي نار

وينشد لكؤوس الحمرة بين الورود والرياحين :

أنا في ليلة أنسي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

قد صفا مشرب وردى

و تناولت كؤوسى

بين ريحان و ورد

أما عن نشوة سكره فيقول :

و صل نديمك و اقطع في أصائلها

عمر الشباب فتهب العيش في

الأصل

و قل لحسك : ذب سكرأ و مل طربأ

فيها و قل لزوال العقل : لا تزل

واصمت إلى أن تراها فيك ناطقة

و إن وجدت لساناً قائلاً فقل

أما عن انكسار جفون الحبيب فيقول :

قد حركت بالسكر أعطافه

و أسكنت في الجفن منه انكسار

يسكن من يشرب كاساتها

في جنة الفوز بها و هي نار

وفي معرض الرمز الصوفي استخدم مصطلحات دينية لغوية :

صلت أباريق المدام و رجع

المثنى تلاوة خاشع يترنم

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

المثاني – آيات القرآن وهي جمع مثنى . ويطلق اسم "مثنى" على  
أوتار العود .

وحين يتماذى في صوته يقول :

طاف بألحان و لى وأقاما

يجتلى الكأس على أيدي الندامى

أما الحبيب الرمز فهو مدامه :

ومغنى به كان الحبيب منادمي

ومن قربه راحي وروحي وراحتي

فها أنا مياس المعاطف رافل

بيردى ومن أهوى مدامي وحضرتي

لقد أغرق في وصف الخمر ودعاها بالمسرة ، وجمع بين المرأة والخمرة .

ذلك لأن خمرة إلهية ومتميزة وهي من كروم دمه وقد عصر ذاته في إغراقه

الصوفي معها ، وقال :

واشرب الخمر حين أشربها

صرفاً و أصحو بما فما السبب

خمرتها من دمي و عاصرها

ذاتي ومن أدمعي لها الحبيب

إن كنت أصحو بشربها فلقد

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

عريد قوم بها و ما شربوا

هي النعيم المقيم في خلدي

وإن غدت في الكؤوس تلتهب

فغن لي إن سقيت يا أملي

باسم النبي بي علي تحتجب

ويذكر الحلاج المتصوف الأكبر المصلوب الذي في رمزه الصوفي لم يكتف

الحقيقة فيقول :

فها أنا و الساقى يناول كأسها

فاشرب صرفاً أو يغني فاطرب

فإن لام فيها الشيخ طفل غرامها

على شربها ، فالشيخ كالطفل

يلعب

تذكرني الحلاج والكأس تجلي

و لكنها عنه تصان و تحجب

ووصف المتصوفة بالنجوم ، وخمار الدير ، وقد ألفت بينهم صحبة

كؤوس الصفاء .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

قال الدكتور اليافي في خمريات العفيف الصوفية :  
إن أشعار العفيف تبدو لنا كأنها حانات خمار ، تتألق أكوامها ، وقيس  
سقاتها حتى كأن الأكوان كلها سكرى . .

### الطبيعة في شعره :

كان لطبيعة تلمسان الجميلة الغرض الرئيسي في شعره ، وهي البلد  
الذي أقام فيها الخضر الجدار المذكور في القرآن بعد أن كاد ينقض .  
ويصف الشاعر روض مجالس الصوفية حيث " القصف ، والسماع ،  
والرقص ، والغناء " على وقع الأوتار ، والأرض مشرقة بنجوم الزهر كما  
تشرق السماء بالكواكب المشعة فيقول :

رب روض قد بات مرخى الأزرار

ضاحك من مباسم النوار

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

مخبر نسمة الصبا بعبارات

الشذا من مواقع الأمطار

يتثنى بحب القلائد في السندس

مثل الكواعب و الأبيكار

عندما فتح النسيم لها الجيوب

أنته الأكمام بالأزهار

قلد الأرض كالسماء نجوماً

طالعات سعودها بالنهار

أما الأفحوانة كالنغر وفيه الرضاب فقال :

ندى في الأفحوانة أم رضاب

و ظل في الشقيقة أم شراب

فتلك و هذه نغر و كأس

بذا ظلم و في هذا اشراب

و خضر خمائل بجسوم غيد

قد انتعشت ورقّ بما الخضاب

بربك بما الشقيق سواد هذب

و حمرة وجنة فيها التهاب



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

ولالأغصان هينمة تحاكي

حيائب رقّ بينهم العتاب

تثنت و الحمام بها تغنى

كشرب مدامة شربوا و طابوا

و يصف الشاعر الرياض والحمام تنوح عليها :

رياض بكأها المزن هي بواسم

فناحت بغير الحزن فيها الحمام

وأودعت الأنوار فيهن سرها

فنمّت عليهن الرياح النواسم

كان الأفاحي والشقيق تقابلا

خدود جلاهن الصبا و مباسم

كان بما للنرجس الغض أعيننا

تنبه منها البعض و البعض نائم

كان عناء الورق الحان معبد

إذا رقصت تلك القدود النواعم

أما هديل الحمام فله معنى رمزياً فيقول :

ولا تعتبوا في النوح كل مطوق

على هيف أعطاف الغصون مغرد

لأنكم طوقتكم كل عاشق

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

بدمع فراحوا بين باكٍ و منشد

أما الحمائم الثلاث ، فقد وصف الأولى نادبة صادحة في ضيق القفص

بقوله :

الحمامة الأولى :

وصادحة صدحت ليلها

و قد وصلته بضوء النهار

فنادمتها في كؤوس الهوى

وقد مزجت بالدموع الغرار

فتندب في ضيق أفضاصها

و أندب من لوعة و انكسار

فلي شجني ولها شجوها

فأشكو الأسي و هي تشكو الأسار

تذكرني بالهديل البكا

و اذكرها بالحنين الديار

و لا وقت إلا ولي ولها

هوى كامن أو جوى ذو ادخار

فالحمامة الأسيرة يرمز بها إلى النفس البشرية وهي تصدح ليلها ونهارها .

الحمامة الثانية :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ما ذات طوق بكت في دوحة القفص

على حبيب لها نائي المزار قصي

كانت وإياه في ظل الأراك على

أريكة آمنت من رائع القنص

ففرق البين من شمليهما فعدت

تبكي عليه بقلب دائم الغمص

فلو تراني و الورقاء في سمر

على تشاكي هوى مستعذب القصص

حتى بكى عازلي شجوا ورق اسي

و بات للحزن في سود من القحص

### الحمامة الثالثة :

يبكي الشاعر مواجيده ويخاطب الورقاء فيقول :

يا بارق الوادي و يا ورقاءه

نوحى لغصنك إذ أنوح لقدمه

أنت الحزينة ، و الحزين أنا كلا

نا اليوم معذور بسر جده

حالي وحالك والمجاور كفه

في الماء يعلم حره من برده

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ثم يصحو مع نسيمات السحر و يسأل :

أسكرت بان الحمى يا نسمة السحر

فهل أتيت من الأحباب بالخبر ؟

نعم مررت بذاك الحي فاكتسبت

ذبول بردك ربا نشره العطر

يا توق روحي بروحي للحمى و قفي

به " فديتك " بين البان و السحر

أما النسيم العليل ذلك العاشق المضني فاعتراه السقام :

يا صاح ما بال نسيم الصبا

قد بلّ برديه دموع الغمام

وهام في الآفاق مضنى فهل

هام " بليلى " فاعتراه السقام

معانقاً أغصان بان الحمى

إذا أشبهت في اللين منها القوام

كأنما الأغصان مذ هيئمت

حباً و قد ردت عليه السلام

و جمع الطبيعة والخمر والغزل بقوله :

قسماً بالخدود و الأحداق

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وهي في الحب حلقة العشاق

لست أرضى بذلة الإعتاق

وحباها جمال وجه الساقبي

سرقته من أنجم الآفاق

لدمع الدلال في الآماق

لو كان بات الثغر وهو مخوف

يأوي إليها المناظر الملهوف

فمتى يبيت و ورده مقطوف

صرفاً ويسكر من عليه يطوف

إنني للمصونة والحسن عبد

قد كست بالشعاع وجه الندامى

في رياض تبسمت عن أقاح

و سقته الندى على الترجس الغض

ويظهر جمال الطبيعة في قوله :

ما في الجفون كما يقال : سيوف

إنيّ و في الخد المضرج روضة

نفذ الربيع وتم قبض جوانحي

وصحا الأقاح بما وقد سقي الطلا

أما الجمال المطلق فيقول فيه :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فإذا نظرت رأيت من عشاقه

أما سكارى من شراب معينه

من خمرة عصرت لهم منهم كما

عصرت لآدم في بقية طينه

فاشرب على روض صفاتك زهرة

من حسن سوسنه ومن نسرينه

أما الفرض الرابع من شعره فهو " العقيدة " :

العقيدة لغة ما عقد عليه القلب والضمير وما اعتقده الإنسان ،

والعقائد الصوفية التي ترددت في شعره هي :

الله والعقل والحقيقة .

الحسن والجمال والكمال .

الأكوان والمتصوفة .

الوحدة المطلقة .

الله والعقل والحقيقة :

الحقيقة الإلهية واحدة مهما كثرت فيها الأوصاف ، فالله هو العقل

المبدع ، وهو المعنى الأزلي .

فيقول :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ألم ترى وجه الحسن أوضح وأضح

بدا فهو للأنوار أفضح فاضح

الأكوان والدهور :

الحسن الإلهي ملاً الكون كله .

فيقول :

ملاً الكون حسنه فلهدا

كل حب إلى معانيه يصبو

شاهدت حسنه القلوب فأمسى

وله في العقول نهب و سلب

وتصور الكون يتمايل سكرأ :

ما ترى الكون قد تمايل سكرأ

ونسيم الرياض يعبق عرقأ

والكون غصون ونحن الثمر :

سبيت الورى حسناً و أنت محجب

فكيف بمن يهواك إن زالت الحجب

وأصبحت معشوق القلوب بأسرها

و لا ذرة في الكون إلا لها قلب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الحسن والجمال والكمال :

يرى أن الأصل الحسن ويقدمه على الجمال فيقول :

يبدي لعينيك حسنه

معنى الجمال الأقدس

ويتزقق الحسن :

ترقق ماء الحسن في وجناته

و ليس لظمان إليه ورود

لكن الجمال ممنوع بالحجاب :

يا شاغلي بجماله الممنوع

عن رفع طيب حديثه المرفوع

قالوا : أتبكي من بقلبك داره

جهل العوازل ، داره بجميعي

لم أبكٍ لكن لرؤية غيره

طهرت أجفاني بفيض دموعي

ناديت في ناديك يا كل المنى

باسم الغرام و أنت خير سميع

أما ليلى الرمز فيقول فيها :



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

رأوا عطف ليلى قد تثنى فأشركوا

وقد يتثنى حسنها وهو مفرد

فالسجود للحسن فرضاً والعبادة للجمال :

وما كنت أدري فتنة العشق قبلها

إلى أن رأت عيني جمالك يعبد

وانسجم في الفناء المطلق وتناسى الوجود :

وإذا الحسن بدا فاسجد له

فسجود الشكر فرض يا أخي

هذه أنوار ليلى قد بدت

فلسلب الروح يا صاح نهي

كل حي في هواها ميت

إنما ميت هواها ذاك حي

لا ترم في شمسها ظل النوى

فهي شمس ، و هي ظل ، وهي في

أما الإشراق والتجلي فيقول :

لولا الحياء و أن يقال : صبا

لصرخت ملء السمع : و اطربا

حضر الحبيب و غاب حاسدنا

من بعد طول تحجب و خبا

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فاليوم اخلع يا منى أملي

فيك الوقار واطرح الرتبا

الرسل والأنبياء والمتصوفة :

فإن بها حياتي بعد موتي

لهذا لقب بدم المسيح

وله قصائد نبوية منها :

يقول رسول الله و هو المصدق

و عن عالم الغيب الإلهي ينطق

أطيعوا الهوى واهدوا إلى طاعة النوى

و لا تفرقوا فيه و لا تتفرقوا

أما المتصوفة فهو منهم وبهم وإيهم ويتفانى في الإخلاص إليهم فيقول :

تجلى محياها فمدت بنورها

حجاباً على أبصارهم و هو منهم

ويشطح في وده ويقول :

على ربيع سلمى بالعقيق سلام

وحاد ثراه أدمع وغمام

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

هواها على كل القلوب فريضة

تؤدى و مثلي في الغرام إمام

أما الوحدة المطلقة يتحدث عنها بمعانٍ مختلفة :

ذكر الحبيب فليتهم عرفوا

من حسنه الوصف الذي وصفوا

قلبي له دار و منزله

ولكل جارحة به شرف

ويناجي الله القريب البعيد :

يا مقيماً مدى الزمان بقلبي

وبعيداً بشخصه عن عياني

أنت روحي إن كنت لست تراها

فهي أدنى إلي من كل دان

ويرمز إلى المليحة المصونة حين بدت وحجابها لم يرفع بقوله :

ما للملحة غيرها من عاشق

فهي المصونة في الحمى الممتنع

ولقد بدت فرأت بديع جماها

كل القلوب و حجبها لم يرفع

وبحسنها الباقي الذي أفناهم

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

عنهم بإطلاق الجمال المبدع

قالت لكل منهم ظهرت له

فارق وجودك في غير مودع

وحين يُسأل لم تبكي هذا المقدس ؟ . يجيب :

قالوا : أتبكي من بقلبك داره

جهل العوازل ، داره بجميعي

لم أبكّه لكن لرؤية غيره

طهّرت أجفاني بفيض دموعي

ناديت في ناديك يا كل المنى

باسم الغرام و أنت خير سميع

ويستعمل " الغزل والخمر والطبيعة " في التوحيد وراء الرمز الصوفي

فيقول :

يعاب علي السكر فيها و حبذا

بها مستهام زينته عيوب

أنص على توحيدها عن مزاحم

وإن أشركت بي أنفس وقلوب

يقولون لي سراً : شطحت بذكرها

و أنت من البلوى لذاك قريب

وموتي حلو في الهوى بحياتها

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

و دع في هواها الحاسدين يذوبوا

ويقول في توحيد الحبيب بالمحب :

و من العجائب أن أفوه بذكرها

و لقد أغار بأن تمر بخاطري

ويقول :

أفي وطي باسم الملبحة تعتب

وتعرض إن وحدتها ثم تغضب

ولو فزت من ذاك الجمال بنظرة

لأصبح منك العقل يسبي و يسلب

وتشرق شمس الحسن الإلهي بقوله :

إذا ما صنعت القبح بالحسن في الهوى

وزال بحكم العين عن قلبك السوي

منزلة الشاعر :

كان للشاعر مكانته الصوفية ومنزلته الأدبية ، وقد تمتع الشاعر بثقافة

صوفية متفردة ، وقد قال الصوفي " ابن سبعين " أنه يفضلهُ على أستاذه "

القونوى " والتقى به خلال قدومه معه إلى القاهرة . فقال : " لكن معه

شاب أحذق منه . . وهو العفيف التلمساني " .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وتفرد وحده بمقولة " الوحدة المطلقة " وظهر أثره في غير العالم الإسلامي ، وتأثر هو بابن العربي ، والراهب الإسباني المتصوف " رامون " . وقد اهتم به " الدكتور عبد الكريم اليافي " . وجمع عدداً كبيراً من نسخ ديوانه وكتب في بحثه عن الرمز الصوفي فقال :

" فمن أكبر شعراء التصوف باللغة العربية العفيف التلمساني ولكن ديوانه لا يزال مخطوطاً " .

أما الدكتور شكري فيصل قال :

هذا الإنسان عنده ألوان من العواطف لا تتعلق بشخص ما ، بل تتعلق بالله ، والعالم في نظره ليس العالم الذي نعرفه ، إنما هو عالم صوفي علوي يرتفع إليه الشاعر ، ولهذا فهو مجدداً في شعره وله القدرة على النقلة والتصعيد من جو إلى آخر ، وهذه الازدواجية تترك الإنسان موزعاً بين حقائق الأرض والسماء .

وقد أحدث تأثيراً كبيراً بين القدماء والمحدثين ، إذ أثارت مقالاته في الوحدة المطلقة ثورة فكرية تصدى لها كثير من الفقهاء . وأوقفت بعض المحدثين في اضطراب وحيرة .

ومما لا شك فيه أنه كان من الطبقة الأولى في الشعر والتصوف على السواء .

## المراجع

الإمام السهروردي	عوارف المعارف
عبد الرحمن بدوي	رابعة العدوية
طه عبد الباقي سرور	شخصيات صوفية
عبد الرحمن بدوي	شخصيات قلقة في الإسلام
د . عبد الرحمن بدوي	تاريخ التصوف الإسلامي
د . كامل مصطفى الشبيبي	شرح ديوان الحلاج
إبراهيم بسيوني	نشأة التصوف الإسلامي
عبد الفتاح قلعة جي	عماد الدين النسيمي
عبد الباري الندوي	بين التصوف والحياة
موسى الموسوي	من السهروردي إلى الشيرازي
فريد الدين العطار	منطق الطير

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

مخطوط	العفيف التلمساني
دار الكرم	ديوان ابن الفارض
طه عبد الباقي سرور	شاهد التصوف الإسلامي
النفري	المواقف
سامي الكيالي	السهورودي
عبد الحلیم محمود	أبو يزيد البسطامي

### الفهرس

الصفحة	الموضوع	مسلسل
5	مقدمة	
6	أجنحة التصوف السرية	1
9	معنى كلمة التصوف	2
12	التصوف في الشعر الجاهلي	3
14	الصوفية في الإسلام	4
	الصوفية من نهاية العصر الأموي	5
16	حتى نهاية القرن الثالث	
17	طقوس التصوف	6
37	خاتمة التراث الخالد	7



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

41	بعض ما روي عنهم	8
43	معنى الأربعون	9
44	الحلاج	10
58	الحب الإلهي	11
63	رابعة العدوية	12
74	أبو يزيد البسطامي	13
78	الجنيد	14
81	أبو بكر الشبلي	15
85	ذو النون المصري	16
89	إبراهيم بن أدهم	17
90	إبراهيم الخواص	18
91	أبو الحسين النوري	19
93	رياح بن عمرو القيسي	20
94	بشر الخافي	21
96	سمون الحب	22
99	شطح الشطح	23
100	شطحات :	24
101	البسطامي	
	الحلاج	

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

102	الشبلي	
105	مصادر التصوف	25
108	شكاية التوحيدي	26
109	السهروردي	27
112	عماد الدين النسيمي	28
118	ابن عربي	29
134	النفري	30
138	عمر بن الفارض	31
157	جلال الدين الرومي	32
163	أبو حامد الغزالي	33
167	فريد الدين العطار	34
177	العفيف التلمساني	35
209	المراجع	
210	الفهرس	

# لوامع الصوفية

إعداد : ليلي مقدسي

شكاية التوحيدي  
أبي حيان

شكى التوحيدي من عصره وأهل زمانه فقال:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

أما حالي فسيئة، كيفما قلبتها. لان الدنيا لم تؤاتني لآكون  
من الخائفين فيها  
والآخرة لم تغلب علي فأكون من العاملين لها.  
إلى متى نقول بأفواهنا ليس في قلوبنا؟  
إلى متى ندعي الصدق والكذب شعارنا لودثارنا؟  
إلى متى نستظل بشجرة تقلص عنا ظلها؟  
إلى متى نبتلع السموم ونحن نظن أن الشفاء فيها.  
ثم يضيف:

يا هذا الغريب الذي لا اسم له فيذكر، ولا رسم له فيشهر،  
ولا طي له فينشر ولا عذر له فيعذر. ولا ذنب له فيغفر، ولا  
عيب عنده فيستر  
هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه. ولم يتزعزع عن  
مهب أنفاسه  
وأقرب الغرباء من صار غريباً في وطنه؛  
وأبعد البُعداء من كان بعيداً في محل قربه.  
يا رحمتاً للغريب..  
طال سفره من غير قدوم. وطال بلاؤه من غير ذنب  
واشتد ضرره من غير تقصير. وعظم عناؤه من غير جدوى..

\*\*\*\*

ابن عربي

### ولادته وشبابه:

ولد أبو بكر محمد بن علي من قبيلة حاتم الطائي.  
والمعروف - ابن عربي  
ألقابه: محي الدين. الشيخ الأكبر. ابن افلاطون.  
ولد في - مرسية - 560 هـ - 1165 م.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

- وكان ابن عربي من أسرة نبيلة غنية وافرقة التقوى. وله خالان سلكا طريق الزهد.
- خاله الأول: كان ملك مدينة - تلمسان - نزار شيخ فقيه لما بد من أهل - تونس - يقضي وقته في موضع خارج - تلمسان يسمى - العباد - يعبد الله فيه فسأله الملك:
- أتجوز لي الصلاة بهذه الثياب الفاخرة؟- فضحك الشيخ وأجاب:
- أنت وعاء ملئ حراماً وتسالعن الثياب ومظالم العباد في عنقك؟-
- فبكى الملك ونزل عن دابته وخرج من ملكه، ولزم خدمة الشيخ، فمكث ثلاثة أيام ثم جاءه بحبل وقال له: أيها الملك فرغت أيام الضيافة فاحتطب، فكان يأتي بالحطب على رأسه من الجبال، ويبيعه بالسوق والناس ينظرون إليه ويكون يأخذ قوته ثم يتصدق بالباقي. وإذا طلب الناس دعاء الشيخ كان يقول لهم:
- التمسوا الدعاء- من يحيى بن يغان- فإنه ملك وزهد -.
- ثم مات ودفن في تربة الشيخ.
- أما خاله الثاني: كان يقوم الليل، فإذا أدركه العياء ضرب رجله بقسوة بقضيب حتى لا ينام ويقول لرجليه: وأنتما أحق بالضرب من دابتي=.
- ويقضي الليل في مجاهدة شديدة.
- في هذا الوسط العامر بالزهد والتصوف، قضى ابن عربي طفولته ولما بلغ الثامنة انتقل مع أهله إلى اشبيلية، ولم يكن قلبه مشغولاً ناحية الزهد، بل الآداب والصيد ومعه الخيل والخدم. ثم نال وظيفة كاتب في حكومة اشبيلية. وتزوج: مريم بنت عبدون وهي امرأة سالحة. وربما نصائح زوجته ودعواته أمه التقيه ساعده إضافة إلى أنه أصيب بمرض شديد، وكانت الحمى تتابعه مصحوبة بتهاويل

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وهلوسة مروعة من عذاب الجحيم. ونجا من المرض بفضل دعوات أبيه الذي كان ساهراً عند رأسه يقرأ سورة (يس). ثم توفي أبيه فكان الموت الأثر الحاسم في حل أزمة الروحية، فتحول إلى الله بكلية وعيشير ابن عربي- في الفتوحات المكية إلى الكرامات التي صاحبها أبيه فيقول: إن أباه قد تنبأ بموته في الموت والشهر قبل وفاته بخمسة عشر يوماً. فلما كان يوم موته وكان مريضاً شديداً المرض، استوى قاعداً وقال لي - اليوم يكون الرحيل واللقاء. فقلت له: كتب الله سلامتك في سفرك هذا، وبارك لك في لقائك. ففرح بذلك. وغشي جسمه نور أبيض كان يضيء الفرقة كلها وعلى جنبه لمعة بيضاء. فتأثرت من هذه الكرامة، فقبلت يده وودعته وخرجت وقلت له: أنا أسير إلى المجد إلى أن يأتيني بغيك. فقال لي: رح ولا تترك أحداً يدخل علي. وجمع أهله وبناته فلما جاء الظهر جاءني نعيه فجئت إليه فوجدته على حاله يشك الناظر فيه بين الحياة والموت. وكان له مشهد عظيم. ولا يعرف بالضبط متى تحول إنما يبدو أنه دخل الحياة الصوفية وهو في سن الحادية والعشرين أي بعد وفاة أبيه بسنوات. وعكف على قراءة كتب التصوف والاجتماعية بشيوخ الطريقة خلال إقامته في - اشبيلية- وتلقى ابن عربي شيخين متخصصين في عملية محاسبة الضمير يومياً - هذه العملية المسيحية من عمليات الكمال الروحي. وطريقة المحاسبة على الأفعال والاقوال فأضاف ابن عربي الخواطر. وقال: النية في العمل. كالمعنى في الكلمة وعمل على تكوين روحه منذ سنوات شبابه بالزهد في الشهوات. ثم ترك المشايخ واعتزل الناس وخلا إلى المقابر يقضي عندها النهار بطول على اتصال مباشر مع أرواح الموتى. يجلس على الأرض فأخوذاً بالوجد هامساً بأحاديث مستترة. حتى قيل فيه: من أراد أن يعتزل من الناس فليعتزل مثل ابن العربي.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وهكذا نما ايمانه بالظواهر الخارقة في الحياة الصوفية كما عاناه في نفسه وشاهد كرامة عدم الاحتراق في النار. حققها صوفي لا قناع فيلسوف كان ينكر كل الكرامات وفي ذات ليلة شاهد ابن عربي أن الرسول اقتلع نخلة كانت تعترض الطريق في اشبيلية حتى سدته عن المارة، فتحدث الناس في قطعها. وشكت النخلة أمرها إلى الرسول فمسح بيده المباركة النخلة فاستقامت. فلما أصبحت ذهبت إلى النخلة فوجدتها مستقيمة فذكرت أمرها للناس. فجعلوها مزاراً متبركاً.

ويقول ابن عربي أنه التقى بالخضر مراراً وحدثه. والخضر شخص اسطوري جُسم فيه الاتجاه الأستسراريفي الآسلام - في اليهودية والمسحبة (إيليا). وكذلك من شيوخ ابن عربي في طريق الله عجوزان صالحتان هما:

- باسمين - وهي صوفية من مرشانة الزيتون وفاطمة القرطبية - وكانت في التسعين ذات أحوال وموآجد.

وقد صحبها سنتين متتاليتين مريداً وخادماً وعاش معها في كوخ من القصب منعزلاً ويقول:  
كنت أستحي أن أنظر إلى وجهها وهي في هذه السن، من حمرة خديها وحسن نعتها وجمالها تحسبها بنت أربع عشر سنة وسمعتها تقول:

= عجت لمن يقول إنه يحب الله ولا يفرح به: فهؤلاء البكاؤون: كيف يدعون محبتهم ويكون، أما يستحيون؟.. ثم تقول لي: يا ولدي ما تقول فيما أقول؟.  
فأقول لها: يا أمي 1 القول قولك.. فتقول: لقد أعطاني حبيبي فاتجه الكتاب فخدمني ووفوا لله ما شغلتنني عنه.1.  
يقول ابن عربي:

حبك الشيء يعمي وضم، فلا تقع عينك على ما تخاف منه.

## رحلاته:

في أسبانيا وأفريقية

وبعد أن أصبح على علم بكل أنواع التصوف. أصبحت حياة السياحة هي المفضلة عنده وهي سياحة قلقة في جميع البلاد الإسلامية في المشرق والمغرب.

وكانت قرى الاندلس، ومدن المسرح الأول لجولاته.

وحين مر بمدينة الزهراء - أوحى إليه أطلالها بتأملات

حزينة، على زوال المجد الانساني فقال:

ديارٌ بأكتافِ المغيب تلمعُ وملائنٌ بها من ساكنٍ وهي بلقعُ  
ينوحُ عليها الطير من كل جانبٍ فيصمتُ أحياناً وحيناً يُرجعُ  
فخاطبتُ منها طائراً متغرداً له شجنٌ في القلب وهو  
مروع

فقلتُ على ماذا تنوحُ وتشتكي فقال: على دهرٍ مضى

ليس يرجع

وطارت شهرته بوصفه صوفياً بين البلدان القريبة من

اسبيليقو قرطبه.

وزاره الشيوخ وسألوه الرأي في المشاكل الصوفية.

ثم ارتحل إلى افريقية. ثم إلى تونس ولقي خطوة عند

حاكمها. وفي أثناء إقامته بتونس تجلى له الخضر من جديد

ليشيد بايمانه بهذا النبي الأسطوري وكان ذلك في ليلة

العمر فيها بدر.

كان ابن عربي يستريح من مجاهداته الصوفية في قمرية

سفينقراسية في الميناء، فأحس بالحم حاد في بطنه

اضطره إلى الصعود على ظهر السفينة فسكن الألم. ولمح

من بعيد شخصاً يسير على الماء متجهاً إلى السفينة فأقرب

منه وتفوه بعبارات غريبة، فاستولت الدهشة عليه. ثم

سمعه ينشد تسيحات لله.

في اليوم التالي لقيه شخص لا يعرفه في المدينة ثم

سأله:



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

= كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الخضر".  
ثم وصل اشبيلية ووقعت له كرامة أعجب بها كل من  
شاهده.

ذلك أن ابن عربي ألف قصيدة في ذهنه، لم ينسخها ولم  
يقراها لأحد من الناس، وفي ذات يوم بينما يخاطب شخصاً  
لا يعرفه، بدأ الرجل في انشاد القصيدة بحروفها. فتعجب  
ابن عربي وسأل الرجل عن مؤلف هذه القصيدة فقال إنها:  
لابن عربي - وذكر أنه في نفس اليوم والساعة التي ألف  
فيها ابن عربي في ذهنه هذه القصيدة، وهي في جامع  
تونس، كان شخص غريب يقف في اشبيلية وينشدهم  
القصيدة. فكاد ابن عربي يغمى عليه من الدهشة.  
ثم ذهب إلى فاس. وعانى بعض مواجيد مصحوبه بأوهام  
بصرية:

ف ذات يوم كان يصلي فلاحظ أن نوراً باهراً يضيء على كتفه  
بوضوح أمام عينيه.

ثم غادر فاس متجهاً إلى مرسية. وكأنه أراد أن يودع وطنه  
الوداع الأخير.

وتراءى له الخضر وهو يصلي على حصيرة في الهواء.  
وأشار إلى صاحب معه أن ينظر ولما فرغ من صلاته سلم  
عليه وأنشده:

شغل المُحب عن الهواءِ بسرهِ في حبٍ من خلقِ الهواءِ  
وسخره

العارفون عُقولهم معقولة على كل كونٍ ترتضيه بمطهرة  
فهمو لديمهم مكرمون وفي الوري أحوالهم مجهولة ومُسترة  
كانت إقامته في مرسية قصيرة فذهب إلى المرسية.

وانقطع إلى الصلاة والرياضة الروحية في عزلة، الهمة لله  
أن يكتب كتاباً يكون مدخلاً إلى الحياة الصوفية  
وأيدت هذا الإلهام رؤيا رآه في المنام. فاستجاب ابن عربي  
وبدأ يكتب كتابه- مواقع النجوم-

وهو رسالة في - الزهد والتصوف- نحن ستار الرموز  
الفلكية.

## أسفاره في المشرق

ذهب إلى مراكش وهناك رأى رؤيا في حالة التجلي حملته  
على القيام برحلة إلى المشرق.

فقد تجلى عرش الله ذات يوم أمامه وهو في حالة التجلي،  
وكان العرش يرف وسط ظلال - وله قوائم نورانية، نورها  
يشع كنور البرق. وأعطائراً يحوم حول العرش، وإذ به يأمر  
ابن عربي أن يرحل إلى مدينة - فاس- حيث يلقي رجلاً  
اسمه - محمد الحصار - فرحل وسأل عن الرجل وجاءه فقال  
له:

"هل سألت الله في حاجة" فقال: نعم سألته أن يحملني  
إلى بلاد الشرق فقيل لي ان فلاناً يحملك وأنا أنتظرک من  
ذلك الزمان.

فأخذته بصيحتي وأوصلته إلى الديار المصرية ومات فيها.  
ثم دخل - بجاية- وهناك ذات ليلة عقد قرانه في المنام  
على جميع نجوم السماء. وجميع حروف الهجاء بلذة عظيمة  
روحانية وعرض هذه الرؤيا على رجل عارف بالرؤيا  
فاستعظمها وقال: ها هو البحر الذي لا يدرك قعره.  
"صاحب هذه الرؤيا يفتح له من العلوم العلوية، وعلوم  
الأسرار خواص الكواكب" ثم سكت ساعة وقال: صاحب  
هذه الرؤيا في هذه المدينة. فهو الشاب الاندلسي الذي  
وصل إليها.

ثم رحل إلى تونس واستقر فيها. وفي ذات يوم كان في  
المسجد خلف الإمام وإذ به يصيح فجأة وبغير وعي منه  
صيحة كانت من الهول بحيث غشي منها على كل المصلين  
حتى أن بعض النسوة كمن على سطوح منازلهن فغشي  
عليهن، ومنهن من سقطن إلى صحن الدار ولم يصبن بأذى.  
فلما تاب ابن عربي لم ير شيئاً في أول الأمر إنما شاهد

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

شعاعاً من السماء. وبعد قليل أفاق الجميع من غشيتهم  
واستولى عليهم العجب، فأحاطوا به يسألون عما حدث.  
ثم استأنف الرحلة إلى المشرق يومر بمصر، ولم يغم طويلاً  
وبلغ مكة.

وذاع صيته هناك وبدأ العلماء والصالحون يتوددون إليه.  
من بين هؤلاء الإمام /أبو شجاع/. الذي انعقدت بينه وبين ابن  
عربي مودة وثيقة. وكان للإمام بنت ذات جمال رائع فأوحت  
- نظام - وهو اسمها إلى ابن عربي بموضوع كتاب من  
أشهر كتبه: ترجمان الأشواق.

وابن عربي يعترف في مقدمته أنه منذ عرف هذه الفتاة فكر  
في تأليف قصائد غزلية موجهة إليها في الظاهر ولكنها في  
باطنها ومعناها للصوفي موجهة إلى الله.

ونظام- عذراء هيفاء وتلقبه بـ عين الشمس والبهاء- وهي  
من العبادات السابحات الزاهدات. كان ذلك سنة - 598 -  
ومنذ هذا التاريخ ونشاطه في الكتابة عجيب.

مقتطفات: من ترجمان الأشواق.

طَلَعَ الْبَدْرُ فِي دُجَى الشَّعْرِ وَسَقَى الْوَرْدُ نَرْجِسَ الْحَوْرِ  
غَادَةً تَاهَتْ الْحَسَانُ بِهَا وَزَهَا نُورُهَا عَلَى الْقَمَرِ  
هِيَ أَسْنَى مِنَ الْمَهَابِسِنَا صُورَةً لَا تُقَاسُ بِالصُّورِ  
\*\*\*

ما حياتي بعدهم إلا الغنا فعلها وعلى الصبر سلام

\*\*\*

تطوفُ بقلبي ساعةً بعدَ ساعةٍ لوجدٍ وتبريحٍ وتلثم  
أركانِي  
كما طافَ خيرُ الرسلِ بالكعبةِ التي يقولُ دليلُ العقلِ فيها  
بنقصانٍ  
\*\*\*

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ما زلتُ أجرعُ دمعتي من عُلتِي أُخفي الهوى عن عاذلي  
وأصونُ

إن الفراقَ مع الغرامِ لقاتلي صعبُ الغرام مع اللقاءِ  
يهونُ  
\*\*\*

كلما ضنتُ تباريحُ الهوى فضحَ الدمعُ الجوى والأرقا  
\*\*\*

طالَ شوفي لطفلةً ذاتِ نثرٍ ونظامٍ ومِنبرٍ وبيانٍ  
والهوى بيننا يسوقُ حديثاً طيباً مُطرباً بغيرِ لسانِ  
\*\*\*

ولو لامني في هواها عذولُ لكان جوابي إليه شهيقِي  
\*\*\*

واشربُ سُلَاقَةَ خَمْرِهَا بخمارها واطربُ على غردِ هُنالكِ  
يُنشدُ  
\*\*\*

أعدُ الحديثَ علي من جنباتِهِ إن الحديثَ على الحبيبِ  
حبيبُ  
\*\*\*

وفي السنة التالية كتب - مشكافاً لأنوار. و حياة الأبدال -  
وكان الطواف في البيت العتيق بمكة ينشء في روحه رؤى  
وتجليات.

ويروي أنه ظهر له ابن - هارون الرشيد - وكان صوفياً ومات  
في القرن الثاني متجسداً أثناء الطواف بالكعبة وتحادثاً.  
وتنبأ ابن عربي بوقوع مصائب عظيمة أن شاهد النجوم  
تتساقط تساقطاً عجباً ووقعت هذه المصائب في السنة  
التالية..

فقد هبت على اليمزريح عاتية تحمل غباراً غطى الأرض.  
ولم يعد في وسع الناس أن يمشوا في النهار إلا في ضوء  
المشاعل بسبب ظلمة السماء.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ثم انتشر الطاعون وفتك بأهل مكة. والبحر يزيد دويماً عظيماً. وكتب في هذه السنة المحمومة رسالته - الدرّة الفاخرة - ثم رحل إلى بغداد واستأنف إلى الموصل رغبة في زيارة (علي بن عبد الله جامع). وكان صوفياً شديداً يتعلق - بالخضر - وكان له بستان خارج الموصل وفي هذا البستان تلقى ابن العربي - خرقه الخضر - والذي تلقاها ابن جامع من الخضر نفسه. ومن هذا التاريخ أصبح مرسماً من مراسم التصوف /خرقة الخضر/.

وأوصى بها المريدين.

ثم غادر العراق إلى مصر. وأقام مع جماعة من الصوفية من أصحابه ومواطنيه قد عاشوا معاً في - بيت زقاق القناديل بالقاهرة. وقضى معهم الليالي في العبادات والمجاهدات وآيات الكرامات. وفي ذات ليلة اجتمعت هذه الجماعة في غرفة مظلمة، فلاحظوا مدهوشين أن أجسامهم تبعث أشعة نورانية تبديد الظلام المحيط بهم.

وفجأة تجلى لابن عربي شخص رائع الجمال ألقى إليه بكلمات في غاية الحسن يوحى فيها من الله بأمور تتعلق بالاتحاد الصوفي. ومما قاله له.

- الخير في الوجود - والشر في العدم - فوضع ابن عربي رأسه في عبء ونظم في نفسه أبياتاً في المعرفة ونام صاحبه.

ووصلت آراءه إلى علماء الصوفية العامة وبعض الفقهاء. فاتهموه أمام السلطان بأنه مبتدع أو كامن. وطالبوا بسجنه ورأسه. ومن بل اضطهاد آرائه ولم يدهش ابن عربي من موقف هؤلاء الفقهاء:

أولاً - لان الله أنذره في مكة أن سيتمحن في سمعته في حياته وبعد مماته.

ثانياً - لانه طعن بالقول والكتاب في فقهاء المغرب والمشرق واتهمهم بالجهل وسوء الأخلاق.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ولكن الشيخ - أبا الحسن البجائي - صديق ابن عربي سعى في خلاصه لدى السلطان فأمر بإطلاق سراحه ولام ابن عربي أبا الحسن المدافع عنه متعجباً: كيف يحبس من حل منه اللاهوت في الناسوت فقال له الشيخ حسن: يا سيدي تلك شطومات في محل شكر. ولا عتب على سكران. ورحل من القاهرة إلى مكة ثم إلى - قرنيه - في آسيا الصغرى. وتولى الملك / كيكوس الأول / القسم الخاضع للإسلام. وكانت شهرته قد سبقته إلى بلاط هذا الملك الذي خرج بنفسه لاستقبال - ابن عربي. وأمر بمنحه داراً فخمة تساوي مائت ألف قطعة فضة. قبلها ابن عربي وأقام فيها زمناً ثم التقى بسائل فأعطاه هذه الدار صدقة قائلاً: "إن هذه الدار هي كل ما يملك". في هذه الفترة الهادئة في قرينته/607هـ/.

استأنف التأليف كتابين هما: مشاهد الأسرار. ورسالة الانوار -

وكان يجتمع بالصوفية الذين يريدون تعاليمه ومن أشهر تلاميذه هناك - صدر الدين القونوي - وقد قال تلميذه لصاحب مؤلفات عديدة في التصوف). نعرف أن ابن عربي كانت تظهر له تجليات سماوية على هيئة جسمية وتتحد بروحه في مشاهد وجدانية خارقة.

حدث ذات يوم في قونية أن مصوراً رسم (حجلة) بدقة بالغة حتى إن بازياً انقض على الصورة متخيلاً أنها حجلة حقيقية. لكن ابن عربي أدرك أن في الصورة عيباً في النسب فاعترف المصور أنه قصد هذا العيب حتى يختبر مواهب ابن عربي.

واستأنف السياحة في بلاد الأناضول. وبلغ أبرد الأماكن في أرمينية حيث يجمد نهر الفرات في الشتاء. ثم دخل بغداد على أن تكون خاتمة رحلته قاصداً أن يتعرف إلى صوفي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

عظيم هو - شهابالدين السهروردي- وكان شيخ مشايخ الصوفية في بغداد.

وذكر تفاصيل أول مقابلة جرت بين الشيخين: ونظر كل منهم إلى الآخر وقتاً طويلاً في صمت. وانفصلا دون أن ينطقا بكلمة.

وبعد هذه المقابلة بمدة قال السهروردي لتلاميذه:

- إن ابن عربي- (بحر الحقائق)

وتجمع التلاميذ حوله في بغداد وكانوا من الطاعة والخضوع له حتى جعلوا طاعته قبل طاعة الخليفة.

وقد كرم ابن العربي أيضاً من الملك الظاهر صاحب حلب / 613هـ/ فقد وضع ثقته في ابن عربي وجعله بيت خاص في بلاطه. ونظراً لنفوذه كان سكان حلب يلجأون إليه في كل حوائجهم لدى السلطان. وبلغ من نفوذه حداً طغى على نفوذ أهل البلاط. وكان يشارك سائر الصوفية الذين كانوا يتمردون على الفقهاء الرسميين المتزمتين. ويورد في الفتوحات حديثاً جرى بينه وبين السلطان، وفيه يهتم السلطان فقهاء بلاطه بأنهم أفتوا له بتحليل عدد لا يحصى من الأفعال المحرمة. وبأن رخصوا له بالافطار في رمضان. وكذلك سلطان حمص - أراد أن يؤمن لابن عربي معاشه. فأجرى عليه كل يوم مائة فضة. لكن زهد ابن عربي وجد السبيل لكي يتصدق بهذا المبلغ

## السنوات الأخيرة

إن الزهد الشديد الذي مارسه منذ فتاء سنته. في الرياضيات الصوفية، والسياحات المتواصلة. واقامته في جواء قاسية مثل /أرمينية/. وعمله المتواصل في تصنيف كتبه التي أنافت على أربعمئة كتاب. والظواهر الخارقة التي عاها في حياته وكلها تحمل طابعاً مرضياً يبين على نوع من الاختلال العقلي. وهو نفسه يعترف في موضع من

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

المواضع أن عقله لم يكن يعمل بطريقة عادية حينما يكتب مؤلفاته.

وحيث كان يصنف كتاب الحكمة الإلهية أصيب في وجع بدماعه. وضعف في ذهنه واشتدت هذه الآلام لما دخل في سن الشيخوخة، فحمله ذلك على تلمس اجواء أكثر اعتدالاً فنزل في قلب سورية التي كان يراها أطيب بلاد الدنيا مقاماً.

وسلطان دمشق رغب أن يكون إلى جوار هذا الرجل العجيب الذي طبقت شهرته بلاد المشرق كلها، لا ينافس في شهرته غير صوفي آخر معاصر له هو: عمر بن الفارض: الشاعر المصري الصوفي المشهور. واستقر ابن عربي في دمشق من عام 620/ هـ. وهو في سن الستين ولم يغادرها حتى توفي وفي هذه المرحلة اشتدت عليه الواردات الأشرافية وانعكس ذلك على كتبها التي فرغ منها وهي- النصوص- الفتوحات- الديوان. ولا بد أن يكون انقطاعه فترة في الصحراء. خارج دمشق قد ساعدته كثيراً. فتعددت الرؤى والتجليات توفي عام 627 هـ. أصابته هلوسة بصرية حادة جداً.

فعلى أرضية من النور الأحمر ظهر لعينيه شكل هندسي ذو لوناً أبيض يحيط باسمه هو الذي يدل عند الصوفية على الماهية المشخصة لله. فلما شاهد ذلك غشي عليه. وفي نفس السنة ظهر له النبي وسلمه كتاباً عنوانه ( فصوص الحكم). وأمره بإذاعته ونشره بين الناس لما فيه من كمال صوفي.

وهذا الكتاب هو الذي وطد شهرته بوصفه كاتباً صاحب رؤى صوفية. ويعرض فيها أغرب نظرياته في وحدة الوجود وكان للراحة المادية وهذوء النفس اللذين ينعم بهما في دمشق الفضل في امتداد أيامه وأسرته تحيط به، وقاضي قضاة الشافعية (شمس الدين الخولي) كان يخدمه كالعبيد تقديراً



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

له. واقتداءً بسيرته. والقاضي ابن زكي بتوفير معاشه في دمشق. كل يوم ثلاثين درهماً. وأواه في منزله. وهكذا ظل يحرق مؤلفاته على الرغم من بلوغ الثمانين. حتى توفي في دمشق في منزل ابن زكي يحيط به أهله وأتباع الصوفية.

وفي ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين، وستماية وقام ابن زكي مع مريديه وحملوا جثمانه خارج دمشق في قرية الصالحية على سفح جبل قاسيون. وهو موضع زيارة مشهور ويعتقد المسلمون أن الأنبياء جميعاً طهروه - خصوصاً الخضر - ودفن في تربة خاصة بأسرة ابن الزكي. وخلف بعد وفاته ولدين:

سعد الدين محمد - وكان شاعراً صوفياً له ديوان مشهور مشهور وتوفي في دمشق ودفن بجوار والده عماد الدين محمد. وتوفي بمدرسة الصالحية ودفن أيضاً بجوار والده وأخيه

وكانت له أيضاً بنت تسمى (زينب). وأكد ابن عربي مرتين في الفتوحات أنها كانت منذ طفولتها تتلقى الهاماً علوياً. وما لقيه ابن عربي من إجلال إبان حياته قد نما وزاد بعد وفاته. ولقد أصبح ينظر إليه على أنه شبه بني صاحب كرامات. وصاغت حماسة أتباع آلاف الأساطير حوله. وفي منتصف القرن التاسع عشر كانت ذكراه لا تزال حية بين المسلمين الأتقياء في دمشق فكانوا يزورون ضريحه كل يوم جمعة.

### مذهبه الروحي

مذهب ابن عربي في الزهد والتصوف هو في نفس الوقت الأساس والقمة في فكره

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

فإذا كان التجلي الإلهي هو هدف التصوف وهو البديل من العقل الفلسفي واللاهوتي في الكشف عن الحقيقة. فإن الزهد هو الذي يهيئ النفس لمثل هذا التجلي. وشخصيتان عربي الفكرية والصوفية القومية لتسود كل التاريخ الحديث للروحانيات الإسلامية. ولهذا أطلق عليه اسم - محي الدين - لأنه أحيا الحياة الدينية ووجد بها. كما لقب بالشيخ الأكبر - عند السنة وعند الشيعة الفرس. ويقول: التصوف معرفة تجريبية ولصدق الأحوال المعرفة التي تولدها في النفس المجاهدات الزهدية. أما الزهد الذي يدعو إليه هو في جوهره - زهد الخلوة - ومع اعترافه بفوائد الخلوة المطلقة، فإنه لا ينصح بها إلا للمريدين الذين تم تعليمهم. وقاعدة الصوفية مبنية على أربع خصال - الصمت - العزلة - الجرع - السهر.. وهذه الخصال أسس مذهبه في جميع رسائله. أما أوج الروحانية الصوفية فهي - العبادة. والتأمل. والذكر. ويقول أن النفس الحساسة هي الأصل في الانفعالات الشهوية والغضبية والتي باختلالها تحدث الخطيئة لذلك لا بد من التطهير. والتطهير له ثلاث مراتب وهي: تزكية النفس. تصفية القلب. تجلية الروح. وقبل كل شيء - التوبة - ويفهمها ابن عربي كما يفهمها المسيحيون بأنها: " اقتراب من الله وتباعد عن المخلوقات". وقواعد الصوفية تقوم تحت رمز مؤثر هو رمزانواع الموت الأربعة:

الموت الأبيض - هو الجوع  
الموت الأحمر - هو مخالفة الشهوات  
الموت الأسود - احتمال الأذى من الخلق. والآلام  
الجسمانية والمعنوية بصبر

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

الموت الأخضر - وهو ليس المرقع من الخرق.  
ثم بعد التوبة يأتي الزهد. والزهد هو وسيلته وشرط للعشق  
الإلهي والمحبة.

وتحدث ابن عربي عن مذهبه في المحبة. في اتفاق مع  
المسيحية.

"عيادة المرضى. المسجونين. إطعام فقير - ارشاد الأعمى.  
إغاثة الملهوف.

وأعمال الرحمة أيضاً تناول - الدواب والحيوانات والبهائم.  
وإن كان ينقصها العقل لكنها من مخلوقات الله.

ويتفق أيضاً مع المسيحية لبلوغ الكمال. في تنظيم الحياة  
ومحاسبة النفس.

ففي كل ليلة يجب على النفس أن تستعيد كل ما فعلته وما  
اهملته. حتى تحاسب نفسها أمام الله ومحاسبة صباحية  
أيضاً.

أما مقام المحبة يتحدث - ابن عربي - عن حضور الإلهي  
يمنحه الله لأصفيائه فيقول: لقد بلغ بي قوة الخيال أن كل  
حبي يجسد لي محبوبي من خارج لعيني فلا أقدر أن أنظر  
إليه، وكلما قدمت لي المائدة يقف على حرفها ويقول:  
"أناكل وأنت تشاهدني"؟. فامتنع عن الطعام ولا أجد جوعاً  
فأمتلئ منه. هذه نوع من كراماتي الرؤية.

أما جلسات السماع عند الصوفية فيقول ابن عربي بأنها  
بدعة حديثة للعهد. أما كنز الانشاد فهو غني ومتنوع ويتألف  
معظمه من أشعار غزلية تفهم بمعنى رمزيوتعبر عن  
العشق الإلهي. ويرافقها عزف على الناي ورقص وضرب  
للصبح من أجل إثارة الوجد، حتى يغيب أحدهم من شدة  
الوجد ويسقط عنه ثوبه فيقال الشخص بمجذوب ويتوزعون  
ثوبه الحاضرون كعلامة للبركة لما وهبه الله من نعم وألطف  
لهذا المجذوب.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

والمجذوب بانسان مات عن الدنيا وروح خرجت من بدنه  
لتتحد بالله.  
ويفضل ابن عربي أن تتلى آيات القرآن الكريم بخشوع على  
انشاد الشعر العربي الحافل بالإشارات والايحآت  
الشهوانية.  
أما الخلوة والاعتكاف فلم ينكرها كما انكر السماع. بيد أنه  
يتشدد فيها.  
أما الكرامة فهي المواهب والفضائل للنفوس المختارة  
ومعناها- موهبة عطية ويقسم الكرامات إلى - ظاهرة  
وباطنة.. وتمنح من القدرة المطلقة.  
أما المعرفة فيهبها الله وهي ثلاثة أنواع: المكاشفة والتجلي  
والمشاهدة.  
أما حب الله. فيقول: هناك درجات ثلاث للحب:  
الدرجة الأولى: الهوى لانه يتولد في النفس من الايمان  
بكلمة الله.  
الدرجة الثانية: الحب وهو ميل برضا واخلاص وإيثار الله على  
كل شيء  
الدرجة الثالثة: العشق وهو افراط المحبة الذي يأسر  
النفس ويستولي عليها.  
ويرى الحب نوعان:  
الحب الطبيعي الذي لا ينشد غير خير المحب.  
الحب الروحاني الذي لا ينشد غير خير المحبوب  
فالله في حبه يجمع بين الحب الطبيعي الذي يسعى إلى  
خير الخالص. وبين الحب الروحي الذي يسعى إلى خير  
المحبوب.  
والحب من صفات الله إذاً هو: ازلي أبدي مثله.  
قبل أن توجد الموجودات كلها يحبها. ولانه يحبها فإنه خلقها.  
وبعد أن أوجدها فإنه يحبها إلى الأبد.  
والصوفية.. في قصائدهم الغرامية المقصود هو الله.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

فهو وحده الجمال الحقيقي الجدير بالحب. وابن عربي يؤكد أن الله يتجلى لكل محب تحت حجاب المحبوبة التي لا يعشقها إلا بقدر ما يتجلى فيهما من مشابهة للألوهية. فينشد:

نَعِيمُكَ أَوْ عَذَابُكَ لِي سِوَاءِ      فحُبُّكَ لَا يَحُولُ وَلَا يَزِيدُ  
فحبي في الذي تختارُ مني      وحبُّك مثل خلقك في جديد  
ويورد ابن عربي عن صوفية جميلة:  
يا حبيبُ القلوبِ من لي سواكا      أرحمُ اليومَ زائراً قد أتاك  
أنتَ سؤلي وبُغيتي وسروري      قد أبى القلبُ أن يحبَّ  
سواكا

يا مُنايا وياسيدي واعتمادي طال شوقي متى يكون لقاكا  
ليس سؤلي عن الجنان نعيماً غير اني أريدها لأراكا.

## خصائص مذهبه الروحي

وأول خاصية هي الأثر الأفلاطوني العميق المتغلغل في كل مذهبه وبخاصة في تصوفه. ثم تتجلى أحوال الجذب والغناء في الحب الإلهي. ويمتاز مذهبه في خاصيتين هما: التلفيق والاستسرار. الاستسرار: يكشف تصوفه في صفحات والفصوص. الفتوحات. المواقع. الأنوار. عن طابع متميز من المذهب المستور المستسر. معناه العميق غير الميسور لعامة الناس. بل هو من شأن الخاصة. حتى أنه اضطر إلى وضع معجم خاص باصلاحاته. لانعمن الغموض بحيث أن فقهاء المسلمين لم يستطيعوا النفوذ دائماً إلى المعنى الحقيقي لأحواله. لان طابعه سرى وإذا كان تصوفه يعيبه الغموض في العبارة، فإن زهده شعبي وميسور لعامة الناس. وابن عربي يرى أن الاسلام لم يأت للقضاء على المسيحية واليهودية بل ليكملهما ويضع دين الصوفي فوق كل الاديان فيقول:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

لقد صار قلبي قابلاً لكل صورةٍ فمرعى لغزلانٍ وديرٍ لرهبانٍ  
وبيتٍ لأوثانٍ وكعبةٍ طائفٍ وألواحٍ توراةٍ ومصحفٍ قرآنٍ  
أدينُ بدينِ الحبِ أتى توجّهتُ ركائبه فالحُبديني وإيماني  
أما مذهبه في وحدة الوجود فيقول:  
إذا كان العالم يصدر عن الله. والمخلوقات هي علامات وآثار  
وتجليات له.

من الواضح إدراك هذه الوحدة في الوجود. ينبغي أن يكون  
الخطب الأسمى للتصوف فالنفس ترجع إلى الاتحاد بالله  
الذي صدرت عنه.

وقد عبر عن رأيه بما خلق الله بقوله:

- إن العارف المكمل هو من رأى كل بعود مجلى للحق  
يعبد فيه -

لذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص - بحجر أو شجر أو  
كوكب - فهذا اسم الشخصية فيه والألوهية مرتبة تخيل  
العابد له أنها مرتبة معبودة.

أما العارفون بالأمر فيظهرون الأفكار لمن عبد من الصور.  
لأنهم علموا أن الوقت مجلى عظيم من مجالي الحق ،  
فعبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه فيه ،  
وجعله المنكر الذي لا علم بما تجلى.

النفري

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

يعتبر - محمد بن عبد الجبار الحسن النفري من أساطين التصوف الإسلامي في القرن الرابع الهجري ورغم إهمال المؤرخين له. فقد بدأ أثره الكبير في عمالقة التصوف. ولا يعرف عن هذا التصوف سوى إشارات خاطفة. ولكن هناك مؤرخ أورد ذكره مؤخراً هو - حاجي خليفة - في كتابه كشف الظنون. وكل من يقرأ كتابي النفري - مواقف ومخاطبات يلمس تلك النبوة التي تذكرنا بالكتب المقدسة الشرقية وخاصة كتابات ماني.

ويقول الباحث- يوسف سامي اليوسف - إلى أنه نبي مرسل إلى نفسه وحدها.  
على قول - ابن الفارض:  
إلي رسولا كنت مني مُرسلاً وذاتي بآياتي علي  
استدلت.

وقد فتح النفري آفاقاً في التصوف، ووسع دائرته بحيث تشمل الأديان كلها، وصولاً إلى الإنسان الكامل، وأشار أن اللغة لم تستطع أن تعتبر وتوضح عن مكونات نفسه لأن طاقاته الروحية أكبر من الحروف والكلمات وأوضح ذلك بقوله:

"وكلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة"  
وقد حمل على عاتقه مهمة علياً للصوفي متجاوزاً مقولتي الخير والشر وصولاً إلى الملاء الأعلى، ويقدم نفسه بصمت خفي من حيث أنه نائب لقوة الخلق الكونية إنها أزمقوصال واتصال بين العالم الأعلى والعالم الأدنى، والرغبة في الوصال:

الاستبصار يهيئ التي شحذت خيال النفري ولديه ثلاث مستويات للاتصال بالحقيقة أدناها - العلم. وأسمائها الرؤيا. وبينهما تلقف المعرفة.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ليعبر إلى ساحل تجربة الاتحاد المستحيل. فعاش تجربة الحب الإلهي واستضاء به فاستغرقه الله واقفاً ومخاطباً فيقول:

- الوقفة نار الكون. والمعرف نور الكون.

وسجل خطواته على أنها ضرب من الإلهام على شكل خطاب الهي:

فقال - وقال لي -

- إن أردتني بكل شيء. وأردتني كل شيء، علمتك: علماً لا يستطيعه الكون وقد تأثر بالمانوية والفلسفات السورية القديمة فيقول:

"وقال لي: أنا في كل شيء.. أبدو لك فاني منك"

ثم يتابع أوقفني وقال لي:

"الجهل حجاب الرؤية. والعلم حجاب الرؤية.

فأنا الظاهر لا حجاب. وأنا الباطن لا كشف.

وقال لي:

اذكريني في كل شيء.. اذكرك في كل شيء.

وقال لي:

سل كل شيء عني.. ولا تسألني عني.

وقال لي:

أعلن توبتك في كل شيء.. يستغفر لك كل شيء.

وفي المواقف والمخاطبات تلمس أن النفري يترجم رؤيته إزاء:

- الله - الانسان - الوجود.

وهوفي حالة ذهول النشوان، والخطاب دائماً موجه إلى الله. وبذلك حقق التواصل مع الله.

ويبرز الانسان كخليقة لله على الأرض، وكفاعل أول. ويتم الاتحاد والوصول بفعل الحب لانه يتوق إلى الأصالة السرمدية.



فيقول:

أنا أقرب إليك من كل شيء فلا بين.

وأنا أقرب إليك منك فلا إحاطة لك بي.

يا عبد انتقل بقلبك عن القلوب التي لا تراني.

وقال لي:

إذا كنت لي فأنت بي.. وإذا كنت بي فأنت لك

وقال لي:

أنا في عين كل ناظر.

وقال لي:

ما الذات؟ قلت:

أنت الله لا إله إلا أنت

وقال لي: أظهرني على لسانك كما ظهرت على قلبك. وإلا

احتجبت عنك بك وقال لي: إن قبلت حسنة جعلت السيئات

كلها حسنات

وقال لي: سبح لي الأبد وهو وصف من أوصافي، فخلقت

من تسبيحه الليل والنهار وجعلتهما سترين ممدودين على

الأبصار والأفكار. وعلى الافئدة والأسرار.

قال لي: قل للعارفين كونوا من وراء الأقدار فإن لم تستطيعوا

فمن وراء الأفكار.. وقال لي: الصبر السكينة. والحلم من

الصبر. والرموز من الحلم.

وقال لي: فعل القلب أصل لفعل البدن. فانظر ماذا تغرس،

وانظر الغرس ماذا يثمر؟.

وقال لي: لو علمت ما في الرؤية لحزنت على دخول الجنة.

وقد عبر النغري عن طبيعة عروجه في عوالم الحب الالهي،

باسلوب نثري كأنه الشعر وما هو الشعر، فهو عاشق يترجم

عشقه بلغة التوتر الخلاق التي لا يدركها ولا يفهمها الا

العاشقون. لانه تحدث بلغة الوجد المتسامي محققاً ضرباً

من التكامل.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ولقد وظف القلب، والفعل لتجربته الروحية.  
فيقول: ان الاسماء كلها أسمائي. وليس اسمائي في  
الأسماء.  
وقال لي: أنا أقرب إلى الشيء من نفسه. وأنا أبعد عن  
الشيء له.

### عمر بن الفارض

إن الغرام هو الحياةُ نمتُ به صَبًّا. فحُكَّ أن تموتَ وتُعدرا  
قلٌ للذين تقدموا قبلي وَمَنْ بَعْدِي ومن أضحى  
لأشجاني يرى  
عني خذوا وبني اقتدوا وبني اسمعوا وتحدثوا بين  
الورى  
ولقد خلوتُ مع الحبيب وبَيْننا سر أرق من النسيم  
إذا سرى  
فدهشتُ بينَ جمالِ عِوِجِ جلاله وغدا لسانِ الحالِ  
عني مُخبرا  
فأدرُ لحاظك في محاسنِ وجهه تلقى جميعَ الحُسنِ فيه  
مُصورا  
لو أن كلَّ الحُسنِ يكْمَلُ صورةً ورأه كان مهلاً  
ومُكبِرا

### مولده ونشأته

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

هو أبو حفص وأبو القاسم - عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي - ويُعرف - بابن الفارض - وينعت بشرف الدين - أي هو العارف بالفرائض - هو حموي الأصل. مصري المولد والوفاة. واختلفوا في تاريخ مولده..

سبط ابن الفارض يحدثنا عن جده بأنه ولد في القاهرة 576هـ - وتوفي 632هـ. أي في الربع الأخير من القرن السادس وأوائل القرن السابع. ودفن في سفح جبل المقطم، وله من العمر أربع وخمسون وستة أشهر وأيام. ويذكر أن والده قدم من حماه إلى مصر - وسبب هجرته غامض - فقطنها وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحاكم فلقب - بالفارض - وعرض عليه منصب قاضي القضاة لكنه رفض. واعتزل الناس في قاعة بالجامع الأزهر. وكان والده ذو علم وعناية بنشئه ابنه وتهذيبه، ويلزمه بالجلوس معه في مجالس الحكم والعلم. ويقال إنه ينسب إلى بني سعد قبيلة حليمة - مرضعة الرسول - ولكنه عاش وولد ومات في مصر ويقول:

وطني مصري وفيها وطري ولعيني مشتهاها مشتهاها.  
وكان يحكم مصر ملوك الأيوبيين وكانوا محبين للعلم والأدب والدين والتصوف. وعاصره السهر وردي. وابن عربي. ومنذ نشأته الأولى سلك طريق الصوفية وبدأ سياحته في وادي المستضعفين بالمقطم. وكان من الفقهاء والأعلام. وقاضياً ولي الأحكام وغرست في نفسه التقوى والورع والعبادة. ويقال أنه دخل الجامع يوم الجمعة ليصلي. والخطيب يخطب فوجد شخصاً يغني فنوى تأديبه سرّاً بعد الصلاة. فناداه ابن الفارض للشخص المعني فلما أقبل أنشده:

قسم الإله الأمر بين عباده فالصب ينشد والخلي

يسبح

ولعمري التسبيح خير عبادة للناسكين وذا لقوم يصلح

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ويقال إن هذه الحادثة كانت سبب زهده. وبدأ يسوح في الليل والنهار- وبوادي المستضعفين ثم يعود إلى والده. ثم رحل ابن الفارض عن مصر إلى الحجاز وقضى خمسة عشر يوماً سائحاً منقطعاً عن الناس. وقال سمط ابن الفارض بأنولده في جمع لاديوان أبيه فاتته قصيدة واحدة كان قد نظمها في الحجاز، وأهل مكة يعلمونها أبناءهم في المكاتب. وينشدونها في الأسفار على المآذن. وظل ولد الشاعر يتلمس هذه القصيدة زهاء ستين عاماً دون أن يظفر بها، وأخيراً جدّ سبط في طلبها نحواً من أربعين عاماً حتى عثر عليها؛ ومطلعها:

أبرقُ بَدَا من جانبِ الغورِ لامعٌ أم ارتفعتْ عن وجهِ ليلي  
البراقع

وبقي في مصر حتى 629هـ. وبعد عودته فاضت أشعاره بوصفه لحياته مع أحبته وفيها احساسه بالألم والسهاد على فراق الأبية فقال:

وَيَفْرَحُ مَخْزُونًا وَيُحْيَا مَيِّتًا وَيَأْسُ مُشْتَاقًا وَيَلْتَدُّ سَامِعًا

كلم السهادُ حَفْوَلَةٌ فتبادرتُ عبراتهُ ممزوجةً بدماءٍ  
وسمع الملك الكامل - بابن الفارض- في الطور الأخير من حياته. حين سمع إحدى قصائده المشاعة تنشد في قصره. فأوفد إليه كاتب سره ومعه ألف دينار فتأبى ابن الفارض عن قبول المال والحضور إلى مقابلة الملك. فقصد الملك ابن الفارض في الجامع الأزهر ولكنه أحس بقدمه مهم قبل أن يصلوا، فخرج من الباب الآخر وسافر إلى الإسكندرية وأقام هناك (بالمنازل) وهو جبل فيها. وعاد بعد فتره متعظاً إلى الجامع. وأراد الملك أن يبني له تربة خاصة به يدفن فيها فرفض.

أما أشعاره فقد نظم بعضها في الحجاز. والبعض الآخر في مصر. وعمد في طورها الأخير والرابع إلى تنسيق شعره

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ونظره إلى أن وافته المنية 632هـ. ودفن بسفح جبل المقطم تحت المسجد المعروف - بالعارض- وهوفي أعلى الجبل المذكور.

وكان الناس يتهافتون على حمل نعشه. والأميرة جميلة كريمة الخديوي إسماعيل. وأنشأت بجوار قبره قبة كبيرة دفن فيها ابنه لو غرست الأشجار والأزهار وكأنها هيئات للشاعر العاشق أن تحيا روحه في ظل الجمال الذي فاضت روحه بحبه.

## حياته الصوفية

هي مزاج من العمل والذوق والرياضيات والمجاهدات. وبدأهافي وادي المستضعفين في جبل المقطم، ثم رحل إلى الحجاز سائحاً في أودية مكة. كان جميلاً نبيلاً كريماً، فصيح العبارة، عذب المنهل والنبع. وكانت له أربعينات متواصلة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام فيها، ويروى أنه في آخر أيام من أر بعيناه اشتتت نفسه لونا من الطعام، فأخذ يطالبها بالصبر، ولكنها ألحت بشدة، فاشترى هذا اللون ودخل إلى قبة الشرابي، ولم يكديرفع أول قطعة إلى فمه حتى انشق جدار القبعة وخرج شاب جميل أبيض الثياب ولا معه إكله، فألقى بها قبل أن تصل إلى فمه.. وخرج للسياحة وأدب نفسه بزيادة عشرة أيام على الأربعين.

أما في مكة كان يصحبه سبع كبير ينخ له، كما ينخ الجمل ويقول له: اركب يا سيدي ويقال أنه كان يقضي أغلب أوقاته دهشاً شاخصاً ببصره لا يسمع ولا يرى من يكلمه وهو في غيبته كانت ثمراته قصائده. خاصة وأن قوام المكاشفات الصوفية والفتوحات الإلهية هو التأمل وتركيز الشعور في

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

نقطة واحدة.. بحث يستوعب جمال الوجد والغيبقويدرك  
الحقائق ويكشف الأسرار. وكان ابن الفارض محباً للجمال،  
فكان صورهم لواجده وأذواقه الروحية بأصحت كل  
الكائنات مظاهر لحقيقة واحدة هي - الذات العليا - التي  
أحبها وانجذب إليها وهام بها إلى حد الغناء ولهذا أحب  
الجمال بكل صورته فيقول:

وَصَرَخُ بِاطْلَاقِ الْجَمَالِ وَلَا تَقْلُ      بتقييده ميلا لزخرف وزينه  
فَكُلُّ مَلِيحٍ حُسْنُهُ مِنْ جَمَالِهِ      معارٍ لعل حُسن كل

مليحه

وكان إذا استمع تواجد وغلب عليه الحال، ازداد وجهه جمالاً  
ونوراً وتصدر العرق من جسمه حتى يسيل تحت قدميه،  
حتى سمع مرة فرقة من الحرس ينشدون فأثار نشيدهم  
كوامن نفسه، فإذا هويصرخ ويتواجد ويرقص كثيراً، ويخلع  
كل ثيابه، ثم يحمل إلى الجامع الأزهر وهو على هذه  
الحال، ويظل في سكرته هذه أياماً.

وقد عبر الصوفية عن هذا بقولهم: إن العبد إذا تخلق ثم  
تحقق ثم جذب اضمحلت ذاته، وذهبت صفاته. فتلوح له  
بروق الحق بالحق. ويرى الله في كل عين ولا يرى سواه.  
وقد عبر عنه ابن الفارض بقوله:

تراه إن غاب عني كل جارحة      في كل معنى لطيف رائق

بهيج

في نغمة العود والناي الرخيم      إذا تألفا بين ألحان من

الهجج

وفي ساحب أذيال النسيم إذا      أهدى إلى سحيرا أطيب

الأرج

وفي ساقط أنداء الغمام على      بساط نور من الأزهار

فتسبح

ويقال إنه بمدينة - بهنسا بصعيد مصر: كان هناك بيت يقيم  
فيه بعض الجوارح المغنيات الضاربات على الدفوف، وكان

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

يقصد هذا البيت حيث يلقي نفسه في غمرة من غمرات  
السماع يتولد الوجد والدهش والغيب فيقضي الليلة هناك  
ثم يعود إلى القاهرة.

ويحضرني في الجمع من باسمها شدا فأشهدها عند  
السماع بجمليتي

\*\*\*

فمني مجذوب إليها وجاذب إليه ونزع النزع في كل  
جذبة

فحياته النفسية تتنازعها قوتان:

الروح تنجذب إلى أعلى وتجذب معها الحياة النفسية  
والنفس تهبط إلى أسفل وتجر معها الحياة النفسية  
وهنا تكون الحركة والاضطراب. وهما أطر آيات الرقص.  
ويشبه ابن الفارض حاله عند السماع بحال طفل، الذي  
يسكن اضطرابه كلما حركت يد مربيه مهده

يناغي فيلغى كل أصابه ويصفي لمن ناغاه  
كالمنتصب

فرقص ابن الفارض ورقص يشهد الواحد فيه الموجود،  
ويغيب بعن وجدته بحيث يصبح وجدته وجوداً كما عبر عنه  
الجنيد:

وقد كان يطربني وجدي فأفقدني عن رؤية الوجد في  
الوجد موجود

وهذه المواجهيد والأحوال تصدر عن شعور باطني عميق،  
يستغرق الحياة النفسية كلها إلى نقطة يجذب إليها  
الشعور.

قال وليم جيمس: إن الحالات الصوفية قد تزيد في نشاط  
النفس.

أما كراماته فكثيرة ومنها:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

حين كان السهر وردي في مكة في يوم الطواف بلغه أن ابن الغارض من هناك فاشتاق إلى رؤيته وبكى وقال في نفسه "ترى هل أنا عند الله كما يظن هؤلاء في؟".

وهنا ظهر ابن الغارض وقال له:

- يا سهرورديك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت على ما فيك من عوج

وابن الغارض شعر بالسهروردي ولم يكن قد رآه بعد، وكان روحه متصل بروحه وتخاطبه لوهذا ما يسمى في علم النفس الحديث - الشعور عن بعد -

وكان هذا اللقاء 625هـ. وألبسه السهروردي خرقة الصوفية المعروفة باسمه على طريقته الخاصة.

واستدعاه الشيخ - أبي الحسن البقال - وهو في مصر لابن الغارض وهو في الحجاز ليحضر موته وأحس بن الغارض بحال أستاذه وشيخه ورآه يحتضر، والأرواح تشعر من بعيد بما يقع للأخرى.

وابن الغارض: انتهى في آخر لحظات حياته إلى رؤية الله. وقد قال الجعبري أحد الذين حضروا احتضار ابن الغارض أن تمثلت له الجنة أمام عينيه، ولكنه ما كاد يراها حتى تأوه وصرخ صرخة عظيمة وبكى بكاء شديداً، وتغير لونه وقال: إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

أمنية طفرت روعي بها زمناً واليوم أحسبها أضغاث أحلام ثم تهلل وجهه، وابتسم وقضى نحيبه فرحاً مسروراً. فعلمت أنه أعطي مرامه.

فكاد لا يعرف لابن الغارض آثاراً أدبية أو صوفية غير ديوانه، وهو امرأة صادقة ينعكس على صفحاتها، ما فاضت به نفس الشاعر من حب الهي، وقد جعل هذا الديوان من ابن الغارض سلطاناً للعاشقين، وإماماً للمحبين، فهو الملقب



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

في جميع الآفاق: بسُلطان المحبين، والعشاق وهذا الديوان على ضالته يمكن أن يعد تراثاً روحياً خصباً خالداً. وكان ابن الفارض كلفاً بالتكلف والتصغير مثلاً: أهيل بدلاً من أهل. وحبّبتني بدلاً من حبيبي، وشاعت في كثير من قصائده وكما يدل قوله:

ما قلت حُبّيتني من التحقير بل يعذبُ اسمُ الشخصِ  
بالتصغيرِ

وتكثر في شعره المحسنات البديعية، ورغم ذلك يمتاز شعره بدقة المعنى، وعمق الفكرة وبعد الخيال، وجمال الصورة. ولديوانه نسخ كثيرة منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع

- غيري على السلوان قادر وسواي في العشاق غادر  
ومن تأتيه الكبرى:

سَقَنِي حُميا الحبِ راحةً مقلتي وكأسي مُحيا من على  
الحسنِ جَلَّتِ  
ومن الميمة:

شَرِبْنَا على ذكرِ الحبيبِ مُدَمَّةً سكرنا بها من قبل أن يُخلق  
الكرم

وقد ذاع شعر ابن الفارض في المشرق والمغرب الاسلاميين، وتجاوزها إلى البلاد الأوربية وترجم إلى لغات مختلفة وانشأ حوله دراسات وبحوث وترجم حتى إلى اللاتينية.

ويقال أن ابن عربي أرسل إلى ابن الفارض يستأذنه في وضع شرح لتأنيته الكبرى فأجابها الشاعر بقوله: كتابك الفتوحات المكية شرح لها.

وأهل الطرق الصوفية يستعينون بشعره على خلق جو فياض بالانفعال من بكاء وتواجد وتأثر عميق عند سماع أبيات من خمريته أو تأنيته الكبرى والصغرى ويقال أن شخصاً أمياً حفظ الديوان دون أن يفهم معانيه.

ومن خمريته:  
ما بين مُعتركِ الأحداقِ والمهجِ أنا القليل بلا إثمٍ ولا حرجٍ  
ومنها:  
قلبي يُحدثني بأنك مُتلفي رُوحِي فداكَ عرفتَ أو لم تعرفِ  
تِه دلالا فأنتَ أهلٌ لذاكا وتحكمُ فالحسنُ قد أعطاكما  
وفي تأتيتَه الكبرى انتهى إلى مذهب صوفي في الوحدة،  
انطوى على كثير من المنازع الفلسفية. وفي خمريته  
أعطى نظرية في المحبة من حيث هي أصل الخلق والمنبع  
الذي فاض منه كل شيء.

## ابن الفارض: خصومه وأنصاره

قضى ابن الفارض حياته موضع تقدير الوزراء والعلماء  
واعجاب الملك الكامل به.  
ولكن هناك أيضاً من طعن الشاعر في حياته، ورماه باعتقاد  
الحلول الذي ينكره الإسلام وقامت ضجة حول مذهبه  
وعقيدته.  
بعضهم يرى في أحواله ومواجهته ضرباً من الهديان  
الحاصل من تعاطي الحشيش والاستعانة به على أحداث  
الغيبه. وفريق آخر ينظر إلى أحواله ومواجهته أنها آية من  
آيات ولايته وصفاء نفسه ونقاء سريرته، وإشراقه من  
إشراقات الكشف.  
واشتد الخلاف حتى سنة 926هـ حيث اصدر القاضي  
الشافعي فتواه وبرئ فيها ابن الفارض.. وكذلك ابن تيمية  
وطائفة من النقاد والفقهاء فهموا مذهبه على أنه وحدة  
وجودية مبنية على الحلول والاتحاد.

## الحب الإلهي – وابن الفارض

يقسم الغزل إلى أربعة أقسام لكل منها طابع خاص ومثل  
أعلى يطمح إليه.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

- 1- غزل العذريين: يرتلون في شعرهم أنشودة الحب العفيف. ( مجنون ليلي. جميل بثينة. كثير غرة.
  - 2- غزل الاباحين: شعرهم مادي- عمر بن أبي ربيعة
  - 3- غزل عادي: استمرار لغزل الجاهليين، المعروف
  - 4- غزل الصوفية: اتخذوا من الشعر أداة لبثجهم للذات الإلهية.
- زعيم ابن الفارض الذي يعد شعره في الحب الإلهي أرق وأسمى وأوصل إليه الغزل الصوفي العربي من دقة الوصف. ورقة الشعور. وخفة الروح.
- وشاعت لغة الحب أو المحبة في الأقوال الصوفية. وهذا ابن الفارض يتغنى بالجمال والحب والخمر الروحي التي كنى به الحب الإلهي والمعرفة الإلهية.
- وفي ديوانه قامت ألفاظ الغزليين والخمريين- الحب - العشق - الهيام- الهوى الغرام - الصباة- الشوق- الاشتياق- الجوى والقرب والبعد. والوصال والصد وفاضت بها قصائده
- فيقول في تائيته الكبرى:
- وجاوزت حد العشق فالحب كالقلى وعن شأوم معراج  
اتحادي رحلتي
- \*\*\*
- فطب بالهوى نفساً فقد سدت أنفوس العباد من العباد  
في كل أمة
- وقوله في اللامية:
- هو الحب فاسلم بالحشا من الهوى سهل فما اختاره  
مضنى به ولم عقل
- وفي التائية أيضاً:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وما بين شوق واشتياق فنت في  
بحضرة

وهو يستعمل ضمير المفرد المذكر أو المثنى أو الغائب.  
وتارة يذكر محبوبته ليلي ومرة سلمى ومرة مي ومرة  
سعاد. ويتغنى الخمر في بعض أبياته من تائته الكبرى  
والصغرى

ويكاد هذا الخلط بين - الحبيب الإلهي والإنساني- بأسلوب  
الوفر والإيماء إلى الواردات الإلهية ومن التلويح ما قال:  
بها لم يبحم من لم يبح دموع في ال- إشارة معنى ما  
العبارة حدث

وفي أبيات أخرى يفهم شعره على أنه مذهباً إنسانياً يصوره  
الشاعر:

ولما تلاقينا عشاء وضمنا  
وخيامي

فرشت لها خدي وطاء على الثرى  
بلثم لثامي

فما سمحت نفسي بذلك غيرة  
مرامي

وتبنا كما شاء اقتراحي على المنى  
والزمان غلامي

ويقول:

أهواه مهفهفاً ثقل الردف كالبدري جل حسنه عن وصف

ويقول:

ما أحسن ما تبنا معاً في برد اذ لاصق خده اعتناقاً خدي  
فهل كان حب ابن الغارض إنسانياً قبل أن يتصوف ويتجرد؟.  
ويقال في هذا الصدد:

انه سعد مناراً المسجد فرأى امرأة جميلة فوق سطح بيت،  
فاشتعل قلبه وهام مع الهائمين. وإن تلك المرأة كانت زوجة  
أحد القضاة. وبعضهم زعم أنه أحب غلاماً جميلاً. وربما

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

أخفق في حبه الانساني ولم يصبما يصبو إليه قلبه  
فانتقل من مرحلة الحب الانساني إلى مرحلة الحب الإلهي  
للتسامي بعاطفته عن هذه الأرض.  
وربما الفكرة القائلة بأن: الدين غالباً ما يكون بمثابة الملاذ  
الأسمى للعاشقين، الذين ما تزال فيهم بقيّة من حياة ليست  
خلاً من المعنى". فيقول:

فالوجدُ باقي والوصالُ مما طلى والصبرُ فانٍ واللقاءُ  
مسوفي

لم اخلُ من حسدٍ عليكَ فلا تضعُ سهري بتشيعِ الخيالِ  
المرجف

يقول في خمريته:

سَقَيْتَنِي حَمِيَا الْحَبِّ رَاحَةً مَقْلَتِي وَكَأْسِي مَحِيَا مَن  
من الحسن جلت  
فأوهمت صحبي أن مشرب شرابهم به سرّ سرّي في  
انتشائي بنظرة  
وبالحدّق استغنيت عن قدحي ومن شمائلها لا من  
شمولي بنشوتي  
وفي تائته الكبرى رمز إلى الحب الإلهي بالحميلوالي  
وجه الحبوبة بالكأس  
والحب الإلهي - بالمدامة -  
وقال:

شربنا على ذكر الحبيب مدامةً سكرنا بها من قبل أن  
يخلق الكرم

ويصف الخمر فيقول:

يقولون في صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندي  
بأوصافها علم  
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ونور ولا نار وروح ولا جسم  
وقامت بها الأشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من  
لاله فهم

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وهامت بها روعي بحيث تمازج اتحادا و لا جرم تخلله  
حرم  
فقد وقع التفريق والكل واحد فأرواحنا خمر  
وأشباحنا كرم  
ويقول في معنى الذات العليا من معاني جمال المحبوبة:  
قال لي حسن كل شيء تجلى بي تملى فقلت قصدي  
وراك  
لي حبيب أراك فيه معنى غر غيري وفيه معنى أراك  
والحب عند ابن الفارض هو المنبع الفيض بالخلق، فعني  
خمرته يرمز إلى المحبة الإلهية بالشمس:  
لها البدر كأسي وهي شمس يديرها هلال وكم يبدو إذا  
مزجت نجم  
والمحبة الإلهية قديمة وجدت منذ الأزل، وبقية إلى الأبد،  
منزهة عن قيود الزمان والمكان. فيقول:  
ولا قبلها قبل ولا بعد بعدها وقبلية الأبعاد فهي لها حتم  
وعصر المدى من قبله كان عصرها وعهد أبنائها  
ولها اليتيم  
فالمحبة الإلهية: منبع فياض بالآثار الكونية:  
وعلى تفنن واصفيه بحسنه يغنى الزمان وفيه ما لم  
يوصف  
على أن الحب يؤثر في نفس المحب، ويبلغ منها مبلغاً  
فيحملها المشقة والألم، ما تطيق وما لا تطيق و برغم  
المعاناة هو راض بأحوال المحبة محتمل لها فيقول:  
هبي قبل أن يغني الحب مني بقية أراك بها بي نظرة  
المتلفت  
ومني على سمعي بلن إن سفت أن أراك فمن قبلي  
لغيري لذة  
فعندي لسكري فاقة لافاقية لها كبدي لولا الهوى لم  
تفتت

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وكل أذى في الحب منك إذا بدا جعلت له شكري مكان  
شكيتي  
واستطاعت المحبوبة أن تشهد حال الغناء:  
فأفنى الهوى كما لم يكن ثم باقياً هنا من صفات بيننا  
فاضحلت  
وكنت بها حبا فلما تركت ما أريد أرادتنى لها وأحبت  
فصرت حبيباً بل محباً لنفسه وليست كقول مر نفسي  
حبيبتى  
وتتمثل بدايات الاتحاد أن ذات المحبوبة تنكشف للمحب  
وتتجلى له على صفحة مرآة المظاهر الكونية فيشيد:  
جلت في تجليها الوجود لناظري فعني كل مرئي أراها  
برؤية  
ومن أنا إياها إلى حيث لا إلى عرجت وعطرت الوجود  
برحمتي  
ويدرك وحدته مع المحبوب في حال الصحو فيقول:  
ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذا  
تجلت تجلت.  
وابن الفارض يرى أن السماع أداة صالحة تعين المسالك  
في طريق المحبة الألهية على تصفية نفسه، وترقيق  
حسه للصعود إلى أوج الحياة الروحية.  
وحين أحس أنه انتهى من جعلك واقباله عليه إلى مرتبة  
لم يبلغها غيره قال:  
ولي في الهوى علم تجل صفاته ومن لم يفقه الهوى  
فهو في جهل  
ومن لم يكن في عزة الحب تائهاً بحب الذي يهوى  
فبشره بالذل  
ويقول:  
يحشد العاشقون تحت لوائي وجميع الملاح تحت  
لواكا.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

والصلة وثيقبين الحب والمعرفة. والغناء هو القنطرة التي يعبر المحب والعارف عليها. فيقول: مالي سوى روح يوباذل نفسه في حب من يهواه ليس بمسرف

والنفس هي مصدر المعرفة. لانها تتجلى للغاني أو النائم في صورة عالم يهديها إلى فهم المعاني الغريبة لا اشتغامها بعالمها العلوي ومعرفة. فالحب والمعرفة يرتكزان على الشعور الباطن دون الحس الظاهر، أو العقل المفكر. ونفسه خلصت من رغباتها وميولها، والتي هي الحجاب الكثيف بين المحب ومحبوته. أغار عليها أن أهيم بحبها وأعرف مقداري فأنكر غيرتي

### مقارنة

وأهم ما يميز القرنين - السادس والسابع هـ، ظهور مذهب الوحدة كابن عربي. وابن الفارض. ومدرسة ابن عربي معروفة باسم المدرسة - الوجودية - أي أن وجود الله هو عين وجود العالم. فالإتحاد والحلول ووحدة الوجود يختلف بعضها عن بعض، ويدل بعضها على ما لا يدل عليه البعض الآخر. فابن الفارض إتحادي. والحلاج حلولي - وابن عربي ووحدة الوجود

ابن الفارض: أدرك الوحدة بين نفسه وبين التراث الإلهية. الحلاج: كان يعتقد بحلول المحبوب في المحب. وابن الفارض يشبه الحلاج في حاله وعاطفته. فكلاهما رجل سيطر الحب على نفسه سيطرة قوية.



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

أما مذهب ابن عربي لا يختلف عن مذهب ابن الفارض في اثباته للوحدة لشهود ونغية للحلول فابن عربي كابن الفارض صاحب ذوق. وحال. وفناء.

وجلال الدين الرومي - الشاعر الفارسي الصوفي يشارك ابن الفارض في مذهبه. فكما يقرر ابن الفارض أن الذات الإلهية قد جلت له الوجود في تجلها حتى أصبح يشهدها في كل مرئي. كان جلال الدين الرومي يرى أن العوالم الظاهرة ليست إلا صوراً للذات الله. والوجود الحقيقي لا يغنى، إنما هو ذات الله وحده. ولكن جلال الدين الرومي يتفق مع الحلّاج في الحلول فيخاطب محبوبته بقوله:  
"سعيدة هذه اللحظة التي أراني وإياك منها جالسين في القصر، بما لنمن صورتين ووجهين. ولكن جمالك ولي من روح واحدة".

ونادى ابن الفارض بوحدة الأديان لأنها مختلفة في ظاهرها. متفقة في جوهرها وتدعو جميعها إلى عبادة إله واحد. ويتفق مع الصوفية - كالحلاج. وابن عربي. ولعل الحلّاج أول قائل بوحدة الأديان ومذهب ابن الفارض يتلخص في أن الذين ضلوا السبيل ولم يهتدوا إلى معرفة الله ليسوا بأقل إيماناً.. ولا بأكثر زيفاً من الذين عرفوه واهتدوا إليه، لأن الله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء. ويرى أن المجوس لم يعبدوا النار، إنما هم قد رأوا نور الذات الإلهية فتوهموه ناراً فعبدوه واهلوا ضلوا في الهوى بنور الهدى. والحلاج يرى أن الله شغل بكل دين طائفة لا اختياراً منهم بل اختياراً عليهم

وقد قال الله تعالى: وكان الناس أمة واحدة.

يعني عباد الله مجبولين على طاعتهم من حيث الفطرة الأصلية، فبعث الله النبيين بشيرين فمن اتبع الرسل من حيث اسمه - الهادي - ومن خالف الرسل من حيث اسمه (المضل).

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

فاختلف الناس. وافترقت الملل. وظهرت النحل. وذهبت كل  
طائفة إلى ما علمته أنه صواب فقال: ابن الفارض.  
ومن مذهبي في الحب ما لي مذهب وإن ملت يوماً  
عنه فارقت ملتي  
ولوحظت لي في سواك ارادة على خاطري سهوا  
قضيت بردتي  
وما احترت حتى اخترت حبيبك مذهباً = فواحيرتني إن لم  
تكن فيك خيرتي

ويرى أن لفظه (القطب) بمعنى الانسان الكامل عند  
الصوفيين.  
لان القطب هو الذي تدور حوله أفلاك الوجود من أوله إلى  
آخره.  
وهو واحد منذ الوجود إلى الأبد.

## أبو حامد الغزالي

ولد محمد الغزالي - أبو حامد - في مدينة طوس من أعمال  
خراسان. 45هـ. والتي كانت مدرسة للتصوف في ذلك  
العصر. ولما توفي والده وكان رجلاً فقيراً يشتغل بغزل  
الصوف وبيعه ويتبع مذهب التصوف وسط الفقر والحاجة  
وكان قد أوصى بولديه - أحمد ومحمد - إلى صديق له فقام  
الرجل على رعايتهما وتعليمهما حتى إذا عجز من الانفاق  
عليهما دفع بهما إلى - نظامية ينسابور ليتابعوا التعليم.  
وليحصل بهما القوت. ودرس الغزالي على أشهر معلمي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

عصره وتلقى علوم الفقه والجدل والفلسفة حتى بلغ الثلاثين. وقصد الوزير نظام الملك وراح يحضر مجالسه ويناظر الأئمة والعلماء. حتى كان له التفوق عليهم. فذاع صيته. فاختاره الوزير للتدريس بمدرسته النظامية ببغداد عام 484هـ. وبقي فيها أربع سنوات حتى اكتسب شهرة واسعة. ثم انكب أبو حامد على تعلم الفلسفة عن طريق مطالعته الشخصية. وبدأ يبدي عدم اطمئنانه في شكوكه الفكرية وبلغت شكوكه ذروتها فعزم على ترك التدريس والأهل والمال والولد وخرج من بغداد 488هـ وانصرف إلى البحث عن حقيقة التصوف. وبدأ يجوب البلاد على طريقة أهل التصوف وأثر حياة التقشف والزهد. متنكراً في زي الفقراء. وبيده عكاز وعليه مرقعة وعلى عاتقه ركوة ورآه أحد القضاة وعرفه حين كان ببغداد يدرس أفاضل الناس. فدنا منه وسلم عليه وقال له: يا إمام أليس تدريس العلم ببغداد حيز من هذا؟ فنظر إليه شزراً وأنشده:

تركتُ هوى ليلي إليّ بمعزلٍ  
وعُدتُ إلى تصحيح أول  
منزلٍ

ونادتُ بي الاشواقُ مهلاً فهذه  
فانزل  
منازلُ منتهوى رويدك

غزلتُ لهم غزلاً رقيقاً فلم أجدُ لغزلي نساجاً فكسرتُ  
مِغزلي

ودام ذلك التطواف لابي حامد عشر سنوات ما بين بيت المقدس. ومكة. ثم الاعتكاف في الجامع الأموي بدمشق وما زالت فيه زاوية تعرف - بالغزالية - واثناء اعتزاله في الجامع الأموي ألف كتابه الشهير (إحياء علوم الدين). ويعتبر موسوعته عند المتصوفين. ثم عاد إلى مسقط رأسه في - طوس - وراح يوزع وقته بين مجالسة المتصوفة. وتدريس طلبة العلم. ونشر علوم التصوف ممزوجة بعلوم الدين.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وذاع صيته في البلاد ولقب - بزعيم الصوفية وفقه الأمة.  
وإمام الفلاسفة.  
وتعرف على الثقافات الأعجمية والمختلفة وقال في كتابه  
المنقذ من الضلال أن الحق لا يعدو واحداً من أربع فرق هي:  
الباطنية الصوفية والفلاسفة والمتكلمة وأن ذلك الحق  
موجود في الصوفية دون سائر الفرق الأخرى.  
ولكن رغم معارضة الفلاسفة وقيامه بالرد عليهم والقول  
بتكفيرهم ونقل مصطلحاتهم وأفكارهم.  
وبخصوص التصوف عشق نظرية الاشرافيين- في الفيض  
والتلقي. ووجد في التصوف الطريق إلى الحقيقة الخالصة.  
ويرى بأن الصوفية ويسلكون طريق الله. وطريقهم أصوب  
الطرق. وسيرتهم أحسن السير. وأخلاقهم أذكى الأخلاق.  
أما المعرفة فتطلب مجربة مباشرة. بينما العلم لا يشترط  
التجربة. ويقول:  
- العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها  
إلى القلب. أما الصوفية يعملون في جلاذ القلوب وتطهيرها  
وتصفيتها وتصفيلها فقط. ويسمي- علم الكاشفة علم  
الباطن فهو رجل ينشد الهوى واليقين. وأفنى زهرة حياته  
وهو يطلب العلم والمعرفة وتوسعت إليه الملوك يخطبون  
وده. وتطامن أمامه هامات الفلاسفة والعلماء. ولكنه  
حزين حائر، ودائماً يحس بظماً ملح إلى الإيمان بحقائق  
ثابتة ترضى عظه وقلبه وروحه.  
وقد درس العلوم كوسيلة للمعرفة ودرس علم الكلام ليصل  
إلى الله ودرس الفلسفة ليرضي عقله ولكنها زادت شكا.  
ويقال أنه التقى بالشيخ (يوسف التاج) فقص عليه رؤيا  
حصلت له في المنام.  
وكانت تلك الرؤيا خاتمه الجهاد النفسي العنيف. والخيط  
الأول في الفلسفة الغزالية الروحية ووجد في الحب الالهي  
غاية الحياة.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وأصبح من أكبر أصحاب المذاهب الفكرية بقوته الخفية الكامنة في شخصيته العلمية ومبعث تلك الهيمنة - القلب والعاطفة والمبادئ - وحطم الفلسفة والمذاهب وخاطب القلب والروح. وأدخل السلام إلى الروح. وتراثه خلاصة جهاد - القلب والفعل. روح الروح والإلهام. وعلم الناس أن الحياة محبة. محبة الله محبة الأنبياء محبة البشرية محبة الخير. ولئن كان الغزالي موضع إعجاب من الكثيرين. كان أيضاً موضع انتقاد كثيرين. ويقال أن كتبه حُرقت في المغرب والاندلس - 507هـ وفي قرطبة والسعودية وقفت موقفاً حاسماً من مؤلفات الغزالي حتى عصرنا هذا.

### فريد الدين العطار النيسابوري

إن الغموض يكتنف سيرة العطار ويلقي ظلالاً على كل جانب من جوانب حياته. ويمتد هذا الغموض إلى - اسمه ولقبه وكنيته. ثم اجمعوا على أن اسمه إفريد الدين أبو حامد بل أبي بكر إبراهيم بن أبي يعقوب اسمه د العطار أما والد العطار فاسمه - إبراهيم - وكنيته أبو بكر. وكان يعمل عطاراً. وكان من مرادي الشيخ الصوفي قطب الدين حيدر في - نيسابور - ويقال أن والده عمر كثيراً. أما والدته فكانت من أهل المعنى وقد بكاه العطار بعد وفاتها وقال:  
"لم يكن لي أنسى الابامي. وقد ذهبت. كم أشدت أزرني هذه الضعيفة كالعنكبوت ولكنها كانت لي حصلاً ودرعاً."

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ويقول: كانت رابعة الثانية قبل أتقى من رابعة "بقيت تسعة وعشرين عاماً تلبس حقير الثياب وخشنها وكانت تقوم الليل دعاء وبكاء

أما العطار فقد ألصق به منذ كان يعمل صيدلياً ويملك دكاناً للعطارة. ويعمل بالعطارة والطب. وقد ورث العطارة عن أبيه واكتسب منها ثروة طائلة حتى قيل أنه أصبح مالكاً لجميع حوانيت العطارة في - ينسابور -

واختلف الدارسون في تحديد عام معين ولد فيه - العطار - والأرجح أن يكون مولده ما بين: عامي 545 - 550 هـ. والعطار لم يذكر أنه بلغ أكثر من السبعين إلا بضع سنين فهو يقول محدثاً نفسه:

- إن كنت قد قضيت سبعين عاماً، فليس هذا بعجيب، ولكن العجيب أن نفسك تزداد سوءاً في كل لحظة".

- لقد جثم الموت أمام مدخل الوادي مائتمة. والآن تخطى عمرك الستين، ووصل إلى ما بعد السبيل بضع سنين.

ويفترض أنه توفي عام 627 هـ.

وكذلك اختلف الباحثون في تحديد سنة وفاته الحقيقية وكيفية وفاته.

يقال عام 648 هـ. دخل المغول إلى - ينسابور - وضربوا وقتلوا وأحرقوا كل عوداً خضراً.

وربما أن العطار هرب منه لأنه لم يشارك في حمل السلاح والكفاح.

ويقال أيضاً عن لسان (دولت شاه) قصة قتله كالتالي:

لقد أسره أحد جنود المغول وأراد قتله، فتدخل أحد مريدي الشيخ وطلب أن يدفع مبلغ ألف درهم ليغدي بها روح العطار، فقبل المغولي. ولكن العطار لم يوافق وقال: سيتقدم من يدفع أكثر من هذا المبلغ. فلا تقبل.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وقال مغولي آخر مازحاً لا تقتل الشيخ إنني أدفع ثمناً له صندوقاً من التين فوافق العطار على الصفقة الأخيرة وقال: إن ثمني لا يتعدى أكثر من هذا. فزاد ذلك من حنق المغولي فقتله.

وقصة أخرى تقول: أن العطار بعد أن ضربت عنقه حمل رأسه بين يديه وعدا مدة من الزمن وهو يؤلف كتابه "بيسر نامه" أي كتاب مقطوع الرأس وربما تكون هذه القصص خرافة. رويت من نفوس غمرها الأعجاب بروحانية العطار وفضلوا أن يموت شهيداً في جو من الخوارق والكرامات. ويرجح أن العطار توفي وفاة طبيعية.

مقبرة - فريد الدين العطار - تقع في - ينسابور - وقد كتب على شاهد القبر مقدمة لترجمة - منطق الطير - ونص شعري من عشرين بيتاً.

أما عن أخبار من خلفهم العطار من أبناء فالشك يكتنف كل ما قيل عنهم، فمن قائل إنه لم ينجب مطلقاً. ومن قائل إنه أنجب ولداً واحداً اسمه - ضياء الدين يوسف - وقد نصحهم كثيراً في نهاية كتابه - بلبل نامه - ولكن أحجام العطار من ذكر زوجته وأولاده في كتبه يجعلنا نشك في أنه تزوج وأنجب، أو أنه عاش حياة أسرية مستقرة. ولكن هناك أيضاً قصة يرويها أحد كتاب التراجم في مقدمته الترجمة لكتابه (إلهي نامه)

فيقول:

إن العطار كان له عشرة أبناء وقد وقعوا في أسر قطاع الطرق. وهؤلاء اللصوص أخذوا يضربون أعناقهم الواحد تلو الآخر. والعطار في كل مرة يرفع عينيه إلى السماء وهو يتسهم وما أن جاء دور ابنه العاشر والأخير حتى قال ذلك الابن: ما أقسى ذلك الأب الذي يتسهم وهو يرى أولاده يموتون تلك الميته، فيرد العطار قائلاً:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

يبني العزيز لا حول لنا ولا قوة أمام من يأمر بهذا - أي الله - وما أن سمع اللصوص ذلك الجواب حتى أطلقوا سراح الولد العاشر. وطلبوا المغفر فوثبوا وأصبحوا من مريديه.

### دخوله في الصوفية

عرف - فريد الدين النيسابوري بالطيار لأنهم كان يعمل بالطيار والطب. ويقال إن الطيار قد ورث الطيار من أبيه الذي اكتسب منها ثروة طائلة حتى قيل إنه أصبح مالكا لجميع حوانيت الطيار في نيسابور. أما كيف تحول الطيار إلى طريق التصوف فهناك أيضا روايات كثيرة وتقول رواية. دولتشاه ورواية عبد الرحمن الجامي في كتابه نفحات الأنس:

ذات يوم كان الطيار في دكانه عطارته فجاءه فقير وقال له عدة مرات: أعطيني شيئا لله، فلم يأبه بالفقير، فقال الفقير: أيها السيد كيف تموت؟ فقال الطيار: كما ستموت أنت فقال الفقير: أيمكنك أن تموت مثلي؟ فقال الطيار: نعم فوضح الفقير قدحه تحت رأسه وقال الله وأسلم الروح. فتغير حال الطيار، وتخلص من متجره. واتبع طريق التصوف.

ثم ذهب إلى صومعته الشيخ - العارف ركن الدين - وطلب التوبة على يد هذا الشيخ وشغل بعد ذلك بمجاهدة نفسه وبالرياضة الروحية. وظل في حلقة عدة سنوات. فيفهم من الرواية أن تحول الطيار إلى التصوف كان فجائيا وفي رواية أخرى أن الطيار نفسه كان مولعا بالصوفية منذ صغره فهو يقول في مقدمة - تذكرة الأولياء -

- باعتبار آخر لتأليف الكتاب هو أنني بلا سبب كنت أشعر منذ الطفولة بمحبة زائدة تجاه هذه الطائفة تموج في قلبي. كما كانت أقوالهم تسعوني في كل أونة..

ثم ويخبرنا الطيار بأنه ألف كتاب - مصيب نامه - وإلهي نامه. في دكانته حيث قال:



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

- مصيب نامہ - وهي حسرة العالم.
- وإلهي نامہ - وهي الأسرار المشهورة.
- بدأ تهما في الصيدليقوسرعان ما فرغت من كليهما.
- وعلى هذا فالعطار كان صوفياً قبل أن يهجر دكانه.
- والحقائق الصوفية في هذين الكتابين لا يمكن أن يتفوق بها مريد جديد. بل صادرة عن شيخ الطريق وعرفه معرفة تامة.
- ولكن إذا كان العطار صوفياً منذ صباه، فلم هجر دكانه؟ لا بد وأن حالة الوجد غلبت عليه وزاد عشقه الصوفي " فأصبحت العطار حجاباً في طريقه وعلى عادة الصوفية تخلص من هذا الحجاب ومن العلائق الدنيوية.
- وأصبح متفرغاً للعبادة مشغولاً بالمعرفة الإلهية والحكمة الذوقية.
- ويقول - دولت شاه - أيضاً. إن العطار قد أصاب الطريق بنظرة وقعت عليه من الشيخ - قطب الدين حيدر - والعطار ما زال في دور الطفولة. ولذا فإن العطار ألف كتابه - حيدر نامہ - إهداء لهذا الشيخ.
- وكان للعطار لقاءات مع غيره من متصوفة زمانه. وهذه اللقاءات كان يحدث فيها تأثير. وتأثير. وكان من أنصار الشيخ - نجم الدين كبرى. فيقول العطار:
- كنت عند شخي وسندي نجم الدين قدس سره.
- فحدثني هذا الحديث فغلب عليه الوجد والحال القوي فبكيت معه. فحقرت الدنيا في أعيننا، وقلعنا حب الدنيا عن قلوبنا -.
- وكذلك يشير العطار في أبيات كثيرة من شعره إلى ما وصل إليه من علم ومعرفة مستمد من روحانيات الشيخ أبي سعيد فضل الله فقال:
- إنني أدرك أن كل حظ أجده في هذا الزمان من أنفاس أبي سعيد - أيضاً تأثر العطار بالشيخ أبو حامد الغزالي.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

فقد تأثر في بعض قصصه بالغزالي. فقصته منطق الطير أصولها من رسالة الطير للغزالي.

وأصول قصة الشيخ صنعان من تحفة الملوك للغزالي. لان الغزالي درس فترة في نيسابور ولهذا تأثر العطار بأفكاره.

والعطار قد تأثر بأكثر من شيخ ولكنه لم يكن يتبع طريقة معينه من الطرق الصوفية التي كانت سائدة في عصره إنما أخذ من كل طريقة ما يروق له منها. أما من حيث ثقافته فالعطار عمل في بداية حياته وأجاد في فن الطب والتطبب ويشير إلى ذلك في منظومته - مصيب نامه - فيقول:

- كان بالصيدلية كل يوم خمسمائة شخص يطلبون مني أن أحس بنضهم ويعتقد أن معلم العطار لفن الطب والده لانه هو الآخر كان عطاراً.

وكان على علم كبير بأصول الفقه الاسلامي. وكان أيضاً حافظاً للقرآن ومطلعاً على الحديث ودارساً علم الكلام. وأيضاً على علم كبير بالتاريخ وقد أورد قصصاً كثيرة عن السلاطين والملوك.

وشغوفاً بقراءة سير الشيوخ والأئمة. ولكنه أعلن حرب عشواء على الفلاسفة والفلسفة. وتناول وحدة الوجود ووحدة الشهود في كتابه منطق الطير.

والعطار كان شاعراً وعلى علم بالأوزان والقوافي والموسيقى واطلع على الانتاج الأدبي السابق. وإضافة إلى فنون ثقافته الواسعة له إدراك بعلم النجوم لذلك اطلع على أغلب فنون عصره وثقافته. فكان شاعراً عظيماً ومفكراً كبيراً. أما نظرته إلى الفلسفة فقد هاجم الفلاسفة والفلسفة لأنها تتصل بالعقل وهو ينفر من العقل ويجعله قاصراً أمام إدراك الأسرار الإلهية. وعالم الروحانيات فقال - وبحق المعرفة يكفكم أفضل كافر على فاء الفلسفة. وطبيعة التصوف لا تتفق مع طبيعة الفلسفة وعلم الكلام.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

فالتصوف يعتمد على القلب أما الفلسفة وعلم الكلام  
فيعتمدان على العقل.  
ويعلن العطار حرباً شعواء على التعصب والمتعصبين ويعتبر  
المتعصب جاهلاً.

فيقول: إن كنت تفخر بالعقل واللب فكيف وقعت أسير  
التعصب؟.

ولم يمدح أحداً في أشعاره وافتخر بهذا قائلاً:

- شكراً لله فلم ألجأ إلى قصر. ولم أكن ذليلاً حقير -
- لم أطعم خبز ظالم مطلقاً. ولم أختم كتاباً بذكر أحدهم  
مطلقاً.

وقد تبدلت حاله بعد هجر الصيدلي ووصل إلى حالة قريبة  
من الفقر، فكان طعامه الخبز الجاف يبلة بدموع عينيه حيث  
قال:

- وعندنا أقيم مائدق من خبز خشن، فإنني أبلة بدموع  
عيني -

ويبدو من شعره أنه يحب العزلة، ولا يثق في الخلق حتى  
أنه شبه نفسه بمالك حزين فيقول:

- يقولون لي: ماله قد آثر العزلة، لا؟ إنني أصادق الله  
في هذه العزلة. ولا صديق لي بين الخلق. وإن كنت أفعل  
ذلك فهذا لانني في الطبع كمالك حزين. ويقال أيضاً أن  
الشيخ - بهاء الدين - قد زار - فريد الدين العطار. فأخذ  
العطار- جلال الدين الرومي - وهو طفل بهاء الدين بين  
ذراعيه وبشره بمستقبل عظيم. ثم باركه وأعطاه نسخة من  
منظومته- إلهي نامه-.

وهكذا كان العطار من الرجال المشهورين والشعراء  
البارزين.

ويرتبط اسم - العطار - بالعديد من الكتب حتى أوصلها  
البعض إلى مائة وأربعة عشر كتاباً أي بعدد سور القرآن  
الكريم.. وأغلب كتبه شعرية عدا كتاب- تذكرة الأولياء- ولم

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

يترجم إلى العربية إلا منطق الطير ويندرنامة. ومنطق  
الطير أعظم ما نظم في الأدب الفارسي وفي الأدب  
الصوفي خاصة.

### منطق الطير

منظومة منطق الطير من أعظم ما نظم في الأدب الفارسي  
عامة وفي الأدب الصوفي خاصة وكتب بقالب قصصي  
ممتع شمل المعاني الروحية. ولا يكاد يذكر اسم العطار  
حتى يذكر بجانبه منطق الطير  
ويقول المستشرق الإنكليزي - براون - إن منطق الطير من  
أهم مثنويات الصوفية.

ويقول بارتلس المستشرق الروسي:

هي من أحسن ما فاضت به قريحة العطار.

وربما اتخذ اسمها من القرآن الكريم. وجميع الطيور التي  
تحدث عنها حقيقية. أما إله الطير رمز له باسم - سيمرغ -  
وهو طائر وهمي.

ويقول المستشرق الإيطالي - انطونيو - إن هذا الاسم من  
أصل فارسي وهو مرتبط بشجرة الحياة التي تنمو في ماء  
البحر. وعش هذا الطائر على شجرة طيبة تعطي بذوراً  
كثيرة، وأغصانها تنشر بذوراً تحيل الأرض خصبة إذا ما  
عليها.

وقد انطق العطار الطيور وربما أفاد من قصة - سليمان عليه  
السلام وحديثه مع الطير وقد أنطق الطير بدلاً من الإنسان  
وجعلها تسعى جاهدة حتى تدرك الاتصال - بالله تعالى -  
وقد أسقط العطار شعوره ومعتقداته على الطيور وحض كل  
طائر بما يوافق من طباع وخصائص. ويقرب عدد أبياتها -  
4650 بيت.

وقال العطار عنها:

- لقد ختم عليك منطق الطير كما ختم على الشمس  
بالنور. وهذه المقامات طريق كل حائر وملاذكل مضطرب.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

- ويقال أن العطار أخذ المضمون العام لقصته من رسالة الطير للغزالي.
- وفي أبياته يوضح العطار معتقدات الصوفية. لأن التصوف هو الصلة التي تحدد العلاقة بين الله والانسان حتى تصل به إلى حد الغناء في الله. والبقاء بعد الغناء.
- ويقول العطار:
- إن العالم طلسم والكنز الذي وراءه هو الله. فإذا حل هذا الطلسم فتح الكنز
  - ما دام الوجود لله وحده وما عداه عدم فلا يمكن أن يصدر عن عدم فعل. فالفاعل هو الله وحده ولقد أطال العطار الحديث في منطق الطير عن العشق. واعتبر العشق أعلى مكانة من الإيمان والكفر فهو يفوقهما معاً. واعتبر العشق أسمى مكانة من العقل. أما العقل فقاصر أمام العشق فقال: "العشق نار أما العقل فدخان. والعشق يسمو بالعاشق حتى يجعله يغنى في ذات المعشوق".
  - والعشق نوعان عشق دائم وهو عشق المعرفة. وعشق زائل وهو عشق الصورة وعشق المعرفة هو عشق الله الأبدى. أما عشق الصورة فهو عشق المادة الغانية ويقول العطار على لسان الهدد وهو يرد على البلبل الذي يتباهى بعشق الوردة:
- "يا من تعلقت بالصورة لا تتباه أكثر من ذلك من ذلك بعشق الجميل.
- ف عشق شيء مآل الزوال يصيب العاقلين بالضجر والملل".
- فالعاشق يفضل المعشوق على كل ما عداه من نعيم وملك وأموال.
- حتى أن العاشق يتخلى عن روحه طواعية من أجل محبوبه وكذلك العشق الإلهي يشغل العاشق عن الاهتمام بأمور الغير:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

والعاشق غيور في عشقه. ومنطق الطير به أكثر من دليل في قصصه.

ويقول العطار: - إذا رماك المعشوق، التمل بحجر، فهذا أفضل من أن تنال جوهره من الغير.

- وخير للعاشق أن يتحمل أذى المعشوق من أن يحوز الرضا من غيره.

وآلام العشق يجب أن تؤرقه دائماً فيقول:

مر معشوق بعاشقه فوجدته نائماً فكتب له ورقة فيها بعض الكلمات منها:

لتخجل إن كنت عاشقاً. فأني شأن للنوم بعين العاشق، وإذا كنت بالعشق جاهلاً، فلتنهأ بالنوم لأنك لست للعشق أهلاً.

والعطار يعلى من مكانة العاشق حتى يجعل من مقدوره الإتيان ببعض الخوارق.

فيقول: إنه شبيه بالمجنون من شدة العشق.

كما أنه يسير على سطح الماء من قوة العشق.

فالعطار والصوفية أطالوا الحديث في العشق لان العشق من السالك بذخيرة تساعده على سلوك الطريق حتى ولو كان في غاية الضعف الجسماني، فهو يمد الروح بطاقة دافعة على المضي في طريق المعرفة حتى تصل إلى إدراك الفناء.

فالعشق هو مفتاح التصوف

والعطار اعتبر العقل قاصراً أمام إدراك الله وحده. وقاصراً

أمام العشق الالهي فيقول: العقل ليس متخصصاً في

ميدان العشق. وليس العشق وليد العقل. والفرق بين

العقل والعشق أن الأول مخالط للطبيعة. والثاني من الذات

الإلهية فهو مدرك لها دائماً.

- أما الطريق في منطق الطير، فيقسمه العطار إلى

سبعة أودية وهي:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

1- وادي الطلب 2- وادي العشق 3- وادي المعرفة 4- وادي الاستغناء

5- وادي التوحيد 6- وادي الحيرة 7- وادي الفقر والفناء

أما الفناء فيقول العطار:

"إذا ما تلاشى أحد من بين الجميع فهذا هو الفناء.

وإذا ما فنى عن الفناء فهذا هو البقاء

- امض إلى الفناء دائماً. حتى تفنى نفسك في العشق  
تماماً.

- أما وحدة الوجود

عند الصوفي - وحدة الوجود- يكون الله في الصوفي نفسه  
ومن الأفكار المنسوبة خطأ إلى - العطار - القول بوحدة  
الوجود.

فالعطار يتعد عن الحلول والاتحاد - يضيف: وحدة  
الاستغراق في الله.

ويجمع المؤرخون على أن عمدة التصوف الفارسي ثلاثة:

- سناتي - العطار - جلال الدين الرومي.

أما دولتشاه فيقول:

- العطار يعد من كبار التصوف وهو شمهه عصره  
ويستلهم شعره من الغيب.

أما جلال الدين الرومي فقد قال:

لقد طاف العطار بمدن العشق السبع. وما زلنا نحن في  
منعطف جادة واحدة.

وكذلك اعتبر جلال الدين أن كل ما وصل إليه من تفوق في  
مضمار التصوف مدني به للعطار حتى إن أخطاه استمدتها  
من العطار أيضاً.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

- وجلال الدين مؤسس - الطريقة المولوية - ولذلك غرس  
حب العطار في قلوب أصحابه فنرى شعراء المولوية  
يحيطون العطاء بهالات من الحرمة والقدسية.  
ويقول الشاعر محمد افندي:  
- إن مصباح طبعي يشتعل عن قاسم الأنوار. ويتسم  
أنفه عطر الفناء من العطار.  
ويقول جلال الدين:  
العطار روح سناتي عيناه. ونحن خلفنا سنائي والعطار.  
وسئل صوفياً كبيراً عنهما فقال:  
- ان الرومي بلغ قمة الكمال كالنسر في طرفي عين.  
والعطار بلغ القمة نفسها كالنملة بعد سير طويل ودأب لا  
يفتر.  
ورغم اتفاق المؤرخين على تفوق الرومي. فإن الرومي  
اقتبس من العطار كثيراً من أفكاره. ومن حكاياته.  
وعلى الرغم أن الصوفية لا يتكلمون عن أنفسهم. إلا أننا  
نجد أن العطار يتكلم عن نفسه ويوضح مكانته في خاتمة  
منطق الطير فيقول:  
- وأهل الصور غرقى في بحار كلامي. وأهل المعنى  
رجال أسراري.  
- نظمي يتسم بخاصية عجيبة. فهو يولد معنى جديداً  
في كل آونة.  
وإذا يتيسر لك أن تقرأه كثيراً. فسيزداد بلا شك حسناً في  
كل مرة لديك.

وبالرغم من مرور سبعة قرون على وفاته فلم تنجب إيران ما  
يفوقه في هذا المضمار إلا شاعراً واحداً هو جلال الدين  
الرومي. والذي اعترف للعطار بالفضل والسبق



## العفيف التلمساني.

### 1- اسمه لقبه كنيته:

هو أبو ربيع - عفيف الدين - العابدي - التلمساني. ومعروف عند القدماء:

بـ العفيف التلمساني-

أما نسبه- العابدي- فهو نسبة إلى - بني عابد - قبيلة بربرية تقطن - ندرومة- من أعمال تلمسان في الجزائر. أما نسبه - التلمساني- فهي نسبة إلى مدينة تلمسان - في المغرب الأقصى. ولفظ تلمسان بربرياً الأصل - أي الصحراء والتل - (تلمس) أي تجمع - و(سن) أي اثنان. وهي أحسن مدن المغرب- ماء وهواء - وهي أيضاً عريقة في القدم.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ولد الشاعر - عفيف الدين سليمان - سنة 610هـ. ونال ثقافته الأولى في حاضرة تلمسان. وهذه المرحلة من حياته شحيحة بالأخبار أي مرحلة الطفولة وشبابه . وفي أوائل العقد الثالث من عمره قدم إلى القاهرة وكان متزوجاً وأقام في خانقاه سعيد السعداء - صاحبه وشيخها شمس الدين الايلي. ثم انتقل إلى بلاد الروم متجرداً صوفياً. وعمل هناك أربعين خلوة. وكل خلوة تدوم عند المتصوفة أربعين يوماً. وله سلوكه ومريدوه. وأصبح علماً رائداً من أعلام التصوف.

وفي المرحلة الختامية الرابعة من حياته، أخذ ينعم بلذات العيش وجمال الحياة في منزله الذي أقامه في ظاهر دمشق في سفوح قاسيون. وما ال مكان قصره المنيف معروفاً عند أهل دمشق بـ العفيف - وهو حي من أحيائها العامرة.

وكان له مكاناً معروفاً بالاجلال والاكرام ومنزل عند السلطان. وبقي الشاعر أميناً على مذهبه في التصوف حتى آخر حياته. وبعض فقهاء الدين اتهموه بالزندقة لانهم حكموا على ظاهر شعره. وقد عبر عن مواجده الخاصة في السلوك الصوفي.

ولم يسخر شعره لغرض ذاتي. وقضى هذه المرحلة الختامية فبلغ الشيخوخة الهادئة ويوم أدركته المنية قال له أحدهم: كيف حالك؟.. قال: بخير..

- من عرف الله كيف يخافه. وأنا فرحان بلقائه -  
وكانت وفاته بعد عامين اثنين من وفاة ابنه الشاعر المشهور (بالشباب الطريف).

ودفن في مقبرة الصوفية - بدمشق -.

2- أخلاق الشاعر وتشيعه وتصوفه:

اجمع القدماء على اكتمال فصائله الخلقية من حسن طباعه. وطيب عشرته. وعظم قدره. واتهموه بالزندقة بعد

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

أن صرح بمذهبه الصوفي - في الوحدة المطلقة. أما بالنسبة إلى تشيعه فكان متمسكاً به. شديداً في التشيع. كما كان محدثاً قوي الجنان.. مناظراً في أصول الايمان. وقد أغرق الشاعر في وصف الجود النفسي والعطار الصوفي. وصور الشمس. ووصف قوس برحها قائلاً-  
ألا ليتما الشمس قوس برحها كما قابلت قلبي تلوح لناظري

ووالله إن كان الندى عن يمينه على المنزل النائي لأقرب ماطر

لعلك يا ريح الجنوب بجانب سوانا فزرنا اليوم يا خير زائر يود لو أن الفلك يحمل شوقه فيبعث فوق الماء نار الضمائر

في هذه الأبيات يمثل الفلك المشحون بالمحمل الذي أثقلته الأشواق. فكاد ينوء بها، ومنه تتصاعد السنة اللهب الذي أبحته نيران الضمائر، وقد برحت بها الأشواق. هذه النار المتصاعدة من الفلك الصوفي الرمزي المتخيل حتى أن ماء البحر على عظمتها واتساعها لا يقوى على إطفاء نار الضمائر وجمر القلوب ولهب الأشواق الأبدية. وقد استطاع العفيف أن يحدث أثراً كبيراً في عصره. وكون جماعة تنادي بمذهبه الصوفي في الوحدة المطلقة. وقد قال - القرآن يوصل إلى الجنة. وكلا منا يوصل إلى الله تعالى.

أو كان يقول - القرآن كله شرك، ليس فيه توحيد. إنما التوحيد في كلامنا.

3- آثاره الشعرية والصوفية.

صنف العفيف آثاراً كثيرة في الشعر والتصوف وعلم الكلام. وقد ضاع معظمها ولا تعرف موضوعاتها، ولا حتى الأسماء منها.

وله ديوان شعر صوفي مشهور منذ القدم. وديوان لا يزال مخطوطاً. وقد جمع شعره في ديوان خاص مرتب على الحرف الهجائية. وهذا الديوان المخطوط لا يجمع شعره كله. وتوجد نسخ من هذا الديوان موزعة في مكاتب العالم. كما ترجم ديوان إلى الفرنسية بعنوان - ديوان الحب - وترجمه اسكندر المغربي. وقد تحدث في شعره عن الحسن المبدع، والجمال الأبدي. والحقيقة الأزلية. واتخذ في وصف الخمر رموزاً. وسكر بها صوفياً خاصاً. كما كان من أغراضه هذه في النسيب والغزل. والصهبا والسكر. والخمار والحانة. والطبيعة ومكنوناتها. ويعرض لنا بأسلوب في الرمز الصوفي حقائق التصوف وعقائده ومواجهه.

## 1- النسيب والقول الصوفي

تحدث الشاعر في معرض النسيب عن ديار محبوبته العربية المرموز بها. ويظهر من خلال الرمز ما في نفسه من المشاعر والعواطف الانسانية. والعقائد الصوفية. وقد وصف نجد وأفاض في وصف الجزيرة العربية. ويخاطب الشاعر البرق السارعي من آفاق الحمى النجدي من خلال لمعان طيف - ليلي العامرية. التي يشترك في جها المتصوفة.

عصابة وجد حب ليلي شعارها وسقم الغرام الحاجري دثارها.

إن الشعراء العذريين، ينفردون بذكر المحبوبة في أشعارهم. أما المتصرفه فيشتركون في هذه المحبوبة وحديثه عن خيام حبيته شيق جداً. إنه حديث الصب العاشق:

له من هو كليلي مميتوباعث ودون خباها موقف ومقام.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

أما الهودج فهي محمية ومصونة فيقول..  
إذا برزت ليلي من الخدر أبرزت لنا مسملاًثني عليه  
ثناياه

ويقول:  
إذا زمزم الحادي بالحن حبهـم يسابقه ركب من الدمع  
في خدي

ويقول  
وكم نسيم سري أودعت نفساً مالت به عذبات البان  
والغار

ويذكر العرايو والخزامى:  
سرى عرفها من راحة فتأرجحت رياض خزاما هلو فاح عرارها  
واستطرد يخاطب حبيبتة ويفصح عن حبه:  
- يا سليم الفؤاد من حر وجدي أنا في حبك المعنى  
السلم

قد دعاني إلى هواك جمال كل قلب على حماه يحوم  
ما ترى الكون قد تعطر سرا من شذا عرفه ورق النسيم.

- صب يرى نار الصبا بعينها في حبكم برد لعوسلاما.  
\*\*\*

- تنوح عليه الورق مما أصابه فتجري دموع الغيث  
وهي سجام

وخيل إليه أن نسيم الصبا قد هام بليلى فاعتراه الفنى  
وأنحله السقام فقال:

يا صاح، ما بال نسيم الصبا قد بل بردي دموع الغمام  
وهام في الآفاق مضنى فهل هام بليلى فاعتراه  
السقام.

وفي الرموز الأخرى المتفرعة من الرمز الأصيل - ليلي - قال  
في علوة:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

قل: عبد علوة لا أزا      ل ببابها أبداً أقيم  
أضع الحدود على الثرى      مما تشوقني الرسوم.

ولقد علمت بأن حبك قاتلي      إن كان يسكن كل جفن منصل  
وقال في سلمى:

تبسم ثغرها والليل داج      فنبهت الندامى للصبح.  
أما نعم فمزلتها تستمد من اسمها لانه      يقترن لفظاً بالنعمة  
ومعنى النعيم الأبدى.  
الذي يحلم به الشاعر.

هواك يا نعملي نعيم      فليعذروا فيك أو يلوموا  
وذبح طرباً واشرب وطب ثم غب فما  
نعيمك إلا سكرة في هوى نعم.  
وقال في سعاد

مقيم للقيامتي في فؤادي      هوى بين السويدا والسواد  
ووجد ما تغيمه الليالي      حفظت به عهد هوى سعاد  
وقال في - ليلي:

رأوا عطف ليلي قد تنني فاشركوا      وقد تنني حسنهلوهو  
مفرد

فإن حاولوا في الجحود أو الردى      فهذا دمي حل لهم لست  
أحمد.

وقد كان للمرأة العربية مكانتها الخاصة في شعره. وذكر  
الكثير من أسماء النساء العربيات في معرض الغزل  
والنسيب والتصوف. إنما بقيت ليلي العامرية الرمز الصوفي  
للأصل المطلق. وقد كان الموضوع الرئيسي الذي طرقه  
الشاعر في هذا الغرض هو - النسيب والغزل.  
والحب الالهي هو الهدف الذي تعمد به في وصف الحب  
البشري.

واستهدف نوعين من الغزل: الغزل العذري. والغزل المادي  
الصريح.

## الغزل العذري:

-2

لم يلتزم الشاعر مفاهيم الحب العذري المقتصر على امرأة واحدة. ذلك أنه ذكر أكثر من خمس عشرة امرأة. لان المرأة عنده رمز.. وكلها ترمز إلى ليلي الرمز الأسمى للوحدة المطلقة. والمرأة مشاع في حبها. إذ يشترك في هذا الحب المتصوفة جميعاً والتي يجمعها حالة عشق واحدة. وإن تعدد العشاق وتنوع المعشوقون. هذا الأمر له أهميته في وصف الحب العذري الصوفي. ويعطينا أجمل معاني الحب العذري في إطار يدور حول الخمرة. مما لم يفعل الشعراء العذريون. وآية ذلك أن الخمرة الصوفية حلّ لهم. فقال في ذلك:

نفوس تعيسات إلى الوصل حنت      فلما سقاها الحب  
بالكأس حنت  
وكانت تمنيت أن تموت صباة      فساق إليها الوجد ما قد  
تمنت  
شكا سقمه ومضى هواها صباة      فقالت له: اصبر في  
الصباة أو مت  
وما عاش إلا مغرم مات في الهوى      بحبي. وهذا في  
المحبين سنتي  
ستأتيك مني قهوة إن شربتها      صحت وفي صحو  
الهوى كل سكرة.

ولم يقتصر على العشق والصباة والهوى العذري. إنما أعطانا لوصفا عن العاشق المستهام والصب المعذب. والصبر المستعذب في الحب. ويرى أن جميل بثينة الشاعر العذري ليس بقادر على تحمل ما يحمل من غرامه. وليس صبره مثل صبره في الهوى

وأين جميل في غرامي وقد غدا  
لديه جميل الصبر في  
الحب يقبح

تلك هي ملامح من الغزل العذري في شعره الصوفي:

### 3- الغزل الصريح :

كان للغزل المادي طريقه إلى شعره أيضاً. لانه يتصور في  
أعماق ذاته أنه كان عبد الخلاعة. وإن يعتقد في واقعهم - رب  
الحقيقة وأيق الحق. لذلك يوصف الحبيبة وصفاً مادياً..  
راح للراح والخلاعة عبداً وهوفي مذهب الحقيقة رب  
وقال:

أنا في ليل أنسي قد صفا مشرب وردني

وتناولت كوؤسي بينريحان وورد

من يدي حلو التني فاتن أهيفقد

تارفينشد خذ كأ سي وطوراً هاك خدي

في هواه دع ملامي واطرح نحبي ورشدي

آثار وجدني في هواه كينعم الخلد عندي.

ويصف المعشوق و ينعتهم - بأمر الهوى.

سبيتالورى حسنا وأنت محجب فكيف بمن يهواك وإن

زالت الحجب

وأصبحت معشوق القلوب بأسرها ولا ذرة في الكون

إلا لها قلب

إذا سكر العشاق كنت نديمهم وأنت لهم ساق وأنت

لهم شرب

ولم لا يذوب العاشقون سباباً ووجداً وسلطان الملاح

لهم حب.

تسامى الشاعر في وصفه من نعت المعشوق البشري

إلى الاتحاد بالمعشوق الالهي.

وخيل إليه ان كل ذرة في هذا الكون. لها قلب يخفق طرباً

ويمدحه صبايقوعشقا

فيقول:



يا أخت ليلي في يدك زمامي وإليك مرقى منيتي  
ومرامي  
وفي العهد أرضعت الغرام وانني لأشيب فيه وما بلغت  
فطامي  
وأنا الإمام لكل من علق الهوى بغواده. والحسن فهو  
أمامي

### الخمريات الصوفية:

-4

تعد الخمريات الغرض الثاني الذي اتخذها الشاعر سبيلاً في  
الرمز الصوفي. لان معنى الخمر يوحى إليه بعض مبادئه  
الجوهرية في العقائد الصوفية.  
وتحدث عن قدم الخمرة. وذكر عوالم الأرواح والصور. ووصف  
الألوان التي اسكرت. والخمار الإلهي الذي سقاها. وبيدأ  
قصيدته بالخمرة. أو قد يبدأها بالغزل والنسيب ليختتم  
القصيدة بالخمريات.  
إن الخمر الصوفية في عرف الشاعر قديمة أزلية. والدهر  
الحادث أقصر منها في مدى العمر. فقال:  
فإذا نظرت رأيت من عشاقه أمما سكارى في شراب  
معينه  
من خمرة عصرت لهم منهم كما عصرت لآدم في بقية  
طينه.  
والمتصوفة يطلقون لفظ الشمس على النور الإلهي..  
فيال فها جنان الخلد شاربها ونار لالائها ترميه بالشرر.  
فإن خشيت عيون الحاسدين بها ففي اشعتها إن شئت  
فاستتر  
ويصف سلافة الريق، والمدامة التي تناولها من التي كان  
يهواها:  
وناولتني كؤوساً من مدامتها قديمة لم تكن في عصر  
عصار

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ونعت خمرة بأنها النعيم المقيم في خلد، وذكر أن شاربها  
ينال منها جنان الخلد.

وستغدو هذه الخمرة في نظره ناراً ولا سبيل إلى جنان  
الخلد. أو النعيم المقيم إلا بالنار التي لم ترم غير الهم  
بالأحراق.

واشرب الراح حين أشربها      صرفاً واصحو بها فما السبب  
خمر تهلمن دمي وعاصرها      ذاتي ومن أدمعي لها  
الحبيب

أن كنت أصحو بشربها فلقد      عربد قوم بها وما شربوا  
هي النعيم المهتم في خلدي      وإن غدت في الكؤوس  
تلهب

فغن لي إن سقيت يا أملي      باسم التي بي علي  
تحتجب.

وإن خمارة الشاعر كعبة. يطوف حولها ساعياً وملبياً ومقيماً  
يتجلى كؤوس خمرة من أيدي الندامى. وأضاف رمي  
الجمار في بعض خمرياته..

وأت حانات حبيبا نديمي      بائعاً بالعقار ثوب الوقار  
وتورع عن التورع فيها      واصرف الهم بالكؤوس الكبار  
نحن قوم بها شربنا وطبنا      ورفعنا برمي تلك الجمار  
واقترن ذكر الحان والحانة والحانات بالحب الإلهي. والحسن  
المطلق قد غنى الآفاق سحرا وفي الأكوام نورا. فصب كل  
عاشق إلى معاني هذا الحسن. فأقاموا للحب حانة يدعى  
إليها ينام يهبوا إلى دعوة الراح..

ملاء الكون حسنه فلماذا      كل صب إلى معانيه يصبو  
شاهدت حسنه القلوب فأمسى      وله في العقول نهب  
وسلب

نصبوا حان حبه ثم نادوا      يا ينام القلوب للراح هبوا  
نبت كرم رقت لكل كريم      ما على نفسه النفيسة صعب.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ويتخيل حانة نصبها الحسن تحت هدب العين البروق فيها  
صرف المدامة الإلهية.  
كم تحت ذاك الهدب من حانة روق فيها الحسن صرف  
المدام.  
أما الساقى والنديم والكأس وقد سقي الصرف من كرم  
الهوى.  
وإذا سقيت الصرف من خمر الهوى إياك تغفل عن جمال  
الساقى.  
وقد قدس الجمال والحسن فقال:  
قد كست بالشعاع وجه الندامى وحباه جمال وجه  
الساقى.  
وطلب أن نسعى وراء ضالتنا في شرب الخمر الإلهية،  
ونصلي لها حتى يتجدد بمدامتها ونلتقي فيها بالنديم..  
وصل الندامة والنديم وصل للحا نات واسجد خاضعاً  
للساقى  
يسعى بها لدن قوام مهفهد كالغصن ماس برونق  
الأوراق  
أحداقه ملئت من الأقداح أم أقداحه ملئت من  
الأحداق  
وقد أغرق في وصف الندامة حين ميل كأسه نحو ثغرها.  
ونشوة الكأس مثبت بلبها فميلتها نحوه، فيتمثل انعكاس  
عقيق شفتيها في عقر كأسه  
ندما نعملت كأسى نحوها إلى أن رأيت الكأس ميلاً  
نحوي  
تمثل في كأسى عقيق شفاهها وصار منال الثغر منها إلى  
العلو.  
ثم قارنوقرن بين الشمس والقمر في وصف الخمرة حين  
قال:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

فغنني يا حادي القديمة عن كأس يمثل الذي فيهل من  
الدرج  
وقل لوجه مدير الكأس: يا قمري قارن بكأسك بين الشمس  
والقمر.  
وصف الكأس صفاها ورقته لولونها. وتحدث عن المدامة من  
خلالها. وتخيلها ثغراً يرتشفه وصور جمرتها المتقدة فيها.  
وتعجب كيف يصحو بشربها في الوقت الذي كانسكره  
يعربد في خلده أبداً..  
محيك تهواه الحميا أما ترى حساً الكأس فيه جمرة  
توقد.  
ولولا بكاها بدا فوق خدها حباب حكاها اللؤلؤ  
المتبدد  
إذا ما ارتشفت الراح من ثغر كأسها الست تراها نحو  
وجهك تسجد  
عجبت لكأس قد صحت بشربها بها أبداً سكرى على  
يعربد  
ويبصر الشاعر النديم، ويناديه معاتباً. ويأمره أن يناوله كأساً  
في حبه ويجعلها في غلاله من نضار بعد أن طرزتها  
أيدي الراح بعقد:  
هات كأساً في حبه يا نديمي فهي تعزى منه لثغر  
وخذ  
واصلها في غلالة من نضار طرزتها ليدي المزاح بعقد.  
وإذا تجلى له كأس الساعي بأنواره. كان أول الشاربين:  
إذا تجلى كأس ساقيكم كنت له أول من يشرب  
ويصف الشاعر الكأس وهو في كف الحبيب المنادم نفسه،  
فيتعجب قائلاً:  
يا حبذا الكأس بكف الحبيب إذ نبت لنوار فوق اللهب  
وحبذا الكأس التي لم تزل تصرفني بالسكر حتى أغيب  
وتخيل كأس الخد الذي سقاه ناظره إياه.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وما كنت أدري قبل وسان جفنه وعشق الصدى الظمان  
فهل ورده  
ولا لذة السكران من قبل عشقه إلى أن سقاني ناظري  
كأس خده.  
يتضح مما مر معنأن الشاعر أورد- ذكر الكأس والكأسين  
والمدام والمدامين في الرمز الصوفي. وكان الشاعر لا  
يتستر أو يخفي أمره وإنما يصرح ويحثأن نشارك الندامى  
في التغني بذكرها وشربها لطردها هموم الحياقوالآمها.  
وقد تناول من ساقيته مداماً صرفاً أزية.  
وناولتني كؤوساً من مدامتها قديمة لم تكن في عصر  
عصار  
فصرفتني كما شاءت لسكرتها كؤوسها الصرف في  
أوطان أوطاري  
ويجتمع النقيضان معاً في الكؤوس - الجنة والنار- لان هذه  
الخمرة الروحية نعيم العقل البشري وحنته على الرغم من  
أنها النار الموقدة في الكؤوس.  
يسكن من يشرب كأساتها في جنة الفوز بها وهي نار.  
ولعل أجمل شيء صورة الشاعر هو وصفه كؤوس الخمرة  
في ليالي الأنس بين الرياحين والورود. حتى صفا له  
مشرب ورده فأنشد:  
أنا في ليلة أنسي قد صفا مشرب وردي  
وتناولت كؤوسي بينريحان وورد.  
ويحدثنا عن أحواله في سكره وما يشعر به من نشوة  
وسرور ولذة فيقول:  
وصل نديمك واقطع في أصائلها عمر الشباب فتهب  
العيش في الأصل

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وقل لحسبك: ذب سكرًا ومل طرباً  
العقل لا تزل  
واصمت إلى أن تراها فيك ناطقة وإن وجدت لساناً قائلاً  
فقل.

ويذكر لنا تحرك اعطاف الحبيب وانكسار أجفانه حين عبث  
منه انكسار:

يكن من يشرب كاساتها في جنح الفوز بها وهي نار.  
واستخدم الشاعر في معرض الرمز الصوفي مصطلحات  
دينية لغوية. فقال:

صلت أباريق المدام ورجع المثنى تلاوة خاشع يترنم  
والمثاني هي آيات القرآن. وهي جمع - مثنى. وأطلق  
الناس اسم مثنى أيضاً على أوتار العود. ويبتكر هذه  
المعاني الدينية فيخيل إليه أن الكعبة غدت حانتعالي  
يطوف حولها. ويتمادي في صوته ويقول:  
طاف بالخانولي وأقام يجتلي الكأس على أيدي الندامي  
وكان الشاعر يحيا في خلاعات صبا رمزاً لا حقيقة فيقول:  
ومعنى به كان الحبيب منادمي ومن قربه راحي وروحي  
وراحتي  
فها أنا مياس المعاطف رافل ببرد من أهوى مدامي  
وحضرتي

ويتضح من شعره أنه دعاها باسم المسرة أي الخمرة.  
وتبين لنا أنه أغرق في أوصاف الخمر حتى خيل إلينا أنه حقاً  
- رب الخاند- وما كان أبرعه حين جمع بين المرأة والخمرة  
ويكاد الخيام يتضاءل أمام هذه العبقرية الصوفية في الخمر  
الإلهية. لأنه يخرج عن طاره البشري ويتجرد من أدرا  
انسانيته ليسمو ويصعد في آفاقه الرحبة والخالدة عن  
طريق الرمز الصوفي في قصته مع الخمرة والمرأة.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وكان ككل الشعراء المتصوفين يتخرجون من ذكر الأديان السماوية وغير السماوية دامت تدعو إلى تمجيد الخالق المبدع.

وكان يعتمد الإغراق الصوفي من خلال وصف الخمرة. وأن خمرة متميزة عن الخمر المعروفة إذ أن كرمتها من غير الكروم الخضر. ذلك أنها من دق دمه. وعاصرها هو ذاته أو هي نفسه وحببها هو دمه المتناثر.

واشرب الخمر حين أشربها      صرفاً وأصحو بها من السبب  
خمرتها من دمي وعاصرها      ذاتي ومن أدمعي لها الحبيب  
إن كنت صحو بشربها فلقد      عربد قوم بها وما شربوا.  
هي النعيم المقيم في خلوي      وإن غدت في الكؤوس

تلتهب

فمن لي إن سقيت يا أملي      باسم التي بي علي

تحتجب.

ثم يعتمد الوقوف عند الحلاج هذا المتصوف الأكبر المصلوب ويستثير نفوسنا وعواطفنا. ويأخذ في رمز الخمر لانه لم يلتزم كتمان الحقيقة. إنما صرح بها من خلال مواجهته ومواجهته فيقول:

فها أنا والساقيني ناول كاسها      فاشرب صرفاً أو يغني  
فاطرب

فإنلام فيها الشيخ طفل غرامها على شربها فالشيخ  
كالطفل يلعب

تذكرني الحلاج والكأس تجتلي      ولكنها عنه تصان وتحتجب  
ولو لم يكن راودتها كصليبه      لما عذروا حلاجها حين  
يصلب.

وكان يعطي في شعره أوصافاً للمتصوفة في شبيههم بالنجوم، وقد جمعهم وألفت بينهم صحبة كؤوس الصفاء. وناداهم خمار الدير.

وقد أعجب الدكتور اليافي بهذه الخمريات الصوفية وفضلها على خمرة ابن الفارض.  
وقال: أشعار العفيف تبدو لنا كأنها - حانات خمار تتفوح منها رائحة الخمر وتتألق ألوانها، وتميس سقاتها حتى لكأن الأكوان كلها سكرى.

## 5- الوصف والطبيعة

تمثل الطبيعة الغرض الرئيسي في شعر العفيف. وكان لطبيعة تلمسان الجميلة الأثر الواضح في مخيلته وأشعاره. يضاف إلى ذلك أن هذه المدينة كانت مهوى أفئدة المتصوفة لأنها كان يزعمون- البلد الذي أقام فيه الخضر الجدار المذكور في القرآن. وكاد أن ينقض فأقامه.

وينقلنا الشاعر إلى روضه وفيه جلس لزوايا الصوفية حيث السماء والقصف والرقص والغناء على وقع الأوتار، وبات القضب يتمتع بالسماعات والرقص ويتثنى في السندس تحت القلائد كالكواعب والأبكار، والنسيم يشفق جيوب أزهار النوار، فأصبحت الأرض مشرقة بنجوم الزهر كما تشرق السمائر بالكواكب الزهد. فيقول:

ربروض قد بات مرضى الأزار ضاحك من مباسم النوار  
مخبر نسمة الصبا بعبارات الشذا من مواقع الأمطار  
فيعبات القضب رهن سماعات ورقص على غنا الأوتار  
يتثنى بحب القلائد في السندس، مثل الكواعب والأبكار  
عندما فتح النسيم لها الجيوب اتته الاكمام بالأزهار  
قلد الأرض كالسماء نجومًا طالعات تعودها بالنهار.  
وقد أعطى مزيداً في الحياة في تخليعاً في الاقحوانه  
التعذر فيه الرضاب. والكل الذي تناثر على كؤوس الشقائق  
فخاله شراباً. وخمائل الرياض أجسام الغيد الحسان. فقال:  
ندى في الاقحوانة أم رضاب وطل في الشقيقة أم  
شراب



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

فتلك وهذه تغوكأس  
بذا ظلم وفي هذا شراب.  
وخضر خمائل بجسوم غيد  
قد انتعشت ورق بها  
الخصاب

يريك بها الشقيق سواد هذب  
وللأغصان هيمنة كآلي  
تثنت والحمام بها تغنى  
كشرب مدامة شربوا وطابوا.  
وتحدث الشاعر عن الرياض البواسم التي بكأها المزن.  
وناحت عليها الحمائم. بعد أن أودعت الأنوار فيهن سرها،  
لكنه هو سر الله الأبدى المتمثل في شمسها وأزهارها  
وقطوفها الانية فيقول:

رياض بكأها المزن وهي بواسم  
فناحت بغير الحزن  
فيها الحمائم

وأودعت الأنوار فيهن سرها  
فنجت عليهن الرياح  
النواسم

كان الأقاحي والشقيق تقابلا  
خدود حلاهن الصبا  
ومباسم

كان بها للنرجس الغض أعيننا تنبه  
منها البعض والبعض  
نائم

كان غناء الورق ألحان معبد  
إذا رقصت تلك القدود  
النواعم

فالأقاحي والشقيق جمع فيهما الخدود والثغور التي جلاها  
الصبا. والنرجس الغض تخيله يرنو بأعينه تارة نائم وبعضه  
الآخر مستيقظ. وعرض سجع الورق من الحمائم وكأنها  
تتعنى بالبحان معبد في مجلس سعت فيهما القدود النواعم.  
وهكذا تتشخص الطبيعة عند الشاعر وتبرز فيها المواهب  
الصوفية المتمثلة في هذه المواجد والمواهب والله هو  
المهيمن الكامن وراء ذلك كله.

\*\*\*

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وينتقل الشاعر إلى وصف الحمام لأن طويلها معني رمزياً،  
ويطلب منا ان لا نعتب على الحمام المطوق اذا ناج أو غرد  
صادحاً على هيف أعطاف الغصون.  
ولا تغتبوا في النوح كل مطوق على هيف أعطاف الغصون  
مفرد

لانكم طوقتكم كل عاشق بدمع فراحوا بين باك  
ومنشد.

ويصف الشاعر والحمام الثالث.. وصف الأولى وهبتندب  
صادحاً في ضيق  
الحمامة الأولى:

وصادحة صدحت ليلها وقد وصلته بضوء النهار  
فنادمتها في كؤوس الهوى وقد مزجت بالدموع الغزار  
فتندب في ضيق أقناصها وأندب من لوعة وانكسار  
فلي شجني ولها شجوها فاشكو والأسى وهي  
تشكو الأسار

تذكرني بالهديل البكا واذكرها بالحنين الديات  
ولا وقت إلا ولي ولها هوى كامن أو جوى ذو ادخار  
لقد كانت حمامة الشاعر الأسيرة يصدح ليلها ونهارها لا  
فرق عندها بين الظلام والنور ويرمز بالحمامة إلى النفس  
البشرية الأسيرة ويتفاعل منسجماً معها ويستجيب  
بسبب ذلك الإسار الذي حرمها نعمة الحرية.  
الحمامة الثانية:

وهي ذات الطوق التي كانت تبكي حبيبها النائى الذي شط  
مزاره..

ما ذات طوق بكيت في دوح القفص على حبيبها  
نائى المزار قصي  
كانت وإياه في ظل الأراك على أريكة آمنتمن رائع  
القص

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

ففرق البين من شملها فعدت      تبكي عليه بقلب دائم  
الغصص

فلو تراني والورقاء في سمر      على تشاكي هوى  
مستعذب القصص

تبكي فتشجي وابكي وهي مسعدة      وزائد الليل طوالاً  
غير منتقص

حتى بكى عاذلي شجوا ورق أسى      وبات للحنن في  
سود من القمص

وأجمل ما في قصة الحمامة المطوقة أن الشاعر اتخذها  
مثلاً يحتذي ليقول:

إن لوعت عاشد من لوعتها. وجواه أكثر من جواها. لانه يأس  
على أجمل أيام العمر التي تقضى. ويصدر تجاوبه النفسي  
في تشاكي الهوى المستعذب. إنها تبكى في بكائها  
العزاء والسلوى. وتستثير أحزانه ويأتي دوره ليبكي.  
ويقضى ليله الطويل أرقاً حزيناًوما أطول هذا الليل الذي لا  
ينقضى.

### الحمامة الثالثة

وفي ليله الطويل النابغي يبكي الشاعر لان مواجيد  
الصوفية تتعاطم فيه. فيخاطب الورقاء وهي الحمامة الثالثة  
فيقول:

يا بارق الوادي ويا ورقاءه      نوحى لغصنك إذ أنوح لقه  
أنت الحزينة والحزين أنا كلا      نا اليوم مغدور بسر جده  
حالي وحالك والمجاوركه      في الماء يعلم حره من

برده

وتحدث عن نسمات السحر التي سقت بان الحمى  
فأسكرت وسألها عن أحوال الأحباب:  
أسكرت بأن الحمى يا نسمة السحر      فهل أتيت من الأحباب  
بالخبر؟.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

نعم مررت بذاك الحي فاكتسبت ذبول بردك ريا نشره  
العطر.

يا توق روي بروحي للحمى وقفي به - فديتك - بين البان  
والسحر.

ثم يتكرر تشخيص الطبيعة ويغدو النسيم العليل ذلك  
العاشق المضى الذي اعتراه السقام. حتى تصبح الطبيعة  
مشتركة بالحياة نفسها:

يا صاح ما بال نسيم الصبا قد بلّ برويه دموع الغمام  
وهام في الآفاق مضى فهل هام بليدي فاعتراه السقام  
معانقاً أغصان بان الحمى إذا اشبهت في اللين منها  
القوام

كأن الأغصان مذ هيمنت حياً وقد ردت عليه السلام  
وقد يجمع في قصيدتين الطبيعة والخمر والغزل فيقول:  
قسماً بالخدود والأحداق وهي في الحب حلقة  
العشاق

انني للمصونة والحسن عبد لست أرض بذلة الاعتاق  
قد كست بالشعاع وجه الندامى وحساها جمال وجه  
الساقى

في رياض تبسمت من أقاح سرقة من أنجم الآفاق  
وسقته الندى على النرجس الغض لدمع الدلال في  
الآفاق.

وتفنن الشاعر في نعت الطبيعة ووصف جمالها لابرار معاني  
الغزل فيقول:

ما في الجفون كما يُقال: سيوف لو كان بات الثغر وهو  
مخوف

انني وفي الخد المضرج روضة يأوى إليها المناظر الملهوف.  
نغد الربيع وثم قبض جوانحي فمتى بيت وورده مقطوف  
وصحا الأقاح بها وقد سقي الطلا صرفاً ويسكر من عليه  
يطوف

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

في هذه المعاني التي تنقضي فيها أيام ربيع القلب وحلول  
الصيف النفسي معبراً عن حرارة الوجد الصوفي.  
ويغرق في وصف الجمال المطلق الذي أشرق نوره على  
الكرى مستخدماً الطبيعة والخمر لاداء المعالي..  
فإذا نظرت رأيت من عشاقه أما سكارى من شراب

معينه

من خمرة عصرت لهم منهم كما عصرت لآدم في بقية  
طينه

فاشرب على روض صفاتك زهرة من حسن سوسنه  
ومن نسرينه

وهكذا نرى أن الطبيعة غرضاً هاماً من أغراض الشاعر  
وتواصلها مع الخمر والغزل.

### العقائد الصوفية:

-6

العقيدة - لغماً عقد عليه القلب والضمير. وما تدين به  
الانسان واعتقده. وهذا هو الغرض الرابع في شعر العفيف.  
والعقائد الصوفية التي ترددت في شعره يمكن اجمالها في  
خمسة أقسام:

- الله والعقل والحقيقة.

- الحسن والجمال والكمال

- الأكوان الدهور الخليفة

- الأنبياء والرسل والمتصوفة

- التوحيد والوحدة المطلقة.

وتعرض في هذه الأقسام إلى الحجب. والكشف. والفيض.

والنفس. و والعشق. والعرض والجوهر. والأركان الأربعة:

ركن النار. ركن الهواء. ركن الماء. ركن التراب.

والمواليد الثلاثة المتمثلة في - عالم الجمال. وعالم النبات.

وعالم الحيوان.

### الله العقل والحقيقة:

-1

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

الحقيقة الأزلية الإلهية واحدة. وإن كثرت فيها الأوصاف  
وتعددت النعوت. وتواترت الأسماء والمسميات. فالله هو  
العقل المبدع نفسه. وهو المعنى الأزلي.  
إذ لا انفصال بين الله والكون. فيقول:  
ألم تروجا الحسن أوضح وأضح بدا فهو للأنوار أفصح  
فأضح.

### 2- الأكوان والدهور والخليعة:

فالحسن الإلهي ملاء الكون كله. فصبا كل عاشق إلى هذه  
المعاني:  
فلا الكون حسنه فلهذا كل حب الي معانيه يصبو  
شاهدت حسنه القلوب فأمس وله في العقول نهب  
وسلب.

وتصور الكون يتمايل سكرأ فقال:

ما ترى الكون قد تمايل سكرأ ونسيم الرياض يعبق عرقا  
وأغرب من ذلك يقول أن الكون غصون ونحن الثمر. ولا ذرة  
في الكون إلا لها قلب:

سبيت الورد حسنأ أنت محجب      فكيف بمن يهواك إن  
زالت الحجب  
وأصبحت معشوق القلوب بأسرها      ولا ذرة في الكون  
إلا لها قلب

### الجمال والحسن والكمال:

ويتضمن وصف الشاعر الصور العامة في نعت الجمال  
المطلق. والجمال المبدع، ويفرق بين الحسن والجمال. فهو  
يرى أن الأصل هو الحسن. ويقدمه على الجمال. فيقول:  
بيدي لعينيك حسنه معنى الجمال الأقدس.  
ويتفرق ماء الحسن في الوجنات وليس لظمان إليه ورود  
لانه محرم عليه:  
ترفرق ماء الحسن في وجناته      وليس لظمان إليه ورود.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وشغله - أمر هذا الجمال الممنوع بهذا الحجاب الموضوع  
فكيف يتمتع بالحسن المبدع؟.

يا شاغلي بجمالیه الممنوع عن رفع طيب حديثه المرفوع  
قالوا: أتبكي من بقلبك داره جهل الوازل. داره بحميصي  
لم ابك لكن لرؤية غيره طهرت أجفاني بغيض دموعي  
ناديت في ناديك يا كل المنى باسم الغرام وأنت خير سميع  
وعندما أبصر عطف ليلي تشنى، كان هذا التشنى باعثاً على  
الاشراك فقال:

رأوا عطف ليلي قد تشنى فأشركوا وقد تشنى حسنها وهو  
مفرد.

وليس عليه إلا الفناء المطلق في تناسي الوجود، إذا تجلى  
له هذا الحسن المنشود.

وإذا الحسن بدا فاسجد له فسجد الشكر فرض يا أخي  
هذه أنوار ليلي قد بدت فلسلب الروح يا صاح نهى  
كل حي في هواها ميت إنما ميت هواها ذاك حي  
لا ترم في شمها (ظل السوى) فهي شمس وهي ظل  
وهي في

وإذا كان السجود للحسن فرضاً، فعبادة الجمال عنده دأبه  
حين تراه عينه:

وما كنت ادري فتنة العشق قبلها إلى أن رأيت عيني جمالك  
يعبد

كما وصف فترة الأشرار والتجلي الالهي وحالتها التي لها  
بقوله:

لولا الحياء أن يقال: صبا لصرخت ملء السمع: واطربا  
حضر الحبيب وغاب حاسدنا من بعد طول تحجب وخبأ  
فاليوم اخلع يا منى أملي فيك الوقار واطرح الرتبا  
ونجد أن الشاعر وصف الجمال والحسن والكمال من خلال  
الاشراق والفيض بعد زوال الحجب والأخبية. واختار الصور  
المعبرة من أحوال مواجده الصوفية.

## الأنبياء والرسل والمتصوفة:

أعرب الشاعر عن كثير من المعاني الدينية المتعلقة بالاديان والرسل والمتصوفة واستخدمها في معرض النسب والغزل ووصف الطبيعة ونعت الخمر من ذلك قوله:  
من خمرة عصرت لهم فهم كما عصرت لآدم في بقية طينه  
وتحدث عن الخمرة وكيف لقب يوم المسيح  
فإن بها حياتي بعد موتي لهذا لقب بيوم المسيح.  
ونطالع في ديوان ثلاث قصائد نبوية تعرض فيها للرسول الكريم ويبين فيها موقفه من الشريعة المحمدية. ويذكر أقوال الرسول الكريم ووصف شمائله وأخلاقه فقال..  
يقول رسول الله وهو المصدق وعن عالم الغيب الإلهي  
ينطق

أطيعوا الهدى واهدوا إلى الطاعة الندى ولا تفرقوا فيه  
ولا تفرقوا

ويتحدث عن المتصوفة وهو منهم وبهم وإليهم ويتغنى في الإخلاص لأخوة رفاة التصوف.  
فيقول:

تجلى محياها فمدت بنورها حجاباً على أبصارهم وهو منهم  
ويشطح الصوفي في فرض وده نحو منزل الوصل. وهو  
الإمام في الغرام.

على ربع سلمى بالعقيق سلام وجاء ثراه أدمع وغمام  
هواها على كل القلوب فريضة تؤدى ومثلي في الغرام  
إمام.

ثم يتحدث عن الوحدة المطلقة بأشكال مختلفة من المعاني وذكر حبيب الأعظم الذي اتخذ قلبه منزلاً وداره له. وفي كل جرح من جوارحه لعبها شرف:

ذكر الحبيب فليتهم عرفوا من حسنه الوصف الذي وصفوا  
قلبي لعدار ومنزله ولكل جرحه شرف.



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ويقرر أن الله قريب بعيد في وقت واحد. فيقول:  
يا مقيماً مدى الزمان بقلبي وبعيداً بشخصه عن عياني  
أنت روعي إن كنت لست تراها فهي أدنى إلي من كل دان.  
ثم ينتقل إلى رمز المليحة المصونة في الحمى المتمنع  
حين بدت وحجابها لم يرفع ورغم ذلك أخذت بمجامع القلوب  
وطلبت من كل عاشق أن يفارق وجوده ليلقاها.  
فيقول:

ما للمليحة غيرها من عاشق فهي المصونة في الحمى  
المتنع

ولقد بدت فرأت بديع جمالها كل القلوب وحجبها لم يرفع  
وبحسنها الباقي الذي أغناهم فهم باطلاق الجمال المبدع  
قالت لكل منهم ظهرت له فارق وجودك في غير مودّع  
وينتقل ليحدثنا عن بعض تساؤلات جماعته وقولهم له: لم  
تبكي هذا المقدس؟ وهو المقيم أبداً في حمى القلب  
ويجبهم إنه لم يبك أسفاً وحنناً. إنما يبكي معاقباً عينيه  
ويظهر أحفانه من رؤيته غيره وهكذا يغدو التوحيد المطلق  
في المشاهدة والكشف

قالوا: أتبكي من بقلبك داره جهل العوازل داره بحمي  
لم أبكه لكن لرؤية غيره طهرت أحفاني بفيض دموعي.  
ناديت في ناديك: يا كل المنى باسم الغرام وأنت خير  
سميع.

وأما استخدام مصدر (التوحيد). يلتزمه في النسب والغزل  
والخمر والطبيعة. سعياً وراء الرمز الصوفي فيقول:  
يصاب علي السكر فيها وحيداً بها مستهام زينته  
عيوب

أنص على توحيدها عن مزاحم وإن اشركت بي أنفس  
وقلوب

يقولون لي سرّاً: شطحت بذكرها وأنت من  
البلوى لذاك قريب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

وموتي حلو في الهوى بحياتها ودع في هواها  
الحاسدين يذوبوا

وقد برع في وصف سكره، وتحدث عن توحيد الحبيب  
بالمحب لأن المحبين كثيرون جداً لا يحصيهم عد. وهم  
يشتركون في العشق. في هوى هذا الحبيب الأوحده.  
ويبين غيره المحب بقوله:

ومن العجائب أن أفوه بذكرها ولقد أغاربان تمر بخاطري  
ويستخدم مصدر الاتحاد في الوصال وفي حديثهم وقاد  
الجوى بين جوانحها بأنه أقرب للحشا من مهجته ويقرن  
مصدر الاتحاد بمصدر التعداد..

ما ذاك إلا أن وقاد الجوى بين الجوانح دائم الايقاد  
ويبيت ادنى للحشا من مهجتي وأنت اشكو فيه فرط بعاد  
فكأنما تهوى اتحاد وصالنا شغلونكره فرقة التعداد.  
ويقول:

أفي ولهي باسم المليحة تعبت وتعرض إن وحدتها ثم  
تغضب

ولو فزت من ذاك الجمال بنظرة لأصبح منك العقل يسبي  
ويسلب

وهكذا يتلاشى وهم القبح البشري، حين تشرق شمس  
الحسن الإلهي وحدها من خلال الحقيقة السرمدية فيقول:  
إذا ما صنعت القبح بالحسن في الهوى وزال بحكم العين  
عن قلبك السوى

## منزلة الشاعر الصوفية

لا شك أن للشاعر مكانته الصوفية السامية. إضافة إلى  
منزلة الأدبية.

وقد كان حسن الخلق. طيب العشرة يقر بذلك أعداؤه  
وأصدقاؤه على السواء. وكان معروفاً بالجلال والاكرام بين  
الناس.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

أما منزلته الصوفية فقد انفرد بها كما أشير في البحث. وكان له أثر كبير بين المتصرفين في عصره وأحدث ردود فعل ضده. وقد تمتع الشاعر بثقافة صوفية أصلية. وقد قال الصوفي المعروف - ابن سبعين - انه يفضل على استاذة (القونوي) وقد التقى به خلال قدومه معاً إلى القاهرة فقال:

"لكن معه شاب أحذق منه. وهو العفيف التلمساني. وقد انفرد وحده بمقالة خاصة في الوحدة المطلقة. وظهر اثر العفيف في غير العالم الإسلامي. وقد تأثر به الراهب الإسباني المتصوف الزاهد - رامون - كما تأثر أيضاً بابن العربي.

وقد كتبه عنه الدكتور - عبد الكريم اليافي: وهو من الاوائل الذين اهتموا بالشاعر. وجمع عدداً وافراً من نسخ ديوانه وتحدث في بحثه عن الرمز الصوفي وابن عربي ومدرسته فقال:

فمن أكبر شعراء التصوف باللغة العربية العفيف التلمساني. وشعره الجميل يذكر الصوفية أبياتاً منه وقطعاً من كتبهم ولكن ديوانه لا يزال مخطوطاً. والدكتور شكري فيصل قال:

هذا الإنسان عنده ألوان من العواطف لا تتعلق بشخص معين. بل تتعلق بالله والعالم في نظره ليس العالم الذي تعرفه. وإنما هو عالم صوفي علوي يرتفع إليه الشاعر. ولهذا فهو مجدداً في شعره وله القدرة على النقلة والتصعيد من جد إلى آخر. وهذه الازدواجية نترك الانسان موزعاً بين حقائق الأرض والسماء. وقد أحدث تأثيراً كبيراً بين القدماء والمحدثين إلى أنارت مقالته في الوحدة المطلقة ثورة فكرية تصدى لها كثير من الفقهاء. وأوقفت بعض المحدثين في اضطراب وحيرة.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ومما لا شك فيه أنه كان من الطبقة الأولى في الشعر والتصوف على السواء.

### جلال الدين الرومي

ولد في بلخ عام 604هـ  
والده بهاء الدين ولد، ينتهي إلى أبي بكر الصديق. كان من  
العلماء، يجتمع في حلقات درسه الكثيرون.  
جافاه جلال الدين محمد، أحد ملوك (الخوارزم) فهاجر من بلده  
مصطحباً ولده جلال الدين.  
وفي نيسابور قابل فريد الدين العطار، فبشره بأن ولده هذا  
استعداداً طبيعياً وأن مخايل النجاة بداية على وجهه،  
وأهدى إليه نسخة من ديوانه "أسرار نامه".

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وأراد والده الحج. وفي طريق الحج التقى بالسيد برهان الدين الترمذي وهو من كبار المتصوفين وتباحثا في موضوع التصوف، فأصبح جلال الدين من ذلك الحين مايلاً إلى العلوم الباطنية. ثم صار منقطعاً لها.

سكن مع والده دمشق مدة، ثم رحل منها إلى بلاد الروم. واستقر في قونية، بناء على دعوة السلطان علاء الدين السلجوقي. واشتغل الوالد بالتدريس، ثم توفي فخلفه في التدريس ولده جلال الدين، فاشتهر وتهافت عليه الطلاب ولكنهم مال إلى التصوف. وانتسب إلى حسام الدين الجليبي وبارشاده، نظم ديوانه (المثنوي). الذي يقدره /26/ ألف بيت وجعله في ستة أجزاء. ويعد من أروع ما أنتجته الفكر. ويشتمل على قصص ديني. وأخلاقية بأسلوب رشيقي جذاب.

والتقى في (قونية) بالعارف شمس الدين محمد التبريزي، فترك جلال الدين التدريس. وهام معه في البادية متصوفاً على الطريقة (المولوية).

ونظم ديوانه - شمس تبريز - تيمناً باسم العارف شمس الدين التبريزي ويقع في -33- ألف بيت وكله في الغزل الصوفي الجياش، بالعاطفة الملتهبة والشعور الفياض. ويعد من كبار مشايخ الطرق. والأولياء. وذاعت شهرته في كل العالم الإسلامي.

وتوفي عام /672 هـ عن عمر بلغ 69 عاماً. ومرقده في قونية موضع الأجلال ومحط للرحال. باقة من أشعاره

ذلك العشق الذي زاد الضنى ما حكى عنه فقيه في الدنى  
بحياتي كنت جربت الردى فلأمت بالحب كي أخذا

"اقتلوني. اقتلوني يا ثقات إن في قتلي حياة في حياة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

يا منير الخد يا روح البقا اجتذب روجي وجد لي باللقا  
لي حبيب حبه يشوي الحشا لو يشا يمشي على عيني  
مشى  
أنت مأسور بهذا العشق الخفي ذاك قيد لا تراه. فاكثفي  
لم يطق صبراً على نار الجوى وهوى صدر جهان والنوى  
كم وكم جربت يا باهي السنا لم أجد إلّاك حلواً في الدنى  
من فراق الغصن يصفى الورق مثلما يمسي محيا من عشق  
فالفراق النار والنار الفراق. حيث لا يرجى من الحب التلاق  
من فراق الخل يختل الهجا وهو مثل البدر في جنح الدجا  
دل على العشق وحب قلبها ما شف هذا الجسم غير حبها  
الناي  
من جروح ترى بصري الحزين أبعث الصوت مشبعاً بالانين  
فتراني بكل نادأ نوح وفؤادي من الغرام جريح  
تلك نار بقلبه وهيام حين جاشت من الغرام المدام  
شغني لو تحالفت مع قلبي كنت أفشي كالناي أسرار  
حبي

## حافظ الشيرازي

هو شمس الدين محمد الحافظ. ويلقب بلسان الغيب. ولد في أوائل القرن الثامن الهجري. ويقال ان أباه كان يسمى بهاء الدين ويذكر أنه هاجر من أصفهان إلى شیراز. وقد حصل حافظ علومه ومعارفه في موطنه الأصلي. واتصل بحلقات الدروس التي كان يعقدها علماء عصره وقد جمع بذوقه الصوفي اللطيف، بين تعاليم الفلسفة، وآيات القرآن الكريم ولم يغادر شیراز. إلا في سفره القصير إلى ميناء هرمز. ثم أنفق حياته في شیراز. إذ حبها إليه صفاؤها وجمالها وبهاء مصلاها. وشاطئ نهرها. وقد استلهم حافظ روحه الكبيرة، وفكره السامي. من ذوقه الصوفي الذي بلغ به منزلة رفيعة. وبلغ من حيث التعمق في التصوف حداً جعله يستخدم في كل قصيدة من قصائده، أو غزلياً من غزلياته. بيتاً وأبياتاً صوفية يوردها ضمن أبياتها.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

وأما ديوانه ففيه، قصائد. وغزليات. وقطع. ومثنويات.  
ورباعيات. ولكنه مشهور بالغزل. فقد بلغ غزله الصوفي  
ذروة الفصاحة في بساطة ورقة وروحه الصافية تتجلى في  
كل بيت من أبياته.

فهو شاعر ناضج القريحة. لطيف الذوق.  
وتوفي - 691هـ. ودفن في شيراز.

### مقتطفات من شعره

فؤاد شفه الحب فمن يبرئ أسقامي؟.

بسمة ثغر الكأس والطرة التي بتجعدها قد أغرب ربة  
الحسن.

يا رسول الصباح قد برح الهجر بقلبي. وهدي ركن وجودي

إن لي روحاً أعاره لالي حبيبي وهي عندي قلادة في  
جيدي

إن روحي لشممة من شذا أنفاس حبي، تميد تيهها وسكرا

ألقيت نفسي بخضم الهوى وقلّ من يفرق أن يسلمنا

عشقي جديد كل حين ليس تبليه الليالي

أواه من نبل الجفون فإنها أصمت فؤادي فانشيت جريحاً  
ولبيدراً المجنون أفكار الهوى جنحت فشب به الحريق جنوحاً

في الصدر ورد، وفوق الكف كأس طلا

والحب دفع الهوى والعيش أحلام

متى نلت من ليلك وصلأ، فلا تعر

لا على السماء أدنى التفات من الفكر.



فكيف يطيق كتم الحب قلب بنار العشق يتقد اتقادا.

## سعدى الشيرازي

اسمه الكامل الشيخ شرف الدين السعدي. أحد النجوم  
اللامعة في سماء الأدب الايراني. وقد بلغ أعلى الدرجات  
في اللغة الفارسية. ونثره ونظمه يويعدان أحسن مثال في  
السلاسة والبلاغة.  
واستخلصت حياته من دواوينه الشعرية. ومن نثره الساحر.  
خصوصاً في كتابه الخالد - كلستان - وفي ديوانه الغاتن -  
بوستان..

ولد عام 606هـ في شيراز. ورحل إلى بغداد والتقى  
بعلمائها وعظمائها وكان في ذلك الحين دار العلم.  
ثم عاد إلى وطنه وقد تعرض لهجمات المغول. ورغب أن  
يطوف العالم، فزار مكة. ودمشق. وشمال أفريقيا ولم  
يفارق دمشق إلا في سنة 643هـ على أغلب الظن  
وعاد إلى موطنه - شيراز. ممتلئ النفس بالأفكار الناضجة.  
والعقائد العميقة وأول منظوماته الهامة - بوستان -  
ويشتمل على قصص شعري غاية في الإبداع ثم - كلستان  
- وهي أجود ما كتب في النثر الفارسي ويحوي الحكم.  
والامثلة والنصائح الأخلاقية والاجتماعية.  
أما غزلياته، فقد تضمنت أبداع وأعمق الاحساسات في  
الروح الصوفية.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وقد نقلت آثاره نظماً ونثراً إلى جمع اللغات الحية. فكانت محل إعجاب الأمم وتوفي بين 690هـ. في شيراز ودفن فيها. مقتطفات من أشعاره

فما البعد عن ليلي دليل على الجفا  
ولا قربها يشفي فؤادي من السقم.

خلك اختار لظى نار الحريق  
فلماذا سرت في ذاك الطريق.

فؤادي مكان للحبيب فهل ترى  
من الحق عندي أن يحل به الحقد.

عودي وما شئت افعلي  
فأرى العقابيلذ لي.

فقلبي مثل الشمع، فارثي لحاله  
متى جن ليلي ضاء من شدة الوجد.

## الحلاج

يقول المنشرق - ماسنيون - كان الحلاج يحرك الجماهير،  
ويشرب فكرة الحكومة المثالية الربانية التي تقيم الشريعة  
على نفحات المحبة والعبادة لله وهي سر المأساة الكبرى.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

في بقعة من فارس تسمى (تور) ولد - الحسين بن المنصور- الحلاج - عام 244هـ - 858م، هو فارسي الأصل والمولد، وكان والده من عمال النسيج لهذا سمي (حلاجاً). وفي رواية أخرى أن أهل الأهواز أطلقوا عليه هذه التسمية لأنه يكاشفهم بما بما في قلوبهم فسموه حلاج الأسرار انتقل مع والده إلى - مدينه واسط - وهي من مراكز الاشعاع الفكري والروحي فنشأ في هذا الجو العلمي الحر. ولفت الانظار إليه بذكائه المتوثب اللماح فأقبل على ينابيع العلم والمعرفة. وكلمات من شبابه تصور منهجها يقول " حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك والاتصاف بأوصافه" وتلمذ على يد شيخ التصوف - عمر المكي. وتلقى منه خرقة الصوفية. وتزوج في البصرة واتسم زواجه بالإخلاص. ثم رحل إلى بغداد فصحب - الجنيد - سيد الطائفة - والتقى بصديق عمره (الشبلي). ثم استقل بنفسه وابتدع طريقاً حلاجياً واتصلت روحه بربه اتصالاً عرف (معراج الحلاج). ثم عاش في مكة المكرمة عاملاً كاملاً في صمت وتأمل جالساً في صحن المسجد سنة لم يبرح موضعه إلا للطهارة والطواف ويحمل إليه كل عشية كوز ماء وقرص من أقراص مكة. وعند الصباح يرى القرص على رأس الكوز وقد عض منه ثلاث عضات وحين خرج من عزلته تلقاه أتباعه فترجم أمره بجملة قصيرة:

- لو ألقى بما في قلبي غرزة على الجبال لذابت"

كان الحلاج باهر الشخصية. ساحر الكلمة. محبباً إلى القلوب. فتنت به الجماهير ونسبت إليه الخوارق. وتنقل بين الهند والصين وفكر في هداية الإنسانية كلها ولقب بالمغيث- وكان يعرف الكيمياء والطب والتصوف عنده سفر تغني فيه الصفات البشرية في الصفات الإلهية.

- فناء- طاعة- حب ووجد - ذوق وشوق. ويقول:

إن القلب الذي يعرف الحب لا يموت أبداً

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ويقول: الحب لذة لا يعرفها إلا الصغوة من المحبين -  
قال الشبلي - كنت أنا والحلاج شيئاً واحداً إلا أنه أظهر  
وكتمت وكثر الصراع بينهما ورددت محافل بغداد صدى هذا  
الصراع..  
وأصبحت بغداد في عصره عاصمة الدنيا. والخليفة المقتدر -  
رئيساً محبوباً جارية حسناء أسلمها الدولة وكذلك والدته شغب  
التي أحالته إلى العوبية في يدها. فأحاطت بالحلاج الأحقاد  
والخصومات وهو يهاجم الخلافة والوزراء ويتحدث من الحرية  
الفردية والمثالية الخلقية. والحقوق الاجتماعية. يقول  
المستشرق - نيكلسون - ضاق - رجال الدولة بنفوذ الحلاج  
وشعبية التي تهدد بثورة تطيح بهم. وبدأت مؤامرة  
التزييف ضد الحلاج واتهم بالإلحاد. وجمعوا شهود زور في  
قمة هذا الصراع بدأت محاكمة الحلاج ومأساته وسجن  
الحلاج وغداً سجنه مدرسة ومنتدى واستمرت هذه الحياة  
ثمان سنوات ثم كانت محاكمته وصلبه والتمثيل بجسده..  
وأنشد -

طلعت شمس من أحبك ليلاً فاستضاءت فما لها من  
غروب  
إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس  
تغيب

يقول الياقوتي: سمعت الحلاج عندما تقدم للصلب يقول  
يا معين الفناء علي أعني على الفناء.  
وصلى على مذبح الصلب قائلاً:  
ركعتان في العشق لا يصح وضوءهما إلا بالدم"  
ولما طلب من الشبلي أن يرحم الحلاج رماه بوردة ثم بكى.  
وذكر فريد العطار عبارة ما زالت يتمثل بها الأتراك حين قال  
الحلاج.  
"إن الورد قاتل ألقاها الحبيب أمتنا"

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

تحمل الحلاج رجم الناس صابراً ولكنه جزع من وردة الشبلي  
صديقه ويقول ابن الساعي عن الشيرازي حين فتشوا  
الحلاج وجدوا ورقة مكتوبة بخطه وفيها هذا الدعاء.  
اللهم ألق في قلبي مرضاك واقطع رجائي عن سواك  
وأعني باسمك الأعظم وأغنني بالحلال عن الحرام  
وأمتني شهيداً.

وحرقوا آثاره وله أكثر من /49/ مؤلفاً لم يبق منها إلا كتاب  
الطواسين الذي تهرب من السجن عن طريق أحد أصدقائه.  
وأضفي على البطل الشهيد نسيجاً اسطورياً من أنسجة  
القداسة والخلود. وللحلاج جماعات روحية علاجية تدارس  
تعاليمه وتحاول أن تبقى ذكره حياً في التاريخ وهناك  
طائفة من القوالين أي الموسيقيين يطوفون البلاد ويغنون  
ومن أغانيهم:

سلوا العاشقين عن شروط العشق  
وإن لا تصدقوا فسلوا من مثل منصور  
وفي العراق لا يزال قبر الحلاج الخالي من رفاته يزور الناس  
ويضعون على القبر شموعاً ونقوداً.  
يقول - جلال الدين الرومي - إن روح الحلاج تجلت في  
العتاء.

وأصبح الحلاج الملمم الأكبر لمواجيد الشعراء في الأفق  
الصوفي.

وهو الملمم في الشعر التركي. ولدى الهنود شهيد الحق.  
وهو الملمم لعباقرة الشعراء الفارسيين - والمزمار  
الرئيسي في الحفلات الموسيقية الروحية عند المولوية  
يدعى باسمه - ناي المنصور.

ويقول الحلاج - العشق صفة من صفات الذات الإلهية.  
كالعلم والقدرة والحياة. وهو جوهر العلاقة بين الخالق  
والمخلوق.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ويقول - العشق نار. نور أول نار. وكانت في الأزل تتلون بكل لون وتبدو بكل صفة. وتلتهب ذاتها بذاتها وتشعشع صفاتها بصفاتها والحلاج يفهمه القلب أكثر مما يحيط به العقل. يقول محي الدين بن عربي - الحلاج ما مات ولكن البيت خرب. والساكن ارتحل ويقول المستشرق ماسنيون - الحلاج هو الشخصية الكاملة التي تمثل أصدق تمثيل أسمى ما وصل إليه الحب الإلهي في التصوف الإسلامي ويقول - نيكلسون - الحلاج هو المبتكر الأول للمصطلحات الصوفية التي وسعت آفاق التصوف. وهو الذي جعل الحب الإلهي فلسفة ومنهجاً متماسكاً. وكل من جاد بعده ينسج ويقلد.

والحلاج انتهى به كلامه في الحب إلى القول بوحدة الأديان. لأن الحب وحده هو المعراج الموصل لمعرفة الله. من أشعاره:

حويت بكلي كل حبك يا قدسي    تكاشفني حتى كأنك  
نفسي

أقلب قلبي في سواك فلا أرى    سوى وحشتي منعومتك  
به أنسي

أني لراض بما يرضيك من تلفي    يا قاتلي ولما تختاراً اختار

ولا هممت لشرب الماء من عطش    إلا رأيت خيالاً منك في  
الماء

أنا من أهوى ومن أهوى أنا    نحن روحاً نحللنا بدنا  
فإذا أبصرتني أبصرتك    وإذا أبصرتك أبصرتنا

يا نسيم الريح قولي للرشا لم يزدني الورد إلا عطشا  
لي حبيب حبة وسط الحشا    لو يشا يمشي على قلبي  
مشا

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

روح روح وروح وروح روح إن يشا شئت وإن شئت يشا

أفنتني بك عني عجت منك مني  
وقفنتني في مكان حسبت أنك أني

كم يا لائمي في هواه لم تلوم فلو عرفت منه الذي عنيت  
لم تلم  
للناس حج ولي حج إلى سكني تهدي الأضاحي وأهدي  
مهجتي ودمي

اقتلوني يا ثقاتي إن في قلتي حياتي  
ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي  
ثم مروا برفاتي في القبور الدراسات  
تجددا سر حبي في طوايا الباقيات

## رابعة العدوية

شهيدة العشق الإلهي..  
إنها ذات الخدر الخاص المتقدة بنا بالعشق القانية في  
الوصول.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

أتت إلى الدنيا ولم يكن مع بيت أهلها شيء لأن أباه كان فقيراً فلم يكن عنده قطرة من سمن حتى يدهنوا موضع خلاصها. ولم يكن ثمة مصباح ولا خرق للرف الوليد. فدعته زوجته إلى الذهاب إلى الجيران للحصول على زيت لإضاءة القنديل، وطرق بابهم فلم يفتح له، فأبأها بما حدث فبكت، هناك أطرق على ركبته ونام ورأى حلماً وتحقق حلمه في اليوم التالي وحصل من أمير البصرة على مبلغ من المال يقال من آل عتيك بنو عدو قول هذا تسمى العدو ويوكنيتها أم الخير.

ويقال أيضاً إن والده كان يعمل على مركب ويعدو بالركاب من ضفة إلى أخرى وحين توفي عملت مكانه ولذا لقيت عدوية. وكان لها ثلاث أخوات بنات فسميت رابعة لأنها رابعتهن. ونشأت رابعة بين تدين وحرمان وعفا منطوية على نفسها وانتشرت المجاعة في البصرة فتشردت رابعة وأخواتها.

وفقدت أخواتها وبقيت وحيدة تنادي ربها، وبرزها المستغلون وباعة الرقيق وكانت رابعة من الضحايا، وقد سرقها لص وباعها لتاجر بثمن بخس وهذا التاجر أبغها في خدمته وأضناها الرق المهين ولم يرحم صباه وحرزها وإذا خلت إلى نفسها وصلاتها تنادى بربها وهي تبكي وتتلحف يومرة رآها سيدها من خوخة الباب ساجدة تصلي وشاهد قنديلاً فوق رأسها والنور يملأ البيت كله فدعاها إليه ومنحها حريتها. واختفت رابعة وبقيت حادثة الاختفاء في ضمير التاريخ، وكان ذلك الاغتصاب المرير السبب في التغيير الذي حدث في مجرى حياتها وسيرتها، وقد صارت رابعة بعد انفلاتها من الرق والأسر إلى حياة الغيد المتحررات، كانت تنتقم من تحررها أم شدة الكبت ولكن ما الذي بدل حياتها، فدخلت في سلك الزاهدين وهي في عنفوان العمر. ويذكر العطار الرواي الوحيد عن تلك الفترة إن رابعة اتخذت مهنة العزف



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

على الناي تسعى إلى رزقها فلم تجد غير حرفة العزف والإطراب.  
وقامت بينها وبين رياح القيسي الصوفي صلة قوية ولقد  
توسم فيها ميلاً إلى الحياة الطاهرة وطرح حياتها اللاهية.  
وهنا حدثت التوبة عند رابعة. والملكة الشعرية كانت كامنة  
فيها لما اشتغلت بالعزف والغناء. وتدفق منها ينبوع الشعر  
وانشدت..

أنت روح الفؤاد أنت رجائي  
أنت لي مؤنس، وشرفك ليزادي  
حبك الآن بغيتي، نعيمي  
وجلاء لعين قلبي الصادي.

ويتحسر الشوق في قشعريرة القلب في عبارات هلو هي  
قلقة موزعة بين الدنيا والآخرة. وتجمع كل المصادر على  
أنها كانت تقوم الليل كله تصلي، فإذا طلع الفجر هجعت في  
مصلاها حتى يسفر الفجر. وكان عصرها عصر بكائين مثل  
رياح القيسي الذي كان إذا دخل المسجد بكى. وإذا دخل  
بيت بكى. وإذا دخل المقبرة بكى. وكانت لرابعة أدعية  
تفيض باللوعة والشوق والتوسل فهتفت:  
"إلهي إذا كنت أعبدك خوفاً من النار فأحرقني بالجحيم، وإذا  
كنت أعبدك طمعاً في الجنة فأحرمني منها. أما إذا كنت  
أعبدك من أجلك فحسب، فلا تحرمني إلهي وجهك الكريم.  
وانشدت:

كأسي وخمري والنديم: ثلاثة  
وأنا المشوقة في المحبة رابعة  
فإذا نظرت على أرى إلا له  
وإذا حضرت فلا أرى إلا معه  
كم بت من حُرقي وفرط تعلقي  
أجري عيوناً من عيوني الدامعة  
كأس المسرة والنعيم يديرها

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ساقى المدام على المدى متتابعة  
نذرت رابعة نفسها لله. وحبها الوحيد هو الله. وهذا هو  
الجديد في مذهب رابعة التجرد والعزوبة.  
تقول: إني جعلتك في الفؤاد محدثي  
وأبحت جسمي من أراد جلوسي  
فالجسم مني للجلس. مؤانس  
وحيب قلبي في الفؤاد أنيسي  
قال لها ذو النون المصري: صفي لي المحبة..  
قالت - سبحان الله أنت عارفيها وتكلم بلسان المعرفة  
وتسألني عنها فقالت لها: للسائل حق الجواب فأنشدت:  
أحبك حبين: حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا  
فأما الذي هو حب الهوى فذكر شغلت به عن سواكا  
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا  
فهي تقول: ثنائية الحب - حب المذكور. وحب الذكر.  
حب الله في نفسه الحب الذي هو أهل له. وحب الله لنعمه  
وهو حب فيه متعة شخصية.  
وفي ذات يوم رأى جماعة رابعة وفي إحدى يديها نار، وفي  
الأخرى ماء. وهي تعدو مسرعة فسألوها إلى أين ذاهبة  
وما تبتغين؟  
قالت: أنا ذاهبة إلى السماء كي ألقى بالنار في الجنة،  
وأصب الماء في الجحيم فلا تبقى هذه ولا تلك. والمقصود  
أن ينظر العباد إلى الله دون رجاء ولا خوف، ذلك أنه لو لم  
يكن ثمة رجاء في الجنة وخوف في الجحيم. أفكانوا يعبدونه  
ويطيعونه؟  
وهكذا كانت رابعة قدوة العارفين. ورائدة المتصوفين  
وحين اقتربت ساعة مدتها قالت: دعوا الطريق مفتوحة فقد  
دنت منيتي..  
فانصرفوا محزونين، وحين فاضت روحها إلى خالقها سألت  
مدامهم حزناً عليها فرابعة العدوية التي ابتدعت الحب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

الإلهي في مذهب التصوف نجد ذكراها خالدة بين  
المتصوفين العارفين،  
وارحمنا للعاشقين! قلوبهم في تيميدان المحبة هائمة،  
قامت قيامة عشقهم فنفسهم أبدأً على قدم التدلل حائمة  
أما إلى جنات وصل دائم أو نار صد للقلوب ملازمة،  
وسئلت كيف رأيت المحبة؟ قالت: ليس للمحب وحبيبين،  
كيف تصف شيئاً أنت في حضرته غائب وبوجوده ذائب  
وبصحوك منه سكران وبفراغك منه ملآن وبسرورك له  
ولهان.  
فالمحبة بدولتها صارمة. في القلوب حاكمة.

## السهروردي

هو شهاب الدين بن أميرك السهروردي. كان معاصراً لابن  
رشد.

ولد السهروردي في مستهل النصف الثاني من القرن  
الثاني عشر ميلادي

تعلم على يد الشيخ - عبد الدين الجبيلي- ثم ارتحل إلى  
أصفهان ومن ثم بدأت لديه حياة التنقل والأسفار. مهتماً  
بالجماعة الصوفية، محباً للوحدة وأهدى إلى الأمير د عماد  
الدين قره أرسلان). كتاب الألواح العمادية وقسم الشيخ  
السهروردي معظم أيامه بين بلاد الروم وبلاد الشام حتى  
رحلته الأخيرة إلى حلب والتي لم يعد منها. وكان تلميذه -  
الشهرزوردي- من أشد المخلصين له وكان يرد بعنف  
الطعنات التي وجهت ضد شيخه وشرح مؤلفات استاذ  
ومنها كتاب- الشجرة الإلهية -

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

- وقد جابه السهرورديا الفقهاء والعلماء في مدينة - حلب -  
فتأمروا عليه عند السلطان- صلاح الدين - وأخبار موته  
متباينة بعضها يقول ان الشيخ مات مخنوقاً. وبعضها يقول  
أنه مات قتلاً بحد السيف وقسم آخر يقول أن الشيخ امتنع  
عن كل طعام حتى ماء.  
توفي السهروردي وهو في السادسة والثمانين والثلاثين  
عام 587هـ وأطلق عليه لقب - الشيخ المقتول - وقبره في  
مدينة حلب.  
والتهمة التي وجهت إليه هي أنه قال **الله قادر على كل  
شيء وإن شاء يخلق نبياً.** فقالوا: **إلا على خلق نبي  
فأجاب:**  
هل الاستحالة هنا مطلقة أو غير مطلقة فقالوا له: أنت كافر  
وذكر تلميذه أسماء 69 مؤلفاً. وترجمت مؤلفاته العربية إلى  
الفارسية ومنها- كتاب حكمة الاشرار.  
مقتطفات من أقواله:  
- حلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في  
السماء.  
لأنها متأصلة في الروح وفرعها عند الله تعالى وعروقها في  
النفس.  
- سموا صوفية لانهم الصف الأول بين يدي الله.  
- إذا كاشفك بحبه. لم تتلذ إلا بقربه  
- إذا غيبك عن شهودك. تجلى لك من وجودك  
مقتطفات من شعره:  
تكلم منا في الوجود عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلم

...

ووصلكم ريحانها والراح	أبدًا تحن إليكم الأرواح
ستر المحبة والهوى فضاخ	وارحمتا للعاشقين تكلفوا
وكذا دماء العاشقين تباح	بالسر إن باحوا تباح دماؤهم

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

عودوا بنور الوصل في غسق الجفا      فالهجر ليل والوصال  
مباح  
قم يا نديم إلى المدام وهاتها      فبحانها قد دارت الاقداح

...

قل للأصحاب رأوني ميتاً      فيكوني إذ راوني حزناً  
أنا عصفور وهذا قفصي      طرق منه فتخلي رهناً  
فاخلعوا الأنفس عن أجسادها      ترون الحق حقاً بيننا

...

وكان له مجلس وعظ وعلی وعظه      قبول كثير وله نفس  
مبارك. حكى لي من حضر مجلسه      أنه أنشد يوماً في  
المجلس

لا تسقني وحدي فما عودتني  
أني أشيخ بها على جلاسي  
أنت الكريم ولا يليق تكراً  
أن يعبر الندماء دور الكأس  
فتواجد الناس لذلك. وقطعت شعور كثيره وتاب الكثير

## عماد الدين النسيمي

ولد في مدينة شماخي عاصمة ملوك شروانعام 770 هـ وشروانمشهورة بتراثها الأدبي والفني لوقوعها على طريق الحرير وتزخر بالعلماء والفقهاء والشعراء لذلك وجد النسيمي الماخ الملائم لتحصيله الثقافي فتعمق في الفلسفة والفلك والمنطق والعلوم. كتب الشعر باللغات الثلاث العربية، الفارسية، التركية وترك عشرة آلاف بيت في مختلف الموضوعات. وتعرض الكثير من شعره إلى الضياع. دافع عن الإنسان. كي يستعيد الإنسان جوهره وقيمه الحقيقية وقد قال: جوهر الله مخبوء بالإنسان. وتأثر بالعقيدة الحروفية التي تمتاز بجرأة الفكر، ومواجهة قوى التسلط وتقديس الأنسان. وأصبح واحداً من دعاةها وسافر في سبيل هذه الدعوة إلى تبريز وبغداد حتى عرف باسم النسيمي التبريزي والنسيمي البغدادي وقد حذر أخاه د شاه خاندان - عن المخاطر من اشعاره ودعوته. ووصل إلى حلب بعد أن لاحقت السلطات العثمانية، فأقام

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

في مسجد قرب حمام السلطان المشرف على القلعة  
وسمي فيما بعد باسمه (مسجد النسيمي) وذاعت شهرته  
في حلب، وألقي القبض لأن دعوته إلى الحروفية أثارت  
نقمة العلماء والفقهاء. وأصدر السلطان مرسوماً بإعدام  
النسيمي وذلك بأن يسلخ جلده سبعة أيام وتقطع أعضائه.  
وكان يوم إعدامه يوماً مشهوراً، وهم يسلخونه كان ينشد  
موشحات في التوجد حتى عمل خمسمائة بيت وهو  
مبتسم. وسأله أحد خصومه:

تدعى بأنك إله فلماذا يصفر لونك عندما ينزف دمك؟  
قال: إنني شمس الحب على أفق الخلود. والشمس تصفر  
دوماً عند الغروب

وهي عبارة تماهى فيها بالحب الإلهي. ويحكى قال الذين  
أصدروا الحكم بإعدامه لعن الله تلك اليد التي يجب أن تقطع  
إذا سقطت عليها قطرة دم من هذا الزنديق، فنفرت قطرة  
دم وسقطت على إصبعه، ولما طالبه الناس بتر إصبعه لم  
يفعل فقال النسيمي وهو تحت السلخ:

- تهرب وتعيد عن الحق خوفاً من بتر إصبعك؟ ألا تعتبر  
من الشاعر المسكين الذي يسلخ جلده ولا يصيح. ثم لفظ  
أنفاسه أمام أسوار قلعة حلب. فانطوى واحد من أكبر  
فلاسفة الحروفية. وعلم من أعلام الشعراء الإنساني  
الصوفي. وتحولت سيرة حياته إلى أسطورة في الشجاعة  
والحب.

مقتطفات من أقواله:

- أيتها الوردة، أقبلني من الفردوس في مجدك اليافع،  
ابتسمي ثانية. ونوري الينبوع الطهور. ملك العالم جمالك  
الأسر فمن ينكر بأنك لست روح الله أمام أعيننا؟  
- عمل الله عجينة من الماء والتراب يوصاغ منها الإنسان  
مرآة الكون وسماها حباً. عاشقاً. ومعشوقاً واندمج الحب  
في الوحدة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

- إذا كنت سهران فدع عينيك تشعان بالمعرفة.
- إذا كنت رزيناً فعليك أن ترشف خميرة الحب
- إذا حكمت الآخرين فعليك أن تتخلى عن أنانيتك
- العمر مثل الثلج تحت شمس تموز
- في الحب صرت طريقة المدنف
- منحت قلبي بارادتي لدوامه الحب
- القلب عرش الرحمة. والروح هي الكلمة.
- جفونها تركت في قلبي جراحاً عميقة. وبحثطويلاً
- عن بلسم لجروحي الميتة. فلم أحد غير شفيتها تجيدان فن الشفاء.
- الصديق المنفرد يكسب الفجور
- المحبوبة عندهم شأن الشعراء الصوفيين في فارس.
- ترق حتى تصير فكرة. روحاً. نوراً مطلقاً وتكاثف حتى تصير
- حباً رائع الجمال ويتخذ من الغزل كأسلاً تملأ بخمرة الأفكار.
- كنز الله الحقيقي المخبوء هو الإنسان.
- في هذا العالم الذي يسكره الحب يقول: أنا الحق. لقد
- شفق المنصور (الحلاج) بنشوة السكر.
- الحب مبتهج بخمرة الله.
- الحب. أسكرني في الوليمة الأزليقوأنا الآن أرى العالم
- أمام عيني في نشوة سكرى.



## أبو يزيد البسطامي

هو طيفور بن عيسى بن شروشان. ويقال كان في محلة بديزان مسجد صغير فبنى صومعة له يأويها ويسكنها. وكان يسقي أساتذة الجامع ولقب بطيفورالسقا. ويقال أن والدته ولدت في محلة (بريدان). ونسب إليها وأقام في بسطام. كان أبي يزيد يقول:

"الهي لا تجعلني عالماً ولا زاهداً ولا متغرباً. إنما أهلني  
لشيء من أسرارك ومعانيك.

سئل: بأي شيء وجدت المعرفة؟ قال: ببطن جائع، وبدنٍ  
عاري

وقال: أهل الحج يطوفون حول البيت فيطلبون البقاء. وأهل  
المحبة يطوفون حول العرش ويطلبون اللقاء.  
وقال: الجنة لاحظ لها عند المحبين وأهل المحبة لمحجبون  
لمحبتهم.

وقال: الجنة اثنتان. جنة النعيم. وجنة المعرفة

وجنة المعرفة أبدية. وجنة النعيم مؤقتة

ويقول: جاء سيل عشقه فأحرق الماء دوني

من أشعاره

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل أنسى فأذكر ما نسيت

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

شربت الحب كأساً بعد كأس فما نغد الشراب ولا رويت

أشار سري إليك حتى فנית عني ودمت أنت  
محوت اسمي ورسم جسمي سألت عني فقلت أنت  
فأنت تلسو خيال عيني فحيثما درت كنت أنت

سقاني شربة أحيا فؤادي بكأس الحب من بحر الوداد  
فلولا الله يحفظ عارفيه لهام العارفون بكل وادي

وقال: جزت بحراً وقف الأنبياء بساحله  
وحكي عن أبي يزيد البسطامي:  
بينما هو واقف على جبل عرفات إذ قالت له نفسه: من  
مثلك يا أبا زيد حججت خمساً وأربعين حجة. وقرأت عشرة  
آلاف ختمة فنادى في الحال من يشتري مني خمسة  
وأربعين حجة برغيف خبز؟ فقال رجل: أنا  
فأخذ منه الرغيف وألقاه إلى كلب جائع.

وروي: همت في البادية على وجهي لا أكل ولا أشرب ولا  
أنام فمررت بدير فيه راهبة فقلت لها: ها هنالما كان طاهر  
أصلي  
فقالت: طهر قلبك وصل حيث شئت.

وقال:  
أما من يحبه الله عز وجل. أعطاه سخاوة كسخاوة البحر.  
وشفقة كشفقة الشمس. وتواضعاً كتواضع الأرض.

وقال: بعدك مني هو قرباك  
أخذتني عنك بمعناك  
لا تفرق الأوصاف بيننا  
إن قيل لي يا كنت إياك.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

وقال:

قالت: لطيف خيال زارها ومضى  
بالله صفة ولا تنقصولا تزد  
فقال: خلقتة لو مات من عطش  
وقلت عن ورود الماء لم يرد  
قالت: صدقت الوفا في الحب عادته  
يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

أبو بكر الشبلي

اسمه - دلف هو خرساني الأصل. بغدادى المنشأ والمولد.  
مولده - سامراء - وقد عاش سبع وثمانين عام توفي 334هـ

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

دفن في مقبرة الخيزران. وقبره ظاهر اليوم.  
الشبلي كان أميراً وأعلن توبته فقال:  
- كنت مالي بلدتكم فاجعلوني في حل - وكان عالماً  
فقيهاً صحب الجنيد والتقى بالحلاج في سجنه.  
ويعرف بالتصوف بأنه - التآلف والتعاطف. وتوغل في الحب  
والمعرفة. فقال:  
- أهل الحق طائفة إليه بأجنحة المعرفة. مستبشرة إليه  
بموالة المحبة -  
نسي في أحد المرات وهو في تواجده موعد الصلاة فنبههم  
إليه الحاضرين فقال:  
نسيت اليوم من عشقي صلاتي  
فلا أدري غداتي من عشائي  
فأنشد:  
ذكرتك لأنني نسيتك لمحة  
وأيسر ما في الذكر ذكر لساني  
وكدت بلا وجد أموت من الهوى  
وهام علي القلب بالخفقان  
فلما رأي الوجد أنك حاضري  
شهدتك موجوداً بكل مكان  
وكان الشبلي يحرض الناس على سكرة الحب الإلهي وهي  
سكرة الغناء الذاتي المطلق بالله المطلق.  
وسئل متى تستريح فأجاب:  
إذا لم أر له ذاكراً غيري  
سأل عشاب قائلاً: يا أبا بكر لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله  
أجاب: استحي أن أوجه إليه اثباتاً بعد نفي  
والشبلي كان يراوح بين الشطح وبين الاتحاد بالمستحيل،  
ويسيطر عليه الغزل الصوفي مرموزاً له بالانثى..  
تحسبني حياً وإنني لميت  
وبعضي من الهجرات يبكي على بعضي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

لقد فضلت ليلي على الناس كالتي  
على ألف شهر فضلت ليل القدر  
فيا حبها زدني حوى كل ليلة  
وباسلو الأيام موعدك الحشر

...

وأنشد: قال سلطان حبه  
أنا لا أقبل الرشا  
فسلوه فديته لم  
قتلي تحرشا

ولقاه بالحلاج كانت نقطة التحول الكبير والانعطاف الهام في  
مسيرة حياته الروحية لأنعراى فيه المبشر بالبهاء الإلهي.  
والشيلي حضر مأساه الحلاج وكان مذهولاً به دهشاً.  
وألقى عليه وردة يرجمه  
وقال: أنا والحلاج في شيء واحد. فخلصني جنوني وأهلكه  
عقله

وينشد:

ذكر المحبة يا مولاي أسكرني  
وهل رأيت محباً غير سكران

وينشد:

وعينان قال الله كونافكانتا  
فعولان بالألبابما تفعل الخمر.  
وينشد: رأني فأوردني عجائب لطفه  
فمت وقلبي بالفراق يذوب  
فلا غائب عني فأسلو بذكره  
ولا هو عني معرض فأغيب

## سمنون بن عمر – المحب

كان يتكلم في المحبة بأحسن كلام. وهو من كبار مشايخ العراق.

ينشد: أحن بأطراف النهار صباية  
وفي الليل يدعوني الهوى فأجيب  
وأيامنا تغنى وشوقزائد

كأن زمان الشوق ليس يغيب  
قال الهاشمي: كنت في بيت المقدس: وكان برد شديد  
وعلي جبة وكساء- الثلج يتساقط، فإذا شاب ما رفي  
الصحن عليه خرقتان فقلت: لو استترت ببعض هذه الأورقة  
فتقيك من البرد فقال: يا أخي..  
ويحسن ظني أنني في فنائه  
وهل أحد في كنه يجد القرا.  
وقال – سمنون المحب:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

لا يعبر عن الشيء إلا بما هو أرق منه ولا شيء أرق من  
المحبة فيم يعبر عنها؟.

وأنشد: أنت الحبيب الذي لا شك في خلدي  
منه. فإن فقدتك النفس لم تعش  
يا معطشي بوصول، أنت واهبه  
هل لي فيك راحة، إن صحتُ واعطشي  
وأنشد:

أمسى بخدي للدموع رسوم  
أسفاً عليك، وفي الفؤاد كلوم  
والصبر يحسن في المصائب كلها  
الا عليك، فإنه مذموم

وينشد:

أحن بأطراف النهار صبابة  
وفي الليل يدعوني الهوى فأجيب  
وأيامنا تغني وشوقي زائد  
كأن زمان الشوق ليس يغيب  
وسئل عن الفقير الصادق فقال:

الذي يأنس بالعدم. كما يأنس الجاهل بالغنى.  
ويستوحش من الغنى. كما يستوحش الجاهل من الفقر

وينشد:

وكان فؤادي خاليًا قبل حبكم  
وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح  
فلما دعا قلبي هواك، أجابه  
فلمست أراه عن فنائك يبرح  
فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل  
فلمست أرى قلبي لغيرك يصلح

وينشد:

بكيت، ودمع العين، للنفس راحة  
ولكن دمع الشوق يُنكى به القلب  
وذكرى لما ألقاه ليس بنافعي  
ولكنه شيء يهيج به الكرب  
فلو قيل لي: ما أنت قلت: معذب  
بنار مواجيد يُضرمها العتب  
بليتُ بمن لا أستطيع عتابه  
ويعتبنني حتى يقال لي الذنب



## الجنيد

ابتسم أمير المؤمنين وهو يرى أهل بغداد يحفون بركبه،  
ويتدفقون لمشاهدته بوسرت في أعطافه نشوة وهوسيد  
بغداد ومن زقاق ضيق برز رجل أشهب، مديد القامة، في  
وجهه إشراق ونور.

فأطل على ركب أمير المؤمنين، فتحركت أمواج الرجال.  
وانفرط العقد الذي يحف بالخلافة، وتركزت أبصارهم على  
الرجل الخاشع

غضب أمير المؤمنين وألوى بعنان جواده عائداً، وقاد الجنيد  
الموكب في بغداد إلى مسجد بغداد يهدي الناس، وكان إمام  
عصره ونسيح كله علم وعبادة. والذي بكى من خشية الله  
حتى ذهبت جفونه وبكى بقلبه حتى يسمح منه الأنين.  
وكان يستغرق في حبه لربه حتى تأخذه الغاشية فيقولون:  
ذهب إلى ربه. وكان يلقب بسيد - أهل التصوف - ومجالسه  
في بغداد جامع لكل عشاق الأدب يحضرون مجالسه.  
ومرة غضب شاعر الخليفة من الجنيد ووسوس له باراقة  
دمه.

ويقول الخليفة في مرارة: لقد سحر الجنيد أهل بغداد، ومن  
لي بجيش، يقاتل أتباع الجنيد؟.

وكان الجنيد يؤمن أن التصوف وقوة عليا - لا يرقى إليها إلا  
الصفوة وعبر عن التصوف بقوله (جماع الخلق). لان  
التصوف هو صفاء المعاملة مع الله. والتعزف من الدنيا.  
وقال: إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم. وابدأه بالرفق فإن  
العلم

فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه.  
دخل عليه - الشبلي - متواجدا فقال الجنيد:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

- إن كنت ترى نفسك في حضرة الله فهذا سوء أدب، وإن كنت خارجها فبماذا ظفرت حتى تتواجد؟..  
فهتف الشبلي - التوبعيا إمام  
وقال الجنيد: أنا والحلاج في شيء واحد..  
خلصني جنوني وأهلكه عقله  
وينشد:  
مشى رجال باليقين على الماء  
ومن مات على العطش أفضل منهم يقيناً  
...  
قد كان في مشرب يصفو برؤيتكم  
فكدرت عيد الأيام حين صفا

## ذو النون - المصري

في بلاد - النوبة- نشأ ثوبان بن إبراهيم - حار القلب. ثائر الروح وعلمته الصحراء التأمل والتفكير في أسرار الكون، وراح ينشد الهوى في الصحراء، ويقلب بصره في كتاب الكون، وأرشد هذا الكتاب إلى صحيفة إلهية تقرأ بالقلوب ومنها الحقائق. وكانت في تكوين رجل التعبد الإلهي العالمي الذي عرفه التاريخ باسم- ذو النون المصري. علمه كتاب الكون أن هناك قوة عليا مدبرة، رحيمة. والروح البشرية انبعثت من هذه القوة.  
ويحدثنا قائلاً: كنت يوماً على شاطئ النيل فرأيت عقرباً، فأردت قتلها  
فهربت وركبت على ظهر ضفدعة فقامت بها حتى وصلت إلى الجانب الآخر فنزلت عن ظهرها. وإذا برجل نائم وثعبان قد أقبل ليلدغه فأسرعت العقربة نحو الثعبان فلدغته

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

فتقطع. فأيقظت الرجل فقام مذعوراً فأخبرته فأطرق ثم قال: - يا رب هذه حكمتك. ورحمتك من عصاك، فكيف بمن أطاعك؟..

فوقع في قلبي أمر عظيم من هذا الخالق الرحيم واهب الحياة.

وتناول - ذو النون - قيثارة العبادة من ذرات الرمل - وقمم الجبال ولمع الماء. وأسرار الكون، وحمل قيثارتهمها جراً يسمع الدنيا أروع تسابيح الايمان يوسار مع النيل إلى مصر. وهبط ليلاً مدينة فسمع صوتاً فقال: ملهذا؟ قالوا: عرس. ثم سمع بجانبه بكاءً ونواحاً فقال: ملهذا؟ قيل: فلانمات فقال: أعطى هؤلاء فما شكروا..

وابتلى هؤلاء فما صبروا..

وعاد إلى الصحراء يتعبد الله في أجواء حرة، وينشد المعرفة.

واختلى - في جبل المقطم - وصادف رجلاً هناك ومكث عنده أربعين يوماً ثم سأله: فيم النجاة؟ قال: في التقوى والمراقبة قلت: زدني قال: ان لله عبادةً حالفوه فسقاهاهم كأس محبتهم فهم في شرابهم عطاش. وفي عطشهم أروياء. فانطلق فاراً من الخلق ينشد هذه الكأس - كأس المحبة والمعرفة.

واتخذ ذو النون - المحبة - غايةً وهدفاً وطعاماً وشراباً. وطال به التطواف وحمل ذو النون قيثارتهم وأخذ يسمع الناس أحياناً الايمان مبشراً بدين المحبة لأن القلب إذا أحب أقبل طائعاً. فأعرض عما لا يرضي الحبيب.

وينسب إليه خوارق العادات. ويقرر ابن عربي حقيقة من أخطر حقائق الروح الانساني - الكون البشري مملوء بالقوى المعلومه والمجهولة والله يودعها حيث يشاء، وقد اختص أولياءه بهذه القوى" وذو النون كان يملك قوة روحية أخرى هي قوة السلب والوجد في صوته، وعرف في البيئة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

الصوفية من القوالين، وللصوت البشري أسرار وأسرار  
ورغم تلك الهالة التي أحاطت به ظل حينه إلى الفرار من  
الناس الهالة التي أحاطت به ظل حينه إلى الفرار ومن  
الناس يلازمه. وهو من أوائل الذين نشروا السماع في  
مستهل القرن الثالث الهجري.  
وحكي أن ذو النون لما دخل بغداد دخل عليه جماعة معهم  
قوال فاستأذنه أن يقول شيئاً. فأذن له فأنشد:  
صغير هواك عذبي فكيف به إذا احتنكا  
وأن جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا  
أما ترثي لمكتب إذا ضحك الخلي بكا  
فطاب قلبه، وقام وتواجد وسقط على جهته والدم يقطر  
منها والسماع في الاسلام بدعة وذو النون من أوائل من  
نشروه لان الصلاة تقتصر على تلاوة آيات القرآن الكريم  
بصوت خفيض ليس فيه أي تنغيم موسيقي. أما الانشاد  
الديني فيه نوعاً من الموسيقى الصوتية ولما احتضر قيل له  
ما تشتهي قال: ان اعرف قبل موتي ثم هتف لا  
تشعلوني.. وهتف صوت من فراشه:  
- ولسوف يعطيك ربك فترضى -  
للصوفية سر للمحبة

الصوفية انشودة ألحانها محبة، وأوتارها أشواق. والهامها  
وجد. وسبحتها استغراق كامل في جمال الملكوت الأعلى.  
وأحاديثها عاطفة. ومزامير. وألحان. وهدى. فالحياة  
لديهم محب ومحبوب، وهم دائماً في فيوض، وأشراق، ان  
الله محبة. والدين محبة. والحياة محبة. وللسر محبة. وكل  
شيء في الوجود طابعه وصانعه- الحب.  
والصوفية بهذا الحب يرتقون فوق الحياة، ويسمون بالعلاقة  
بين الخالق والمخلوق، ويصيغون الوجود صياغة جديدة  
ورفيعة. وحياتهم كلها منائر ومناير تهتف بالرحمة. وتلهج

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

بالإنسانية. وتتطلع في شوق. ولهفت إلى الجمال الأسمى.  
والكمال الأعلى.

يقول ابن القيم في المحبة.

- الحب يفسر جميع مشكلات الوجود، ويهدي إلى الغاية والهدف من الحياة. وإن المحب لمن يحب مطيع.  
أما الحب عنده ابن عربي- وهوفيلسوف الصوفية يرى أن العالم خلق ليخدم حبه إلى الله. وذلك هو سر الحياة، فالحب سببه الجمال وهو الله. وللحب آيات وشهود وشروط. ويقول كلما ازدادت المشاهدة ازداد الحب. لأن الاشتياق يهيج اللقاء.

- ومن عجب أني أحن إليهم

وأسأل شوقاً عنهم وهم معي

وتبكيهم عيني وهم في سوادها

وتشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي

يقول - اليسر أو ليفرلودج -

صلاتنا بالروح هي الصلة الفطرية الأولى.

والذي يحركنا ويدفعنا إلى الأعمال العظيمة التي أتانا

الانسان والتي يبشر بها مستقبله هو- الروح - لا هذا

الغلاف المادي الجسدي

في الامثال الصينية العريقة في القدم:

إذا لم تستطيع أن تنظر أمامك لان مستقبلك مظلم ولا

خلفك لان ماضيك مؤلم. ما رفع بصرك إلى فوق تجد الراحة

والسكينة.

فالتصوف مذهب عالمي يتلون بلون عقائد وتفكير كل أمة  
والقمة العليا هي التأمل. وتكون في الحب المطلق الإلهي

والصوفية بهذا الحب يحلون مشكلة الفلسفة الكبرى

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

التي تتساءل في ضباب الشك والحيرة عن الحياة،  
أهدافها وغايتها.

والصوفية قوم صفت قلوبهم من كدورات البشرية  
وتحرروا من شهواتهم.  
والصوفية من ذوي المشاعر الرقيقة ونجد ذلك في  
اشعارهم

فالتصوف تمكن فطري يوجه النفس الصادق إلى أن تجاهد  
حتى تحظى بمذاقات الوصول والاتصال بالوجود المطلق،  
والصوفية يعدون أقرب الناس إلى أرباب الفنون.  
وللتصوف طقوس منها:

1- المجاهدات. والتوبة. والزهد. والصبر. والرضا.

والافتقار والخلو والذكر. والوحدة. والصحة.

2- المذاقات - الحب النقاء. المبادلة. الملازمة.

رهاق الحس. الفناء.

ج الفناء يقسم إلى السكر. الشطح. زوال الحجب. غلبة  
الشهود

هـ المعرفة - وهي غاية الغايات من هذه الرحلة الشاقة  
المضنية.

شطح الشطح. هو حالة الفناء الصوفي في المطلق.  
والشطح لفظ مأخوذ من الحركة. لانها حركة أسرار  
الواحدين إذا قوي وجدهم ينطلق الصوفي من أرضية الحب  
ليخلق في سماء السكر. والوجد في شطح. وعمالقة  
الشطح هم.

البسطامي. الحلاج. الشبلي.

يسكن الصوفي ذات الخالق وينطق باسمه.

من شطحات البسطامي:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

- إن الجنة لا خطر لها عند المحب لأنه مشغول بمحبته.
- غلظت في أربعة أشياء.
- توهمتالي - أذكره. وأعرفه. وأحبه. وأطلبه فلما انتهيت رأيت:
- ذكره سبق ذكري. معرفته تقدمت معرفتي. محبته أقدم من محبتي. وطلبه لي أولاً حتى طلبته.
- كنت اطوف حول البيت أطلبه.
- فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي.
- سبحاني.. سبحاني ما أعظم شأنني. وحسبي من نفسي حسبي.
- يا ابا يزيد، إنهم كلهم خلقي غيرك.
- فقلت: فأنا أنت وأنت أنا.

### من شطحات الحلاج..

- يعتبر الحلاج على رأس الهرم من كل من تحدثوا عن الشطح
- لقد أحب الحلاج - الله. الانسان. العالم.
- فهو عاشق من طراز فريد في عصره. عاشق عبر عن عشقه بصوت مرتفع ولم يكتم حبه. وهو مبدع نظرية الحلول في التصوف. أي أن الله حل به كقوله:
- مزجت روحك في روحك كما  
تمزج الخمرة بالماء الزلال  
فإذا مسك شيء مسني  
فإذا أنت أنا في كل حال
- رأيت ربي بعين ربي فقال: من أنت؟ قلت: أنت
- يا أهل الإسلام أغيثوني، فليس يتركني ونفسي فأنس بها.
- وليس يأخذني من نفسي فأستريح منها. وهذا دلال لا أطيعوا نشد:
- أدنتيني منك حتى ظننت أنك أني  
وغبت في الوجد حتى أفنيتني بك عني

وإن تمنيت شيئاً فأنت كل التمني  
- الصوفي اثر الله في الأرض.  
- ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه.  
- من رأني فقد رأى الحق.  
- حجبهم بالاسم فعاشوا. ولو أبرز بهم علوم القدرة  
لطاشوا

ولو كشف لهم الحجاب عن الحقيقة لقاتلوا.

### من شطحات الشيلي..

محنتي فيك إني لا أبالي بمحنتي  
يا شفائي من السقام إن كنت علتي  
قربكم مثل بعدكم فمتى وقت راحتي؟

...

وتحسني حياً وإني لميت  
وبعضي من الهجران يبكي على بعضي  
وإني وإياه لفي الحب صادق  
نموت بما نهوى جميعاً ولا نبدي

..

جرى حبك في قلبي  
كجري الماء في العود.

وينشد:

لها في طرفها لحظات سحر  
تميت بها وتُحيي من تريد  
وتسبي العالمين بمقلتيها  
كأن العالمين لها عبيد  
ألاحظها فتعلم ما بقلبي  
وألاحظها فتعلم ما أريد

...



## أقوال صوفية

الحب هو التصوف والتصوف هو الحب:  
والصوفي مسافر في طريق روعي نحو ملكوت السماء  
بعيداً عن الأرض.  
يقول جلال الدين الرومي:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

الحب دواء كبريائنا وغرورنا بأنفسنا. والطبيب لضعفنا  
وهو الكحل الذي تكتحل به عين القلب فينجلى بصرها

- ان العالم صورة ومعناها العاشق قول فارسي  
يقول الحلاج: العشق صفة من صفات الذات الالهية.  
العشق نار نور أول نار. وكانت تتلون في الازل بكل لون

...

- يقول الجنيد لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول  
أحدهما للآخر يا أنا.  
يقول حافظ الشيرازي - لن يموت أبداً من يعيش قلبه من  
العشق

- روى الشبلي قصة من العشق:  
ان متحابين ركبا بعض البحار مسقط أحدهما في البحر  
وغرق، فألقى الآخر نفسه في البحر فأنقذا. فقال الأول  
لصاحبه أما أنا فقد سقطت في البحر. أنت ولمرميت نفسك  
قال له:

"أنا غائب بك عن نفسي. توهمت إني أنت.  
يقول ابن سبعين المري:  
إن الفلاس فقروا أن الغاية المثلى هي التشبه بالله. بينما  
الصوفية يدأبون على الفناء في الله.

...

وقال ابن عربي:  
داؤك فيك وما تعلم داؤوك فيك وما تبصر  
أتحسب نفسك جرماً صغيراً وفيك انطوى العالم الأكبر  
قال النفري:

أهل المؤانسة أهل السر  
أهل السر أهل الحب  
أهل الحب أهل الخطر

## شذرات صوفية

عذب.. فلم يبعد قلب  
يقول للسقم - مهلاً (النوري)

...

من لم يبتوالحب حشو فؤاده  
لم يدرك كيف تُغتت الاكباد (أبو عبد الله بن الجلاء)

...

يا من بعد الوصال ذنباً كيف اعتذاري وولي ذنوب  
إن كان ذنبي إليك حبي فإنني منه لا أتوب (أبو عبد  
الله المغربي).

سئل - طاهر المقدسي ويسمى (حبر الشام)  
لم سميت الصوفية بهذا الاسم؟  
لاستتارها عن الخلق بلوائح الوجد، وانكشافها بشمائل  
القصد.

وأنشد:

أراعي النجوم. ولا علم لي بعد النجوم يجنب الظلام  
وكيف ينام فتى لا ينام إذا نام عنه عيون الحمام  
أسير يسير إليه هواه فيضحى الأسير قتل الغرام

...

ليكن لك قلب ساكن. وكف فارغة. وتذهب النفس حيث  
شاءت

وأنشد:

برح الخفاء، وفي التلاقي راحة  
هي يشتفى خل بغير خليله؟  
( ابراهيم الخواص )

...

ينوي العتاب لعمن قبل رؤيته  
فإن رآه فدمع العين مسكوب  
لا يستطيع كلاماً حين يبصره  
كل اللسان وفي الاحشاء تلهيب (الصبحي).  
ما بال الانسان يحتمل من معلمه ما لا يحتمل من أبويه؟  
فقال: لأن أبويه سبب حياته الفانيه  
ومعلمه سبب حياته الباقية ... (أبا بكر بن طاهر).

إن الله خلق سبع سموات في كل سماء خلق وجود  
فطاعة أهل السماء الأولى - الخوف والرجاء  
وطاعة أهل السماء الثانية- الحب والحزن  
وطاعة أهل السماء الثالثة- المحنة والحياء  
وطاعة أهل السماء الرابعة- الشوق والهيبة  
وطاعة أهل السماء الخامسة - المناجاة والإجلال  
وطاعة أهل السماء السادسة - التعظيم  
وطاعة أهل السماء السابعة- على المنقوالقرمة  
وأنشد:

لخاني العاذلون فقلت: مهلاً  
فإني لا أرى في الحب عارا  
وقالوا: قد خلعت فقلت: لسنا  
بأول خالغ خلع العذرا  
( بنان الحمال )

...

حرس قلبى عشرين سنة. ثم حرسنى قلبى عشرين  
سنة. ثم وردت حالة صرنا فيها محروسين جميعاً.  
وأنشد:

من تجرع كأس الشوق يهيم هياماً

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

لا يفيق إلا عند المشاهدة واللقاء  
فإن الحب لا يترك صاحبه يهدأ  
بل يزعمه في الدنو والبعو واللقاء والحجب  
(الينسابوري).

هناك - موت أبيض. وموت أسود. وموت أحمر. وموت أخضر  
الموت الأبيض الجوع - الموت الأسود احتمال أذى الناس.  
الموت الأحمر مخالفة النفس الموت الأخضر - طرح الرقاع  
بعضها على بعض  
... (حاتم الأصم)

شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة.  
شجرة الغفلة تسقى بماء الجهل  
وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة.  
وشجرة المحبة تسقى بماء الانفاق والمراقبة والايثار  
... (الطوسي)

رأيتك يدنيني إليك تباعدي  
فباعدت نفسي لا ابتغاء التقرب  
... (الدينوري).

فسرك من لحظي هو الوجد كله  
وصحوك من لفظي يبيح لك الشربا  
(الروذباري).

...  
لقد أعيلا الأطبة ما دوائي  
وعندك يا عزيز - دواء دوائي.  
ودوائي نظرة فيها شفائي  
شفائي في لقائك يا مناتي  
... (المقري)

المحبة إذا ظهرت افتضح فيها المحب  
وإذا كتمت قتلت المحب كمدا  
(الثغري).

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

صبر المحبين.. أشد من صبر الزاهدين  
(ابن معاز).

وانشد أحدهم:

تركت هوى ليلي وسعدى بمنزل  
وعدت إلى مصحوب أول منزل  
ونادتني الأشواق مهلاً فهذه  
منازل من تهوى رويدك فانزل

...

مقامك من قلبي هو القلب كله  
فليس لشيء فيه غيرك موضع

....

هب أنك لا تخاف. ويحك ألا تشتاق؟  
شاطر سخي، أحب إلي من قارئ لثيم  
(بشر الحافي).

...

إذا أراد الله بعد خيراً، فتح عليه باب العمل، وأغلق قلبه باب  
الجدل

- إذا أراد الله بعد شراً. أغلق عنه باب العمل. وفتح عليه  
باب الجدل

...

- يم تخرج الدنيا من القلب؟

قال: بصفاء الود. وحسن المعاملة.

- المحبة ليست من تعليم الخلق

إنما هي من مواهب الحق.

(معروف الكرخي).

قال ابن عربي:

لست أنا ولست هو فمن أنا ومن هو

فياقل أنت أنا ويا أنا هل أنت هو

....

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

إذا تجلى الحبيب بأبي عين، تراه  
بعيني، لا يعنيني، فما يراه سواه.

رموز

- خصت الأربعين بالذكر في قول الرسول الكريم:  
- من أخلص لله أربعين صباحاً، ظهرت ينابيع الحكمة  
من قلبه على لسانه".

...

- السيد المسيح صام أربعين يوماً وليلة.

...

- خص الله تعالى الأربعين بالذكر - في قصة موسى  
عليه السلام.

أمر الله موسى أن يصوم ثلاثين يوماً، فلما تمت الثلاثون ليلة  
أنكر خلوف فمه فتسوك بعدد خرنوب فقالت له الملائكة:  
- كنا نشم فيك رائحة المسك فأفسدتك بالسواك -  
فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام. ولم يك صوم موسى  
ترك الطعام بالنها، وأكله بالليل، بل طوى الأربعين من غير  
أكل

...

والله تعالى من التراب يكون آدم وأربعين صباحاً خمّر طينه

...

العبد عليه أن يزهر في الدنيا ويتجافى عن دار الغرور إلى  
دار الخلود، ولا يظفر بالحكمة إلا بعد الأربعين.

...

داوود عليه السلام لما ابتلى بالخطيئة خرّ ساجداً لله أربعين  
يوماً وليلة حتى أتاه الغفران من ربه.

...

قوت الخلوة لمدة أربعين يوماً أن يقنع بالخبز والملح

...

## بعض ماروي

إبراهيم الخليل حين ألقى في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عرياناً، فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وألبسه إياه ولما مات ورثه اسحق. فلما مات ورثه يعقوب، ثم جعله في عنق يوسف فكان لا يفارقه. ولما القي في البئر عرياناً جاءه جبريل فكان عليه التعويد فأخرج القميص منه وألبسه إياه

...

داود عليه السلام كان حسن الصوت بالنيابة على نفسه وتلاوة الزبور حتى يجتمع الانس والجن والطير لسماع صوته ويقال أعطي مزموراً من مزامير آل داود.

إذا زاد الله في الولي ثلاثة أشياء زاد منه ثلاثة أشياء  
إذا زاد جاهه زاد تواضعه وإذا زاد مالعه زاد سخاؤه.  
وإذا زاد عمره زاد اجتهاده  
لما عصي آدم بكى عليه كل شيء في الجنة إلا الذهب والفضة.

فأوحى الله تعالى إليهما: لم لا تبكيان على آدم؟ فقالا:  
ما كنا نبكي على من يعصيك، فقال: وعزتي وجلالي  
لأجعلن قيمة كل شيء بكما. ولأجعلن بن آدم خادماً لكما



## حافظ الشيرازي وعمد الخيام

مزجا الخمرة الإلهية بالخمرة الأرضية. ووجه المحبوب السماوي بوجه المحبوب الأرمني. والحانة مجاورة للمسجد.

ولم تكن مفردات الغزل والخمرة والطبيعة وحداها هي المعبرة عن أفكارهم وأحاسيسهم، إنما كانت موروثات كثيرة من الحكايا والاساطير وقصص الحب ورموز الديانات الأخرى

قال الرسول الكريم في مجلسه..

هل فيكم من ينشدنا؟ قال بدوي.. نعم وأنشد:

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقبي  
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

فتواجه الرسول وتواجه الأصحاب معي حتى سقط رداؤه عن منكبيه فقال معاوية: ما أحسن لعبيكم يا رسول الله.

فقال الرسول: يا معاوية قليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب

...

دخل رجل على الرسول وعنده قوم يقرءون القرآن. وقوم

ينشدون الشعر. فقال يا رسول الله: قرآن وشعر؟

فقال: من هذا مرة. ومن هذا مرة

والنابعة الجعدي كان ينشد الشعر عند الرسول فيقول له:

- أحسنت يا أبا ليلي...-

وعاش أكثر من مائة عام وكان أحسن الناس شعراً. وكان

الرسول يضع له منبراً في المسجد. يهجو الذين يهجون

الرسول

...

المريد - الذي مات قلبه عن كل شيء دون الله.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

فيريد الله وحده. ويريد قربه. ويشتاق إليه

- نقل أن بعض المتصوفة يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها لأنه في حال وجد.
- وأن البعض عند السماع أخذ شمعة فجعلها في عينيه فقال أحدهم أنظر.. رأيت ناراً ونوراً يخرج من عينيه يرد ناراً بالشمعة.
- وأن بعضهم عند السماع يمشي على الماء. وبعضهم يرتفع في الهواء.
- من أدب القرآن:  
من قتل نفساً ظلماً فقد قتل الناس جميعاً

وكذلك من اتهم نفساً ظلماً فكأنماتهم الناس جميعاً

### حكاية أبي يزيد مع الراهب

- ذهب إلى بلاد الروم وأضاف عند راهب، وبقي يتعبد ربه هناك.
- والراهب يأتيه كل يوم بالأكل والشرب مدة شهر. فلما كان تمام الأربعين دخل عليه الراهب وقال له: قم آتى يوم العيد. وطلب منه أن يلبس برنسا ويشد ورطه بالزنار. وتوجه معه وقد حضر ألف راهب وسأله كبيرهم بعد أن اكتشف أمره وأخذ الامان بعض الأسئلة.
- قال له:
- أخبرني عن واحد ماله ثان. وثان ماله ثالث. وثالث ماله رابع ورابع ماله خامس. وخامس ماله سادس. وسادس ماله سابع وسابع ماله عثمان وثامن ماله تاسع. وتاسع ماله عاشر. وعاشر ماله حادي عشر. وحادي عشر ماله ثاني

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

عشر. وثاني عشر ماله ثالث عشر فقال أبو يزيد  
البسطامي:  
- أما الواحد. هو الله.  
أما الثاني: هو الليل والنهار  
أما الثالث: هو الطلاق ثلاث مرات.  
أما الأربعة: التوراة. والانجيل. والزبور. الفرقان  
الخمسة: الصلوات الخمس  
الستة: الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض  
السبعة: السموات السبع  
الثمانية: حملة العرش يوم القيامة.  
التسعة: مدة حمل المرأة للمولد  
العشرة: الكرام البررة  
الحادي عشر: أخوة يوسف عليه السلام  
الثاني عشر: السنة.  
فقال له الراهب: صدقت. أخبرني: عمن خلق من الهواء  
ومن حفظ في الهواء. ومن هلك في الهواء؟.  
أجابه.. خلق من الهواء - عيسى عليه السلام  
حفظ في الهواء - سليمان عليه السلام  
هلك في الهواء. قوم عاد  
قال الراهب - صدقت أخبرني: ممن خلق من الخشب.  
وحفظ في الخشب وهلك من الخشب.  
أجابه: خلق من الخشب - عصا موسى  
حفظ في الخشب: نوح  
هلك في الخشب: زكريا  
قال له الراهب: أخبرني عمن خلق من النار وحفظ في النار  
وهلك في النار  
أجابه: خلق من النار ابليس حفظ في النار إبراهيم الخليل.  
هلك بالنار أبو جهل.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

قال له الراهب: أخبرني عن خلق من الحجر: وحفظ في الحجر. وهلك في الحجر أجابه: خلق من الحجر ناقصاً صالح. حفظ في الحجر - أهل الكهف

هلك بالحجر أصحاب الفيل

قال له الراهب: في الجنة أربعة أنهار ونهر من عسل: ونهر من لبن ونهر من ماء ونهر من خمر. وكل يجري في مجرى ولا يختلط هذا بذاك، فهل له مثال في الأرض؟

قال له: ابن آدم في رأسه أربعة أنهار

ماء أذنيه. ماء عينيه. ماء أنفه. ماء لسانه. حلو

قال له الراهب: أخبرني عن أهل الجنة فإنهم يأكلون

ويشربون ولا يتغوطون فهل له مثال في الدنيا؟

أجابه: نعم الجنين في بطن أمه. ولوتغوط في بطن أمه

لمات

فقال الراهب: أخبرني عن شجرة الجنة اسمها (طوبى)

ليس في الجنة قصر ولا غرفة إلا وفيه غصن من أغصانها

فهل لها مثال في الدنيا؟

أجابه: نعم الشمس إذا طلعت

قال: أخبرني من شجرة لها اثنا عشر غصناً في كل غصن

ثلاثون ورقة. وفي كل زهرة زهرتان في الشمس. وثلاث

زهرات في الظل

أجابه: الشجرة هي السنة اثنا عشر شهراً. والورق بعدد

أيام الشهر: والزهرات فهي الصلوات الخمس. أما التي في

الشمس فالظهر والعصر والتي في الظل المغرب والعشاء

والصبح

فقال الراهب:

أخبرني عن حج بيت الله وطافوليس له روح، ولا وجبت

عليه فريضة الحج. قال أبو يزيد: سفينة نوح.

قال الراهب:

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

أين يكون الليل إذا جاء النهار. وأين يكون النهار إذا جاء الليل  
أجابه.. ذلك في غامض علم الله.

الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

# على مدارج الحب

إعداد ودراسة  
ليلى مقدسي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

قال عمر بن أبي ربيعة :

يشهد الله على حبي لكم  
ودموعي شاهد لي  
والحزنُ  
قلت : يا سيدتي عذبتني  
قالت : اللهم عذبتني  
إذنُ

قال الشبلي :

ذكر المحبة يا مولاي أسكرني  
وهل رأيت محباً غير  
سكران؟!

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

في البدء نحب الحب ...  
حضور الحلم يولد أمنيته وإرادة للقائه  
مجسداً  
إنني موجود .. فإنه بإمكانني أن أحب  
وأن أكون محبوباً



### كيف خلق الحب؟..

كان العالم مدفوعاً في حضن الألوهية السرمدي ،  
فأشفق الله على هذه الوحشة وخلق النور ومن التقاء  
النور والظلام نشأت الألوان، وبدأت الحركة بفعل  
الخلق وأخذت تنحو إلى الالتقاء ، وكل روح تبحث عن  
الروح التي انفصلت عنها ، فمن الظلمة من الموت ، من  
فوضى العماء ولد الحب متوقداً في مشاعل الفراغ  
المترامي وبقي يتوالى في كل الفصول ، و مسكونات  
الحب تنثر حبوب القمح في الحقول البعيدة ، والأيام  
تهوي على الأيام وتثقل وطأة البعد على الروح .

فالحب متعة الحياة ، والمحبة كلما شرب منه  
ازداد عطشاً، وإذا لم نحب فماذا نفعل في الوجود؟..

الزمن يرحل في الماضي ، ويولد من جديد في  
زمن آخر ويبقى الحب ، وفي عبثية الحياة يولد المحبة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

من رحم آخر ، وسوف أتسكع مع القارئ في رحلة الحب ، حتى نخرج القلب من وحدته العنكبوتية .

**ألا نموت ألف مرة كلما وعينا ضعفنا البشري**

**..؟**

**ألا نموت ألف مرة كلما أبحر بعيداً وجهه نحبه ؟..**  
**ونموت آلاف المرات كلما شاهدنا حقيقة**  
**وجودنا .**

معنى الحب

الحب ، هو أخطر حدث في تاريخ الإنسان ، وتاريخ البشرية كتب بلغة ( الحب ) وقصة الخلق أيضاً كتبت بلغته .

**( لقد نفخ الله في الطين أنفاس الحب )**

والأساطير اليونانية تمثل لنا الحب دائماً على صورة طفل، لأن الكثيرين قد وجدوا في الحب عودة إلى الحياة ، وبالحب يولدون من جديد .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أما المعنى العام للحب فهو الرغبة المطلقة  
بالخير ، فالحب سيد السماوات والأرض وسيد الأرواح  
الأجساد ، وهو فعل أقوى من الإرادة ، ومتى عرف  
الإنسان الحبَّ عرف الله ، وهو في صميمه قوة أخلاقية

ويكشف بذور الخير والجمال ويخلع على الوجود  
البشري عمقاً ومعنى وقيمة لأنه الإرادة الخيرة .

وكلمة حب في لغتنا العربية كلمة مفردة لا جمع  
لها ، لذلك عندما نتحدث عن الحب نلحق به صفة أو تابعاً  
أو موضوعاً فنقول :

- ربيع الحب ، جمال الحب ، خداع الحب  
، زوال ، الحب ، موت الحب .. الخ .....

وأيضاً موضوعات الحب مختلفة :  
حب الوطن ، حب الأم ، حب الأرض ، حب  
الأب ، ... الخ

هذه العبارات تدلنا على أن الحب تجربة إنسانية  
تحتاج إلى موضوع تنصب عليه ابتداء من حب الشيء  
حتى حب الله تعالى .

وأما لغات الحب فمتعددة :  
لغة شعرية ، لغة أخلاقية ، لغة بيولوجية ،  
لغة اجتماعية لغة صوفية .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

اللغة الشعرية : خلقت للحب موضوعاً فتنت به  
قلوب البشر ، وهكذا ارتبط الحب بالشعر فصار مزيجاً  
من الحقيقة والخيال، وحلق الحب في سماء الشعر ،  
والسحر ، والسر .

اللغة البيولوجية : تخلط بين الحب والجنس ،  
والتجربة البشرية تشهد بأنه قد يكون حب دون جنس ،  
كما أن هناك جنساً دون حب .

اللغة الأخلاقية : حالت دون أن تربط الحب  
بالزواج من أجل النسب والوراثة واستمرار السلف  
والخلف .

واللغة الصوفية : جعلت الحب طاقة موحدة ،  
وهي التحرر من الذات الفردية والاندماج والفناء في  
الذات الإلهية ، فتتحد الذات التي هي جزء بالكل .

أما الفلاسفة التقليديون فقد درجوا على اعتبار  
القيم ثلاثاً: **الحق ، الخير ، الجمال**  
والفيلسوف المعاصر أضاف قيمة رابعة هي

### الحب

والحب هو الذي يخلع على تلك القيم مالها من  
قيمة ، فما معنى الحق دون حب الحق ؟..

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

### بعض الآراء في معنى الحب

الحب احتكره منذ القديم أهل الأدب والشعر  
واختلف الفلاسفة والمفكرون وعلماء النفس في فهم  
معنى الحب وهذه مقتطفات من الآراء :

**أفلاطون** : الحب ضرب من الجنون  
الإلهي .

**دانتي** : الحب قوة كونية وهو الذي  
يحرك الشمس  
والأجرام السماوية .

**بلزاك** : الطبيعة منحتنا الحب على صورة  
فعل حيواني والإنساني استطاع أن يخلق  
من الحب شيئاً ويطوره . فحضارتنا وفكرنا  
، إنما هي ثمرة من ثمار الحب .

**مستر ايكهارت** : إذا أحببت نفسك فقد أحببت  
كل شخص . وإذا أحببت الجميع كشخص  
واحد هذا الشخص هو الله والإنساني-

**جلال الدين الرومي** : الحب يجعل الكون صفاء .  
والألم شفاء . والسجن روضة فهو قوة  
فعالة في الإنساني .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

والإنساني المحب يعيش لحظة الذروة النفسية  
والفكرية مندهشاً بجلال الكون ، وروعة الطبيعة وجمال  
المخلوقات و يمتلأ قلبه بالحب حتى يصل إلى التوافق  
المطلق والانسجام التام وترتقي ذاته فوق جميع  
الترهات وتتطهر روحه من القلق ويحيا في مدار المحبة  
ضمن صفاء إنسانيته . وأعجب ما في الحب جماع ما  
في الوجود من متناقضات . وعبرت عنه الأديان  
السماوية ( بـ الله محبة ) . وكل ما في الكون يتكون  
ويتحرك بالمحبة .

ومن مميزاته : الرعاية ، الاحترام ، المسؤولية ، الصدق  
، الوفاء .

### مراتبة الحب

تبدأ بالسماع والنظر فيتولد الإعجاب ثم يقوى  
فيصير مودة وتقوى فتصير محبة وتقوى فتصير حلة ثم  
تقوى فتصير هوى ثم تقوى فتصير عشقا يزداد العشق  
فيصير تتيماً ويزداد التتيم فيصير ولها .

رسم هذا السلم التصاعدي - محمد بن داود - أما  
ابن الجوزي أضاف درجة ثامنة وهي - الوله - ومعناه  
قمة ما يبلغه المحب .

## معاني الحب

إنه نقيض البغض

- المحبة** - صفاء . حبة القلب سويداؤه . و حبة الشيء لبابه .
- الصبابة** - من صب وسكب وأراق . و تعني الشوق .
- الهوى** - محبة الإنساني للشيء . وهوى النفس للعشق . والهوى مداخل الخير والشر .
- العلاقة** - مأخوذة من علق . الحب والهوى الملازم للقلب .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

- الجوى** - داء الجوف - وشدة الوجد من عشق أو حزن .
- الخليل** - المحب الذي ليس في محبته خلل .
- الخلّة** - كل نبات حلو . وهي الصداقة الخالية من الخلل .  
وتتخلل عفاف القلب .
- العشق** - الإفراط في الحب وسمي عاشقاً لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العشقة إذا قطعت .
- العشقة** - اللبابة - تخضر وتصفّر وتعلق بالذي يليها من الشجر .
- الشغف** - الحب الشديد حين يتمكن من شغاف القلب .  
والشغف إحراق الحب . أما الشغف غلاف القلب والشغاف : دار القلب . شغف : قلق .
- التبل** - متبول - سقمه الهوى وقلب متبول غلبه الهوى  
و هيمة . تبله الحب أتبله وأسقمه .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

**الدلة** - ذهاب الفؤاد من هم .

**التدله** - ذهاب العقل من الهوى : تدله على ولده : فقده .  
دله الرجل : تحير .

**التتيم** - استعبده الهوى وذهب بعقله .  
والمتيم : المضلل .  
تأم تخلى عن الناس إن عشق .

**الهيام** - جنون العشق . هائم : متحير .  
الهيام : العشاق .  
الهيام : شدة العطش .

مفهوم الحب العام

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الحب مفهوم عام ، كمفهوم الحق ، والخير ، والجمال .

والذات تحاول الوصول إليه بالحركة نحو موضوعه . وتسلك سلوكاً معيناً يحدد نوع التجربة والعاطفة ، الوجدانية ، والأناية .

وقد ربط الأدباء والشعراء الحب بالجمال من خلال لغتهم الشعرية فتجرد الحب من عالمه الواقعي وارتقى نحو الرومانتيكية والخيال .

أما مفهوم الحب عند اليونانيين فهو الذي يجمع الماء والهواء والنار والتراب . والعامل المفرق هو الكراهية ويمكن القول أن الحب هو الوجود ، والكراهية هي اللاوجود .

### أفلاطون قسم الحب إلى نوعين :

**سماوي** : يتعامل مع النفس ، وغرضه نبيل .

**وحب عام** : يتعامل مع الجسد إلى غاية ونهاية . فهو مزيج من الخير والشر .

وينعت الحب بصفة الجمال ، وأجمل الإلهة ، وأصغر الإلهة .

فالشباب والحب يعيشان معاً كقول المثل الشبيه يدرك الشبيه ويتصف باللطافة والرقّة والنعومة ولا يلتقي مع الخشونة والغلاظة .

## أما سقراط فيقول :

حدثت ولادة الحب نتيجة التقاء الإلهة والإنساني .  
هذا اللقاء حدث مع الفتاة الفقيرة - ديميا مع أورو -  
حيث تم الإخصاب في السماء في عيد ميلاد ( افروديت )  
( ونتيجة هذا المولد المزدوج - الإلهي والإنساني - ورث  
الحب عن أبويه صفات كثيرة . وهو مثل أمه فقير  
متشرد . وامتلك من أبيه صفات : الجمال ،  
والشجاعة ، والخير . ويعرّف سقراط الحب بأنه الرغبة  
والشوق نحو الخير والسعادة والسعي نحو تحقيق الخلود

## الكندي يقول :

المحبة علة اجتماع الأشياء ، والتفرقة فقدان  
المحبة . وكلما زاد الشعور بعدم الطمأنينة والأمن زادت  
حاجتنا إلى الحب . وفاقدا الأمان يحتاج إلى حماية وفاقدا  
الثقة لا يكون صادقا في الحب .

## ابن القيم يقسم النفس إلى :

نفس سماوية علوية . نفس غضبية . نفس  
شهوانية . والحب يدور بين هذه النفوس وكل نفس  
تصادف ما يلائم طبعها وتميل إليه .

## الديلمي يقسم المحبة إلى :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

محبة إلهية لأهل التوحيد محبة عقلية لأهل  
المعرفة محبة روحانية لخواص الناس محبة طبيعية  
لعامة الناس محبة بهيمة لردل الناس .

### أما مسكويه - قسم المحبة إلى :

**النوع الأول :** ينعقد سريعاً وينحل سريعاً لأنه قائم  
على اللذة . ومن طبيعتها التغيير وعدم  
الثبات .

**النوع الثاني :** ينعقد سريعاً وينحل بطيئاً  
لأنه قائم على الخير وسبباً له ، وبما أن  
الخير ثابت فالمحبة الناتجة عنه تتصف  
بالبقاء .

**النوع الثالث :** ما ينحل سريعاً وينعقد بطيئاً  
لأنه مرتبط بالمنفعة المادية والأخذ  
والعطاء .

**النوع الرابع :** ينعقد بطيئاً وينحل بطيئاً ويتركب  
من اللذة والمنفعة ، والخير ، والزواج .  
وبالمحبة يصبح الناس أصدقاء .

### ماهية العشق والحب

ان الإحساس بالحب والعشق عند الإنسان قديم قدم الإنسان ذاته ، ولعل فلاسفة اليونان هم أول من بحثوا عن حقيقة العشق وماهيته وأنواعه .

**أفلاطون** : بحث موضوع العشق بشكل مفصل حتى اشتهر باسمه : الحب الأفلاطوني .

**أرسطو** : عالج هذا الموضوع في رسالة سماها كتاب العشق .

**ابن سينا** : أول من بحث هذا الموضوع . وأفرد رسالة في ماهية العشق وسريانه في الكائنات . ووصف نبض أعراض العاشق ، بأنه نبض متغير لا يجري على نظام . وذكر الحيلة في الاستدلال به على شخص

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

المعشوق ، بأن تذكر أسماء كثيرة حينما  
تكون اليد على النيص ، فإذا اختلف النيص  
وصار شبه منقطع يستدل منه على اسم  
المعشوق .

**أما ابن نباته :** فيذكر في كتاب ( شرح  
العيون ) . أن أميراً يونانياً عشق جارية  
من محظيات أبيه ، واشتدت علته وهو كاتم  
فأحضر ابقراط فجس نبضه ، ونظر إلى  
بشرته فلم ير عنده علة ، فذكر له حديث  
العشق فراه يهتز ويضطرب . فاستخبر  
الحال من حاضنته ، ولما أحضرت محظية  
أبيه اضطرب عرقه . فعلم ( ابقراط ) إنها  
المعنية بهواه ، فكشف السر للملك فتنازل  
عن المحظية لابنه ، وانتهى الأمر إلى شفاء  
الابن من مرض الهوى .

**وقال ابن الرومي:**

**كأن فؤادي ليس يشفي غليله  
سوى أن يرى الروحين  
يمتزجان**

وهل يضرم نار المحبة إلا نار الحبيب ؟

**أما إخوان الصفا :** فقد قسموا العشق إلى :

1- **النفس النباتية الشهوانية :** ويكون  
عشقها للمشروبات والمأكولات والمناجح .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

- 2- **النفس الغضبية الحيوانية** : يكون عشقها نحو القهر والغلبة وحب الرياسة .
- 3- **النفس الناطقة** : يكون عشقها نحو المعارف واكتساب الفضائل .

وبعض الحكماء يعتقدون أن العشق الحقيقي هو شدة الشوق إلى الاتحاد .

وقد قيل :

**أعانقها والنفس بعد مشوقة**

**إليها وهل بعد العناق تدان ؟..**

**و أثم فاها كي تزول صابتي**

**فيزداد ما ألقى من الهيمان**

**وابن الحزم** - في طوق الحمامة - قسم الحب إلى مراتب . وفرق بينه وبين الشهوة ، وقد تأثر بروح عصره في الأندلس . ويعد من أزهى العصور الإسلامية وقد قال في موضوع العشق والحب :

**أفضل أنواع الحب :** هو محبة المتحابين في الله . ثم محبة القرابة ، ثم محبة الألفة وبعدها الصحة والمعرفة . أما محبة العشق فهي أقوى أنواع المحبة . وكل



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

محبة قابلة للزوال والنقصان ، إلا العشق  
الحقيقي فانه لا يزول إلا بالموت .

ويستشهد ابن حزم - بالشيخ والمسنين الذين إذا  
ذكرتهم بالحب عاودهم الطرب والحنين .

**و السهروردي أول فيلسوف إشراقي يؤلف**  
رسالة في العشق وهو القائل :

**أبدا تحن إليكم الأرواح وهو اكم ريجانها**

**والراح**

أما ماهية العشق عند العرب ، فتاريخهم حافل  
بأخبار الحب والعشق والعشاق في جاهليتهم وإسلامهم  
. والحب العذري المنسوب إلي بني عذرة والذي يمثل  
الحب البريء العفيف ، يوحي أن هذا الحب سرى بين  
أفراد القبيلة المذكورة بكل أفرادها حتى اشتهر باسمها .  
والفرد عندهم يموت بالحب .

**وقد قال ابن الفارض :**

**شربنا على حب الحبيب مدامه**

**سكرنا بها من قبل أن يخلق**

**الكرم**

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

**أحمد الغزالي** : في كتابه - سوانح العشاق - أفرد  
فصولاً للحب الخالد كتبه باللغة الفارسية فيقول :

حينما يوجد العشق الحقيقي ، يفنى العاشق في  
وجود المعشوق . فالفراشة التي تعشق النار في وجودها  
، وعندما تصبح الفراشة شعلة وتمتزج بالنار وتتحد معها ،  
حينئذ يتم الكمال . لأن العاشقين أصبحا واحدا متحدا .

وقد قيل :

**من لم يبتْ والحب حشو فؤاده  
لم يدر كيف تفتت  
الأكباد**

## طبيعة الحب وجوهه وأثره

تتجلى حقيقة الحب في أنه رغبة بما لا يملكه المرء . وأن الحب بذاته خشن فقير سيئ يعوزه الجمال . والحب ليس إلهاً . بل إنه كائن وسط بين الإلهي والإنساني ، بين الجمال والقبح ، بين الجهل والعلم . وإنه ابن الفقر ومن بذرة الشرير . وتتجلى وظيفته في خلق وإنجاب الجمال بحسب الروح والجسد . وفي التغلب على الموت وبلوغ الخلود .

من هنا نشأ سر الحب حين انطلق من حب جسد جميل وارتقى إلى الجمال الحسي بوجه عام . ثم إلى جمال الروح حتى بلغ الجمال المحض . الجمال بالذات . وهو الجمال الذي يملأ بحضوره وحده النفوس بنشوة غامرة . والتذكر يفسر الحب ، فالحب ينشأ من ذكرى الجمال الذي كانت النفس قد لمحته عندما كانت روحاً في صحبة الإلهة في السماء . والهديان الرائع للحب يعمل على أن تنبت أجنحة الروح من جديد ، فترقى نحو الجمال الحقيقي الذي لا ندرك في الأرض سوى شبهه ومحاكاته والحب الحقيقي ينتزعنا من رغبات الجسد التي أحياناً تهبط بالإنساني إلى منزلة الحيوان . فالحب يسمو بنا شطر الجمال ، ويظهر في قلب المحبوب حب هو صدى حب العاشق .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

### مولد الحب

في البدء نحب الحب . حضور الحلم يولد أمنية  
وإرادة للقائه مجسدا . إنني موجود 00 فانه بإمكانني أن  
أحب وأن أكون محبوبا .

### وقال ابن الفارض لحبيته :

لك قرب مني ببعذك عني  
وحنوّ وحدته في

جفاكا

علم الشوق مقلتي سهر  
الليل فصارت من غير نوم

تراكا

### وقال مونتني :

ألحوا علي قائلين : لم تحبه ؟  
إنني أحبه لأنني . أنا من أنا 00 وهو

من هو .

أي أن الحب يتجه نحو الكينونة لا نحو الملك .  
والحب الحقيقي لا يحب الآخر لصفاته ومميزاته . بل هو  
يحب لذاته .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فالحب حقيقة شاملة مطلقة ، ويجيء لشخصية محبوبه بكل ما تنطوي عليه من محاسن وعيوب . حتى تتحول أحيانا العيوب في نظر الحبيب إلى مصدر سحره وقال الدكتور لاجاش :

**الحب يتجاوب مع الترقى النفسي للموجود البشري ، من حيث إن هذا الموجود هو في حاجة إلى أن يحب . والدلالة الحيوية للحب هي التحرر من العزلة النفسية ومن ضغط القوى الأخلاقية . ويجب الإنساني دون أن يكون أي مبرر للحب سوى الحب نفسه . أي أننا لا نحب صفات الشخص بل نحب الشخص نفسه .**

### أنماط الحب

#### 1- ايروس - أو العشق -

وتستعمل للإشارة إلى الحب الجسدي ذلك أن اليونانيين كانوا يجمعون بين إله الحب - ايروس - وإله الخمر - ديونسيوس - ولكن أفلاطون خلع على ايروس صفة فلسفية وسمي - الحب السامي - أو الأفلاطوني . وقد عرف الحب بقوله :

**انه الرغبة في اقتناء الخير بصفة مستديمة ، أو امتلاك الجميل امتلاكاً خالداً . فالحب الأفلاطوني ينتقل من حب الأجساد الجميلة إلى**

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

حب النفوس الجميلة حتى ينتهي إلى حب الخير  
الأسمى . فهو وسيلة للتصاعد والتسامي وبلوغ  
الكمال المطلق.

### وقال سقراط :

انه الشيء الوحيد الذي يعطي للحياة قيمتها لانه :  
مشهد الجمال الأزلي الأبدي .

### 2. الحب الرومانتيكي :

بقي متحررا من قيود الزواج . واقترب بمعاني  
الاحترق والتألم . والشقاء ، والموت واستطاع أن يؤثر  
على العقلية الأوروبية خلال أجيال طويلة . وظهر في  
قصة - ترستان وايزو - التي نشرها شعراء الغزل في  
العصور الوسطى ومفادها :  
ترستان فارس في بلاط الملك وكان يخون الملك  
لأنه شرب جرعة الحب فأصبح العاشق الولهان للملكة ،  
وفاجأهما الملك يوما وقد استلقيا إلى جوار بعضهما  
وبينهما سيف رمزا على عفافهما وطهرهما ، فهما لم  
يكونا محبين . إنما كل منهما يحب الحب ولهذا كان -  
ترستان - يرد حبيبته إلى زوجها ، وكتب على جراحهما ألا  
تبرا . وكانا يتمنيان أن يجيء الموت ويخلصهما من مرارة  
هذا الحب .

ويمتزج الحب بلغة الرموز الصوفية ، ويصبح بمثابة نار  
روحية تحرق قلوب العشاق . فالمتصوفة والقديسيون  
ارتبط حبهم بالموت .

### 3 - أجابه - المحبة :-

ما يميز الاجابية هو التمرکز - حول الله - من بذل وعطاء وتضحية بالذات . ومنح النفس للآخرين ، أما الايروس و يتمركز حول الذات وينشد خير الذات من شوق واشتهاء . وقول) الله محبة ( لا يعني أن الله يحب البشر فحسب ، بل يعني أن ماهية الله منحصرة في فعل الحب وقد قال القديس يوحنا :

(( إن قال أحد إنني أحب الله ، وأبغض أخاه فهو كاذب . لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره ، كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره ؟.. ))

### 4. الصداقة - أوفيليا :-

هذه الكلمة لها صلة وثيقة بالحب في التراث اليوناني . وهي معنى الصداقة ، والرابطة الخلقية في بناء المجتمع .

وقال أرسطو : الصداقة عاطفة ، أو تأثر

وجداني وتقسم :

صداقة تقوم على المنفعة والفائدة

صداقة تقوم على اللذة والمتعة

صداقة تقوم على الخير والفضيلة .

ويربط أرسطو حب الآخرين بحب الذات .

ويقول : إن الشرير لا يمكن أن يكون صديقا

وقال أيضا :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الصديق إنسان هو أنت إلا أنه غيرك  
والوجود مع الآخر يضاعف متعة  
الحياة .

### علامات الحب

المحب مدعو إلى الكتمان ، فالتعبير عن  
مشاعره أمر منكر، وقد عبر عنه الإنسان العربي  
بالأطلال ، والنسيم ، والبروت ، نوح الحمام .

### يقول ابن حزم :

النظرة هي نقطة انطلاق الحب وقد  
يعشق المرء صورة لا يعلم من هي ، أو تقع  
المحبة بالوصف ، فيعشق المرء شخصا لم يره  
إنما سمع عنه ما حبه إلى نفسه . أو أن خياله قد  
صور له ذلك الشخص بصورة المعشوق الأسمى ،  
فللخيال دور كبير في منشاء الحب . والوحدانية  
قرينة الحب . والتعدد وليد الشهوة ، والعشق  
السريع هو أقرب إلى الشهوة ، في حين أن  
العاطفة البطيئة تدوم وتثبت . والمحبة



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

استحسان روحاني ، وامتزاج نفساني ،  
ويقسمها إلى :

محبة القريب ، محبة المتحابين ، محبة  
بلوغ اللذة، محبة الله . أما إذا كانت المحبة  
لسبب من الأسباب فلا بد أن تزول مع زوال  
السبب .

**(( منودك لأمر . ولي مع انقضائه ))**

وأيضاً للخيال دور كبير لانه يخلع على المحبوب  
كل ما يهواه من ضروب الكمال . أما التغلب في الحب  
فسببه الملل . فالملول لا يثبت على حب . ولا يعرف  
الاستقرار .

**وقال الجاحظ :** رجلان لا يعشقان :

الفقير لان قلبه يشغل عن التوغل فيه ،  
والملك فيشغل بالأمر والنهي .

ومن الناس من توجب له الرؤية الدائمة نوعاً  
من المحبة ، بسبب الألفة والتكرار والإرادة وهذا يفسر  
قصص الحب بين أبناء العمومة ، وبنات الجيران ، وموقع  
الحب الأول ويقول ستندال :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الرجل في الحب مهاجم . والمرأة مدافعة .  
فالرجل مخاطر جسور . والمرأة متوحسة متخوفة

وترنم الشبلي بالحب قائلاً :  
ذكر المحبة يا مولاي أسكرني  
وهل رأيت محبا غير  
سكران ؟ ..

### من صور الحب

حب الأم هو أعلى صورة من صور الحب . لأنه  
يعتبر فريداً من نوعه ، فالأمومة امتزاج وجداني ، وحبها  
غير مشروط هو عطاء مستمر دون مقابل . ثم حب  
الإنساني لأخيه الإنساني هو التواصل النفسي مع البشر ،  
لان الحياة الإنسانية لا تنمو وتزدهر في الوحدة ، بل  
تشرق في أجواء المحبة والتبادل .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

### يقول- ماكس شلر :

الحب الحقيقي هو فهم الآخر ، من حيث هو شخص مغاير لي ، ومؤكداً بكل حرارة العاطفة حقيقة ذلك ونوع أسلوبه في الحياة .

### ويقول - مونييه :

إنني لا أوجد حقا إلا بقدر ما أوجد للآخرين .  
وما الوجود في النهاية سوى الحب ويخصب الحب بالصراحة والنقاء والبساطة والمشاركة الفعالة التي تتم بين حريتين ولا تتحقق إلا بالوعي الحر المستقل ، والعطاء المتبادل ، ونجد المرأة في الحب سببا كافيا لتبرير وجودها ، وغاية كبرى تسعى من أجلها .

### ويقول الشاعر بايرون :

إن حب الرجل شيء منفصل عن حياة الرجل . أما حب المرأة فإنه من صميم وجودها .

### ويقول - نيتشه :

ما تفهمه المرأة من الحب هو في غاية الوضوح لأنه عندها ليس عبادة بل بذل تام للجسم والنفس معا . وهذا يعتبر ضربا من الإيمان . أما بالنسبة للرجل فإنه يحب المرأة ، و كل ما يريده هو ذلك الحب الذي يأتيه من قبلها .

### ويقول كير كجارد :

الخصم اللدود للحب هو الزواج ، لان العاطفة تضعف تحت تأثير الحياة الرتيبة ، وبخضع الزوج لخطر التكرار ، والعادة ، والألفة والتداني المستمر . فالحب لا يحيا إلا في جو حافل بالمغامرات والمفاجآت . لذلك قد يفشل الزواج بسبب روتين الحياة اليومية و مسؤوليتها . والتجارب الدينية صلتها وثيقة بالحب ، ونجد فيها النزوع المشترك الذي يجمع :

القديس والصوفي . والعاشق . نحو الاتحاد بالمعشوق .

### وقال أحدهم :

اللهم هب لي ذلك الحب الذي ينفذ إلى أغوار الوجود ثم ينساب نسغا خفيا في أعصان شجرة الحياة ليعث الثمار والأزهار .

### وأفلاطون في كتابه - المأدبة .

دار حوار فلسفي بلغة رمزية حول علاقة الشعر بالحب ، واعتبر أن الحب إله ينبغي تقديسه ، لا بل هو أقدم الآلهة لأنه أول الموجودات . السماء ، ثم الأرض ..

ثم الحب .. والذي يتحرك نحو حيز الحبيب ، وبلوغه الكمال هو المحب الحقيقي . وقد يشعر الإنسان بالخجل إذا ارتكب عملا ينقص من قدره

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أمام والده أو صديقه ولكنه يشعر بالألم إذا وقع هذا النقص أمام محبوبه . ويشبه أفلاطون النفس البشرية بعربة يقودها جوادان أصيلان أحدهما : الغضب والآخر الشهوة ، وسائق الجوادين هو العقل . والحب هو فعل النفس وكامن في الدماغ ، والكبد ، والقلب . وهو ذلك السر الأزلي الإلهي .

### أما سقراط فيقول :

لا يكتمل الحب إلا في المرأة ، لأنها هي التي تعلمنا أمور الحب . وفلاسفة الإغريق تحدثوا عن الروح الدائرية فالعالم دائري والكواكب دائرية وحين غضب الإله قطعت هذا المخلوق الكروي شطرين لأنه تمرد واطلع على أسرارها ، فالحب أصغر الآلهة سنا ، بدليل أنه يمقت الشيخوخة ويتعلق بالشباب فهو الشباب الدائم . وكل شيء تابع لإرادة المحبة لأن المحبة حركة بلا سكون . والحب يجردنا من الغربة . وهو مصدر الشعر والفنون ، حتى يقال حين يحب البشر يتحولون إلى شعراء ، وتستجيب نفوسهم للجمال .

### وقد قال ابن معاذ :

صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين-

## الحب والنجوم

### إخوان الصفا يقولون :

تتغير أحوال العشاق بعلّة ثابتة راجعة إلى  
يوم ميلاد العاشق والمعشوق ، وتغير العشق  
بسبب تغيير أشكال الفلك والنجوم . لأن النجوم  
والكواكب في مساراتها لها أثر كبير في إيجاد  
التوافق بين المحب والمحبوب أو في التغيير .

### أما العالم الفلكي ارسطوطاليس فيقول :

ان منبع العشق من النجوم : زحل ، عطارد  
، الزهرة .

**زحل** : يهيب الفكر ، التمني ،  
الطمع ، الهم ، الحزن الوسوسة  
والجنون .

**عطارد** : ( هرس اليونان ) هو

رسول الإلهة المتنقل يهيب . يقول  
الشعر ، ونظم الرسائل ويتمق  
الكلام ، والتذلل والتلطف . ومعنى  
عطارد من العطرة أي - الخفة  
والسرعة . وعرب تميم اتخذوه إلها

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

للعبادة، وهو يظهر باكرا ، أوفي  
المساء .

### الزهرة : عبدها اليونانيون

فسموها - افروديت - وهي إله  
الحب والجمال والجنس . أما عند  
الرومان - فينوس - وعند العرب  
الزهرة أو العزى ، قبل الإسلام  
كانوا يعبدونها ، وتمثل في صورة  
امرأة جميلة ، وتمتاز بشدة  
سطوعها بحيث ضوء الشمس لا  
يقوى على طمسها .

وهي تهيئ العشق والوله و الهيمان  
والرقة ، وتبعث في النفس التلذذ  
بالنظر والمغازلة وسماع الموسيقى

### من صحيفة هندية :

الحب - ارتياح جعل في الروح وهو معنى  
تنتج النجوم في مطارح شعاعها ، وتقبله الروح  
بلطيف جوهرها. فإذا أفرط صار سقما قاتلا  
ومرضا منهكا لا تنفذ فيه الآراء والعلاج منه زيادة  
فيه .

### ويقول ابن داود :

الحرارة المتولدة من حزن المحبين تنحاز  
إلى القلب ، ثم إلى الدماغ فتتولد بخارات وهي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

التي تصير دموعا. والشعراء فطنوا إلى ان فيض  
الدمع أروح من كمونه-

لماذا نحب وكيف؟..

البعض يرى أنه لا داع للتفكير في الحب أو البحث  
عن الأسباب التي تدفعنا إلى الحب لأن الإنسان هو  
المقيم لهذه التجربة، وهو موضوع التقييم . فالذي يحب  
يريد أيضا أن يكون محبوبا . أحيانا يكون الفراغ النفسي  
دافعا للحب ، أو العزلة الفكرية، أو تنافر الشخص من  
محيطه الاجتماعي . فالحب حالة عفوية طبيعية ورغبة



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

في العطاء . أما التسلط والسيطرة فيتناقضان مع الحب والتسلط أنواع :

- تسلط الأب على الأبناء
- تسلط الرجل على المرأة
- تسلط السيد على العبد

ففي الحب فسحات من الحرية . وهو الذي يرفع الإنسان ويرتقي بالمجتمعات . الفارابي وضع مبدئين ينعقد فيهما الحب : أحدهما فكري والآخر إرادي ، والشروع في الحب يكون عن طريق الأقوال والأفعال .

**(مسكويه) :** يجعل الشروع في الحب من الأنس . الاشتراك في الحفلات ، الاجتماعات العامة و أول مراتب السعي إلى الحب طول المخالطة . فيعتاد كل فرد على رؤية الآخر وتتولد الألفة من المحبة .

**( ابن سينا )** المحبة لأجل مصلحة ذاتية تتمثل في : الزواج وتكوين الأسرة و ترابط المجتمع والمحبة لا تفقد إلا بالألفة ، والألفة تحصل بالعادة والمخالطة .

**( ابن حزم ) :** لا تصبح المحبة إلا بعد طول المخالطة ، وكثرة المشاهدة ، وتمادي الأنس . فالمخالطة مع الأنس يقودان إلى الحب ، بينما البعد يعتبر سببا في خفق الحب . والحب الذي يموت لأول وهلة فهو حب قائم على الشهوة .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

والعزلة والوحدة قد تكون السبب في وجود كثير  
من الأمراض النفسية .

الحب والغيرة والتملك

يقول غوته :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ليس، مهما فقدانك أي شيء آخر  
مادمت تمتلك نفسك . والغيرة لا تنتمي إلى  
سيكولوجيا الحب بينما البعض يقول : ما من  
حب حقيقي دون غيرة . الغيرة العمياء هي دليل  
أن شيئاً خاطئاً في علاقة الحب . وتعبّر عن  
اضطراب داخلي وينبع الشك من الذات القلقة ولا  
يمكن إزالته حتى بالبراهين . لأن تيار الغيرة يجري  
من عدم الثقة بالنفس ، وعدم تقدير للذات .  
لأن في الغيرة حبا للذات أكثر مما فيها حب  
. وتدل على اضطراب داخلي ، وقد يغار الرجل  
من ماضي المرأة . أما المرأة تفضل أن تكون  
الحب الأخيرة ، أما إنزياح الإخلاص فيحدث  
حين يطرأ تبدل في القلب أو انجذاب جنسي إلى  
آخر . والغيرة تكون سبباً فقط لحماية  
الحب .

وقد قالت - ديدمونة - في مسرحية عطيل :  
يوم لا أحبك سيكون الكون قد عاد للغوضي  
من جديد

والشك الناخر هو في غيرة الرجل بالجنس ثم  
بالعاطفة .

ويعصور أحدهم رجلاً مفرطاً في غيرته وخلال  
الاتصال مع زوجته سألتها :

- مع من تخدعيني الآن ؟ 00

وتقول الزوجة غير غيورة :  
- مد للرجل حبلا طويلا ، وسوف يتم لك الاحتفاظ به .

وقد صور غوته امرأة وقعت في حب رجل ، مع أنها بقيت مخلصه لزوجها جسديا ، وسبب فشل الزواج خيانتها الفكرية .

وقوة الحاجة إلى التنوع مصدرها نزوة الانتزاع وليس فقط الدافع الجنسي . وشك الرجل بنفسه من كونه غير مرغوب يلعب دورا كبيرا ، فيريد أن يثبت لنفسه قدرته على انتزاع الكثير من النساء .

وقالت إحدى النساء :  
أنت لا تريدني ، بل تريد أن تجعلني أريدك .

وقال أحدهم :  
لا تعرف السماء غضبا مثل حب انقلب إلى بغضاء ، ولا يعرف الجحيم روحا فتنقمه كروح امرأة مزدراة . والحب مغاير جدا للجنس . وقد أقام البشر علاقاتهم الجنسية دون حب . لذلك فتاريخ الجنس

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

قديم زمن قبل التاريخ . أما تاريخ الحب  
فبقي مجهولا وهو أحدث من الجنس ، لأن  
الجنس وجد بوجود البشر . وهو قديم قدم  
جسد المرأة . وقبل أن يلهج الإنسان باللغة  
ويكتشف النار . والحب هو نتاج الحضارة .

وثورة النساء الامازونيات اللواتي أردن أن يحظين  
بقيمة أعلى ومعاملة أفضل مهدت الطريق للعاطفة  
والحنان وخلقت الحب . والحب أبعد عن الجنس ما فيه  
من توحش و اتحد به .

والموضوع في الحب لا يقبل التبديل . أما في  
الجنس فيمكن تغييره . والمجتمع أطلق شعارا دخانيا  
يزعم أن الحب والجنس متطابقان ولكن هذا غير صحيح ،  
لأن الجنس دون عاطفة منفر للرجل والمرأة . وكم هو  
يسير إثارة الرجل جنسيا . وكم هو عسير جعله يحب وقد  
يتشابك الحب والجنس ويصبح الفصل بينهما أحيانا  
متعذرا . لأن سحر جسد المحبوبة ، وسحر عقلها متصلان  
بحيث يتعذر على المحب الفصل بينهما . ولكن هل  
الشخص الواحد يستطيع تحقيق الحب والجنس والقوة  
؟

فالحب حاجة اجتماعية نفسية ، والجنس غريزة  
فطرية غايتها الحفاظ على الجنس . والجنس حدث عابر  
ومؤقت . بينما الحب غاية سامية تتصف بالثبات  
والاستمرارية . وعند الرجال الرغبة هي التي تنجب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الحب . ويفضلون المرأة التي تتمتع بمزايا جسدية حادة لأن الرغبة تصيح أكثر سطوة من العقل . ولهذا قد نجد الإنسان البدائي ما يزال موجودا في حضارتنا . أما عند النساء فالحب هو الذي يجلب الرغبة وبقي الحب عند الرجال فكرة وليس عاطفة . أما الخيار في الزواج فهو مزيج من الحب والواقعية . والكثير من النساء هن مخلصات رغما عنهن ، ذلك أن شيئا ما يمنعهن من الخيانة . وفي الحب يصبح الشخص مركز الكون . أما في الجنس فالجسد هو الشخص . وموضوع الحب لا يمكن تغييره ، ولكن في الجنس يتغير باستمرار . والإنسان يطلب الجنس ابتغاء اللذة والمحافظة على النوع و تفريغ الطاقة الكامنة وهو ضروري لتكاثر الكائنات الحية . والإفراط في الجنس يؤدي إلى القهر والمرض والعهر . بينما الإفراط في الحب فضيلة لا تتعارض مع أخلاق البشر .

وأثبتت الدراسات أن المرأة المتسترة أكثر جاذبية من المتبرجة . والمتبرجة تنال دائما احترام الرجل .

والنظريات الحديثة تطالب بعلاقات تتم بنوع من حرية الإرادة والاختيار ، وأعطت تسميات مختلفة مثل : الحب الحر . زواج الاختيار . زواج المتعة . زواج العشرة . والحضارة ترتقي وتنحدر حسب تصرف الإنسان في الطاقة والجنس والتحكم والانفلات . لذلك ارتبط الجنس بالجهاز التناسلي وارتبط الحب بالقلب والروح والذات . فالحب نما وترعرع واخرج الإنسان من

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

المجتمع البدائي إلى مجتمع الحضارة والرفاهية ، وكما زاد الإنسان ضبطاً لشهواته زادت الرغبة في الحب .

**مثلا :** أنثى العنكبوت والجراد تقضي على ذكورها وتلتهمها بشراسة وشراهة لأنها لا تطلب المساندة إلا في أوقات الإخصاب . والحيوان أكثر تحكما في غرائزه الجنسية ، ولكن الإنسان يطلب اللذة و أحيانا يصعب عليه التحكم في غرائزه .

أما الامتلاك فلا يمكن تجريده من السيطرة والتسلط، والتملك يقيد الحب ويقتله والتملك لا يختلف عن الاقتناء المادي ويصبح هو المحرك للحب . ولكنه لا يتحرك بعقله أو بإرادة حرة أو لحاجة عاطفية . ويتبع طريق الزواج ويشترى من يحبها وكأنه يعود إلى عهد الجواري والحريم والمتاجرة بالرقيق . فالحب ليس قضية مادية إنما هو قيمة إنسانية لا تخضع للمادة . وفي مجتمعنا الرجل هو الذي يملك لأن المرأة تعتمد عليه في توفير مطالبها وحين تحرر المرأة اقتصاديا ستخف تبعيتها للرجل ، ويخف بالتالي حكمها له وامتلاكه .

وفي نظام تعدد الزوجات المرأة لا تستطيع ان تتزوج أكثر من رجل ن بينما الرجل يستطيع ان يتزوج أكثر من واحدة وفي وقت واحد ومكان واحد وبهذا تكون المرأة قد شاركت عدة نساء ملكية رجل واحد ، بينما رجل واحد يمتلك أكثر من امرأة واحدة ،

ومن هنا يكون الرجل هو الذي يمتلك ، والمرأة لا دور فاعل لها في الحب والامتلاك ، وهذا مخالف للطبيعة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

البشرية ، فالامتلاك في الحب إما بالقوة أو بالفعل ،  
فالامتلاك هو تجسيد لفكرة الأب المسيطرة في الأسرة ،  
وتجسيد لفكرة الحاكم المستبد ، ومتى وصل الإنسان  
إلى فكرة التوازن وتغلب على فكرة التحكم والامتلاك .  
يدخل الحب إطاره الطبيعي .

موت الحب



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

من سمات الحب غض الطرف عن عيوب الحبيب وقد تتحول إلى محاسن ، ولكن في الحياة المشتركة تطغي العيوب على باقي الشخصية ويكتشف في شخص الحبيب حقائق جديدة ، أوقد يظن كل منهما أن الشخص المحبوب قد تغير ، ويستغرب كل منهما كيف استطاع ان يحب هذا الشخص في يوم ما . وقد شبهت المرأة بالماء والتراب . وشبه الرجل بالنار والهواء .

### قال أرسطو :

ان حبا أمكن يوما أن ينتهي لم يكن في يوم من الأيام حبا حقيقيا ، والشعراء تحدثوا عن خلود الحب . والفلاسفة كشفوا القدرة الخلاقة في الحب .

### أما جبريل مارسل فقد ربط الحب بالانتصار على الموت فقال :

ان من يحب شخصا حبا حقيقيا فكأنما يقول له : لا يمكن مطلقا ان تموت بالنسبة لي . فالكائن المحبوب حاضر دائما في الذات المحبة . والروح الإنسانية تتنفس محبة .

### وتقول سيمون دي بوفوار في كتابها - الجنس الآخر :

انه ليس أقسى على نفس المرأة العاشقة من أن تكتشف أخطاء الوثن الأكبر الذي كانت تعيده دون أن تظن لها من قبل . وذلك لان خيبة النساء ، أكثر من خيبة أمل الرجل . وسبب فشل الرجل في الحب يكون

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

راجعا إلى عجزه عن الاستقرار ورغبته في التغيير  
والتنقل .

### العالم الفرنسي - لابلان :

حين حضرته الوفاة لام أصدقاءه الذين أرادوا  
تعزيتهم بشهرة كتبه واكتشافاته فقال لهم أسفا : إن هذه  
الأمور ليست كل شيء في الحياة ، فلما ساءلوه ما هو  
أهم شيء في الحياة أجابهم وهو في النزاع الأخير : الحب  
والرجل يضع العمل في المقام الأول لا الحب .

### وقال الشاعرلكه :

لم كتب على الموجودات المتحابة أن ينفصل  
أحدهما عن الآخر دائما وقبل الأوان ؟

### أما الشاعرة الإنكليزية - اديت ستولتقول :

هيهات لنار القلب ونار العقل أن تصبحا واحدا .

### أما مدام دولافايت - فتقول :

ان في الحب شيئا من كل شيء .. ففيه من  
العقل ، وشيء من القلب ، وشيء من الجسد .

### أما ستندال فيقول :

الحب أجمل نصف في الحياة . فالإنسان قبل  
الحب شيء وعند الحب كل شيء . وبعد الحب لاشيء .

### أما سارتر فيقول :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

مشكلة الحب ليست مشكلة الوفاء ، ولا التفاوت بين جنسين ، إنما هي الصراع بين حريتين وقد نعتبر أنفسنا مستبدين أو غير أحرار مادام من الضروري أن نبدو أو نظهر أمام الآخرين وهذا الشعور يولد إحساسا بالخجل ، وكان نظرة الغير تجردنا من ملابسنا وتضعنا عراة أمام الآخرين وهذا الغير يسرقني حريتي . فالحب اختيار ، والقيمة الكبرى له هي أن يشعر الفرد بأنه لم يعد مجرد مخلوق ليس ما يرر وجوده . أو ليس لوجوده أي معنى ، بل هو يصبح مصدر فيض وسخاء . بالنسبة للآخر . وصار لوجوده معنى . فالحب الحقيقي يستلزم الاعتراف بحرية الآخر ، ولكن ينتاب المحبين إحساس بالوحدة في صميم الحب .

### والموسيقار الفرنسي - برليوز يقول :

أي هاتين القوتين : الحب أم الموسيقى أقدر على التسامي بالبشر ؟ . هذا السؤال عسير لان الحب لا يعطينا أي فكرة عن الموسيقى ، بينما تعطينا فكرة عن الحب ، ولكن لم الفصل بينهما . أليس الحب و الموسيقى هما جناح النفس . وإذا خلا عالم الإنسان من الحب يصبح - فظا قاسيا ظالما ويتعذر عليه أن يحب أي شيء .

## قصص الحب

قصص الحب ليست وقفا على الشعراء والروائيين ، إنما تجدها في الكتب المقدسة . وهذا يعطي الدليل القاطع على ما للحب من منزلة في حياة البشر ، وهناك قصص متنوعة عن الملوك والأمراء والخلفاء كان لها التأثير الكبير في حياة الشعوب والأمم وكثير من التضحيات التي قدمها البشر في سبيل الحب . فالحب الإنساني حقيقي، والحب السامي الذي يبقى تجربة الخلود عند المتصوفة والقديسين . لان كل ما في الكون يتحرك بالمحبة .

### مدام دي مانتون :

كانت مع الملك لويس الرابع عشر تشاركه أعماله ومشروعاته ويستقبل في مكتبها الوزراء وبناقشهم دون أن تتدخل وعندما يستطلعها الرأي تجيبه بكل حكمة دون أن تفرض رأيها أو تتدخل في شؤونه لأنها تدرك أن الحب لا يكون في حياة الرجل كل شيء .

### مدام جوليت درويه :

كانت تعد لفكتور هيجو أشهر وجبات الطعام وتنظم منزله وتتشرف على غسل ثيابه ، وتهتم بأناقته وتنظم أوراقه ، وتنسخ مخطوطاته .

أحد الأطباء قام بعلاج شاب ناحل ، فعرف أن داءه العشق ، وراح الطبيب يردد أسماء عدد من النساء ويتلمس نبض الشاب فلما أسرع النبض تعرف من خلاله على الفتاة التي مرض بسببها .  
( قنية ) ألقت نفسها في نهر دجلة عقب انفصالها بالغناء ، فما كان من عاشقها إلا ان رمى نفسه خلفها .

أصيبت إحدى الجوارى بنوع من الشلل في الأعصاب فأمرها الطبيب ان تدور حول نفسها ثم غافلها وانحنى يريد أن يرفع ثيابها من الخلف ، فجفلت الجارية مرتعدة تدفع يده وتعده ثيابها . وكان في هذه الحركة الانفعالية المفاجئة الشفاء . وتعليل الطبيب كما اعترف سيدها أنهما كانا في لقاء جسدي ثم دهمهما أحدهم فأجفلت وجزعت خوفا وخجلا ، فأصابها هذا الشلل المؤقت وقد عالجه الطبيب بصدمة معاكسة فشفيت .

## وفي كتاب - ذم الهوى - يروي ابن

### الجوزي :

قصة أخ رأى امرأة أخيه حاسرة فعشقتها وكنم عشقه حتى أوشك أن يؤدي به السقم واكتشف أحد الأطباء المرض . فما كان من الأخ إلا أن طلق زوجته ليرجع إلى أخيه فؤاده ولكنه حرم على نفسه هذه المرأة بعد طلاقها . فأى الرجلين أكرم ؟ .

## وفي كتاب - مصارع العشاق - يروي

### ابن الجوزي:

أن نخلة عاشقة من نخيل بصرة ، كانت في غاية حسنها وطيب رطبها . ثم فسدت حتى شيعت فبدي صاحبها شيخا قديما يعرف النخل ، فنظر إليها وإلى حولها من النخل ثم قال : هذه النخلة عاشقة هذا الفحل الذي بالقرب منها فلقت منه فعادت إلى أحسن مما كانت .

## وقد قال مجنون ليلى :

تكاد يدي تندى إذا ما لمستها

## وينبت في أطرافها

### الورق

#### ويروي جعفر السراج :

خير شجرتين قد التفتا على قبرين متلاحقين وقد  
خرج من كلا القبرين ساق شجرة حتى إذا صارا على  
قائمة التفا . أما القبران فهما - لعروة وعفراء - وقد قيل  
تألفا في الحياة وفي الممات . وكان نوع الشجر غريباً لا  
يعرف اسمه ، فهل نبتت هذه الشجرة من قبل العشاق ؟  
أم تحول العشق إلى شجرة ز أو ربما تجاوب الشجر مع  
مشاعر المحبين ؟!

أما وضاح اليمن وأم البنين فقصتهما معروفة ،  
ولقب وضاح لغلبه جماله وبهائه وكان يستر وجهه من  
العين . ورأى أم البنين في موسم الحج . وكان الخليفة  
الوليد زوجها وكتب يتوعد الشعراء ألا يذكرها أحد . وحين  
وقعت عينها على وضاح اليمن عشقته . ومدح الخليفة  
وأقام في قصره ، وكان يقيم عندها ومن ثم تواريه في  
صندوق عندها ، حتى وشى بها خادم الخليفة ، فطلب  
الوليد الصندوق وحفر حفرة عميقة وقذف الصندوق ، ثم  
ما رئي بعد ذلك اليوم أثرا لوضاح ، وما رأت أم البنين أثرا  
في وجه الوليد حتى فرق الموت بينهما .

هكذا يتنامى الحب من التجربة الفردية والشعور  
بالمرأة إلى أن يصير سر الوجود ، وبذلك انتقل إلى  
الفكر الفلسفي . والتجارب الروحية ، والعشق الصوفي .  
وقد قال الحلاج : ( أنا من أهوى 00 ومن أهوى أنا  
( .

## الحب في القرآن

كلمة الحب اكثر الألفاظ دوراناً في القرآن الكريم ، أما كلمة العشق لم ترد مطلقاً ولم يرد وصفاً للعلاقة العاطفية بين المرأة والرجل بل وصف الذين آمنوا :  
**الذين آمنوا أشد حبا لله .**

ووصف المؤمنين بأن الله تعالى يحبهم ويحبونه :

**قل إن كنتم تحبون الله . فاتبعوني**

**يحبكم الله .**

ووردت كلمة الحب تعبيراً عن علاقة الرجل بالمرأة في قصة - يوسف وامرأة العزيز - فقط أما الهوى فلم يرد مرادفاً للحب إنما خصص بالميل إلى ما ليس صواباً .

**فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا .**

سئل الرسول الكريم عن الإيمان فقال :

**اللهم ارزقني حبك . وحب من يحبك .**

**وحب عمل يقربني إلى حبك .**



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ويهتم الحديث النبوي بالحب وحقه في أن يكون الرابطة الأساسية لبيت الزوجية ، ويتضح من قصة بريرة مع الرسول .

بريرة أمة زوجها سيدها يدعى - مغيثا - فلما اشترتها عائشة أعتقتها صار من حقها فسخ عقد الزواج . ولكن الزوج كان يحبها ويطوف خلفها ويكي ودموعه تسيل على لحيته . فقال لها الرسول وقد أشفق عليه : لو راجعته . قالت : يا رسول الله أتأمرني ؟ . قال : إنما أشفع . فقالت : لا حاجة لي فيه وقدم الحق على الشفاعة .

أما - عائشة بنت طلحت وهي من أشرف قريش ، ومن بني تميم وأمها ( أم كلثوم ) بنت أبي بكر وكانت لا تستر وجهها وقد عاتبها زوجها - مصعب بن الزبير - فقالت :

ان الله وسمني بميسم الجمال ، فأحبت أن يراه الناس ويعرفوا فضل الله علي فما كنت لأستره . والله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد . وقد رفضت الحجاب ودافعت عن السفور وكانت تلتقي الشعراء . والمرأة في صدر الإسلام لها حريتها وقد تتزوج ثلاث مرات أو أكثر في حين أن مجتمعنا لا يقبل مثل هذه الحالات .

## الحب مخبر التاريخ العربي

ردد الشعر العربي الحب لأنه تجربة إنسانية  
معقدة تدخل فيها انفعالات نفسية عديدة . وليس العرب  
في اهتمامهم بالحب وكثرة أشعارهم وقصصهم  
مختلفين عن غيرهم من الأمم . وقد أشادوا بشهادة  
الحب واهتموا بالوانه : الحب العذري ثم الحب الحسي  
الصريح وما يتوافق مع حضارتهم ذات الطابع العقلي  
والروحي والوجداني .

## العصر الجاهلي :

كان العربي تلقائياً مع المرأة . يحترم الأعراف  
القبلية ، ويستجيب للصبوة ما سنحت الفرصة وأمن من

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

العار وعرّف الحب في كل مستوياته : الحسي - العذري  
- الطبيعي - الشاذ . ويكثر في شعر امرئ القيس هذا  
الأثر من الحب .

### العصر الإسلامي :

لم يكن الحب أو العشق من الكلمات المحرمة ،  
وقد أعطى الإسلام إطاراً واسعاً للحياة الجنسية  
والعاطفية بين الرجل والمرأة ، وقد أنكر الزنا . وأباح  
الزواج بأربع و التسري بالإماء . وبدأ الموقف من الزنا  
يتراخى بعد - عمر بن الخطاب - وتخفّى الموقف في  
التسامح ودخل من باب الشعر وقد قال الله تعالى :  
(والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في  
كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون  
.)

### العصر الأموي والعباسي:

قسم الشعر الغزلي إلى :  
- غزل العذريين : جميل . قيس . عروة .  
- غزل الإباحيين : تغنى بالحب ولذاته عمر  
بن أبي ربيعة .  
- غزل عادي : جرير . والفرزدق .  
ومثل العصر العباسي ومجالسه المزدهرة : أبو  
نواس .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ففي التراث العربي الحب نوعان :

- الأول -** اعتبر الحب والعشق ظاهرة إنسانية ، والقلب يتعلق بالمعشوق .
- الثاني -** ما ألفه أهل التصوف فارتقوا من محبة جمال المخلوق إلى محبة خالق الجمال ونظرية الحب الإلهي نالت اهتماماً أكبر مما نالته نظرية الحب الإنساني . والحب لا يتوقف عبر العصور . ومصادره متنوعة . والتأليف في الحب كالحديث عنه . أو كالحب نفسه لا يتوقف إلا لبدأ من جديد.

وعبر عن الحب في مجالات مختلفة كالشعر و القصة والقول المأثور والنوادر . ومع تنوع مناهل الثقافة العربية بعد حركة الفتوحات وحركة الترجمة . وهناك قبائل عربية عرفت بالجمال ، وقد تغضب الفتاة لسمعة قبيلتها وتدافع عنها بأن تكشف عن جسدها حتى تبهر وتقنع .

ويروي أبو نواس حكاية في أرض فزارة فيقول :  
**ألجأه المطر مع صاحبه إلى خباء  
على بابه جارية مبرقة فحرض أبو نواس  
صاحبه أن يقول قولاً يجعل الفتاة ترفع**

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

البرقع ، فارتجل بيتين ذم فيهما ما يخفي  
البرقع من قبح وبشاعة ، فغابت الفتاة ثم  
عادت وقد كشفت الرقع وتفنعت بخمار  
أسود فاهتز أبو نواس لحسنها .

وقد عبرت رابعة العدوية بقولها :  
حيث تتجاذب أجزاء الكون بالمحبة  
وتتناغم وتتكامل كأعضاء الجسم البشري  
المنألف المحكم ، بذلك تقترب من فكرة  
الاتحاد الذي يتلاشى به المحب في  
المحبوب حتى يكون الرائي هو المرئي  
نفسه .

فالمحبة هي الصلة الطبيعية التي تصنع حالة  
التوازن والتجاذب بين الأفلاك على غرار الجسم  
الإنساني لأن المحبة قوة عاشقة .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

### الحب من الناحية السيكلوجية

عاش الحب حياته السرية مختفيا في الأقوال  
المأثورة وفي أعمال الشعراء الإبداعية وفي مؤلفات  
الفلاسفة والعظماء ورجال الدين المتصوفة وفي رسائل  
العشاق . وبدأ علماء النفس يكتشفونه من منشئه  
السيكلوجي لمعرفة طبيعة الحب ، وهل من الضرورة  
أن نشعر بالعاطفة تجاه شخص من الجنس الآخر ؟ وما  
معنى هذا التوق الشديد؟ ألا يمكن صرف العمر دون حب  
؟ ثم ما هو الحب وما معناه ؟ .

أعلن فرويد قديما عند تحليل الحب أنه جنس  
مكفوف الهدف، ولكن حديثا أثبتت الدراسات والتحليل  
كشف خفايا الحب النفسية . وكل منا يحب شخصا ما  
يأمل بصورة واعية أو لا واعية أن يكون محبوبا من قبل  
هذا الشخص .

سأل ضابط بحري فتاته عند وداعها قبل أن  
يمضي في البحر:

- أنتظرينني حتى لو لم أعدلسنين ؟

ردت الفتاة ردا رائعا  
- إن أردت أن أنتظرك .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فرغبة المرء أن يكون محبوبا هي أقدم من حافز الحب لديه، فالمغازلة أو التودد هي في الأصل عرض لا واع للرغبة، ولا تصبح ولادة الحب ممكنة إلا حين نضفي على شخص ما قيمة تفوق القيمة المضافة على شخص آخر. أما حين نعتبر شخصا ما مساويا لنا فكيف يمكننا أن نحبه؟.. فالحب لا يكون ممكنا إلا حين نعزو إلى شخص ما قيمة أسمى من القيمة التي نعزوها لذواتنا، حين نراه أو لا نراه. ولا يمكن تخيل الحب دون هذا المعنى المميز للقيمة. والحب يولد عندما يشعر شخصان بانجذاب أحدهما إلى الآخر، ولكن إذا كان الحب يولد في هذه اللحظة لا بد أنه كان موجودا في مكان خفي قبل فترة طويلة من ولادته، فالمحسوب هو البديل. أنه الوريث لمثال الأنا. وقد انزاح من ذات خيالية إلى شخص متخيل، ثم إلى شخص واقعي بخصال نادرة. والوقوع في الحب يعني أسر صورة متخيلة. وهذه الصورة هي التي تملي اختيار الحب.

دانتي لم يتعرف أبدا (بياتريس)، و (بترارك) لم يعرف (لورا) التي كتب لها سونيتاته المشهورة.

(مارك توين) وقع في صورة فوتوغرافية لفتاة لم يرها في حياته. فالصورة الحلمية لشريكنا المقبل تعيش وجودا مديدا مبهما. لأننا في البدء نحب الحب وحضور الحلم يولد أمنية وإرادة للقاءه مجسدا. إنني موجود فانه بإمكانني أن أحب وأن أكون محبوبا. ومن الواضح أن الشخص الذي تريده هو الشخص الذي تريد أن تكونه. فالحب يبدأ بصورة لا واعية بمثابة حسد وغيرة، فالحب ينبثق من روح الحسد والغيرة اللاواعيين، و يود أن

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

يتبادل المكان مع هذا الشخص الذي يثير إعجابه ،  
واستيق - غوته - هذا التبصر السيكولوجي حين قال :  
**في مواجهة التفوق الكبير للآخر . ما  
من دواء سواء الحب .**

### قال شاب عن فتاة متحفظة :

إنها تجعلني اشعر بالصغر وعدم الأهمية ، ولكن  
سوف اجعلها تحبني . فالمرء يعتقد أنه محب . بينما هو  
في الحقيقة يبغى أن يكون محبوبا من قبل هذا الشخص .  
فالحب ليس نشدانا للذات بل للذات الأفضل ، ومن يقع  
في الحب يتخلل عن طموحه إلى بلوغ الأنا المثالي .

وقد قال شكسبير :

**المجنون ، العاشق ، الشاعر ،  
جميعهم مصنوعون من الخيال**

أما الكاتب الفرنسي - بول جيرالدي - فقال :  
ان قصة الحب معركتها مع الزمن ،  
وأحيانا ما يدعوه الناس حبا ليس حبا أبدا .  
فالحب هو توك للرفقة ، واهتمام برفاه  
الآخر ، وقبول عيوبه . فالمحب يغار من



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

حرية محبوبة ، وهي لغة التملك في هيئة  
ساحرة من الحنان .

وقال سنتدال :

المرأة ذات الطبع السمح ، تضحى  
بحياتها من أجل عاشقها .

وقال باسكال :

للقلب أسبابه التي لا يعرف عنها  
العقل شيئاً .

والمثل الفرنسي يقول :

كل شيء يفنى ما عدا - الحب و  
الموسيقا .

### أهمية الحب في الحياة

قال سقراط :

ان حياة لم تفحص لا تستحق أن  
تعاش ، لأن كلاً منا يتساءل في أعماق ذاته  
: لم الحياة ؟ انه سؤال هام ومؤلم . قد  
يجلس أحداً ويخط كتاباً يصف فيه الحياة  
التي يصبو إليها . ويدون فيه النجاح

والفشل، الدمع والابتسام ، الحزن والفرح ،  
ومدى القدرة في التحكم برغباتنا . ترى ما  
هي الحياة التي نختارها ؟ . لأننا نعيش في  
صراع مع البقاء ، ونعيش بقوة الاستمرار،  
في فسحة الزمن التي يتاح لنا فيها أن  
نستمر . والبعض يخاف أن يجابه تلك  
الأسئلة ، وربما في الأجوبة نقول يجب أن  
نغير حياتنا ، علاقتنا ، مسكننا ، ولكن لم لا  
نغير ذواتنا ؟ . ربما كان في داخلنا ما هو  
أولى باهتمامنا ، فإذا كان الإنسان من  
أولئك الذين يعيش كما يريد الآخرون فهو  
يعيش ويموت ويبحث عن موافقتهم ،  
فالتغيير في نمط الحياة ليس تبديل الأشياء  
، إنما في تغيير الذات ، والبحث عن مبدأ  
الحياة في نفوسنا . لأن مبدأ الحياة هو كل  
هدف موجه لقرارات الإنسان لأنه يشمل  
كل تعرجات حياتنا اليومية ، وكل ملاحات  
الإنسان مبدأ للحياة تخف صعوبة القرار .  
وإننا كبشر نتحكم العادة فينا وترسخ في  
نفوسنا ، فهل حاول أحد أن يتخلص من  
بعض العادات السيئة ؟ .. لأن العادة تتحكم  
فينا ، وتحدد سلوكنا ، وتوجه أفعالنا .

فرويد يقول :

كل الأمراض العصابية تأتي نتيجة  
كبت . والرغبات مصدر طاقة للإنسان  
تظهر في دوافع عاطفية ، لذلك من  
الضروري تنظيم الرغبة .

أما الفرد ادلر - تلميذه فيقول :

إن كل إنسان فريد في ذاته وفي  
مشاكله النفسية ، وكل إحباط للرغبة هو  
دائما وراء كل مشكلة نفسية عند الإنسان .  
وكل علاقة فيها صراع للتسلط . فالطفل  
يحاول التخلص من سلطة والديه ، والزوج  
والزوجة يحاول كل منهما السيطرة على  
الآخر ، وكل هذه تبدأ بمركب نقص ولدى كل  
إنسان رغبة في التعويض عن شعوره  
بالنقص . من خلال طفولتنا ولكن تبقى  
لكل منا قدرة العيش الحر ، واتخاذ  
القرارات واعتناق القيم ، وهذا ينبع من  
ذواتنا ، ولكن كم من الناس لهم القدرة على  
تسيير حياتهم أو تغييرها .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

والكثير يلجأ إلى الأعذار لتبرير هروبهم من المسؤولية ، أو شعورهم بالعجز في مواجهة تحديات الحياة ، والبعض يقول : المشكلة فيما أورثني الآخرون والتربية التي تلقيتها وهؤلاء وقفوا من الحياة موقف المتفرج لذا نسال دائما :

أما سكينز عالم النفس المعاصر فيقول :  
إن الإنسان نتيجة حتمية لتأثيرات البيئة عليه ، أي تأثير الفاعل المحيط ، وقدر الإنسان لا يمكنه من انتقاء أي شيء .

فنظرية السلوكية تلتقي بالنظرية الحتمية . فهو موقف من قرر الانتظار لما تخبي له الحياة . أي موقف المتفرج . لأن كل شيء تقرر بمعزل عن إرادتنا ، فما من إنسان يتمتع بحرية أو بمسؤولية . وما من شك أن في نظرة كل من هؤلاء العلماء الثلاثة بعضا من الحقيقة ، لأن في داخل كل منا ما يدفع نحو اللذة و الرغبة ويشد نحو التسلط ويترنح فينا رداً الفعل والأفكار المسبقة ، والمخاوف المعدّة ، وأن حدودنا وضعت لحرمتنا خلال طفولتنا ولكن تبقى لكل منا قدرة العيش الحر ، واتخاذ القرارات

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

**واعتناق القيم ، وهذا ينبع من ذاتنا ولكن  
كم من الناس لهم القدرة على تسبير  
حياتهم أو تغييرها ؟..**

والكثير يلجأ إلى الأعذار لتبرير هروبهم من  
المسؤولية ، أو شعورهم بالعجز في مواجهة تحديات  
الحياة .

والبعض يقول :  
المشكلة فيما أورثني الآخرون والتربية  
التي تلقيتها وهؤلاء وقفوا من الحياة موقف  
المتفرج لذا نسأل دائماً :  
ولم لا نتخذ من الحب مبدأ في الحياة ؟..  
وهذا الالتزام هو الطريق الوحيد للتلاءم مع الحياة

يقول ايراك افرام في فن الحب :  
**الحب غير المشروط هو أعمق ما  
يتوق إليه الإنسان ، وهو الذي يحرر الإنسان  
، وحبنا للشخص لا يفرض عليه طريقة ما .  
أو تفكير ما . وقد تختلف آراؤنا ولكن تبقى  
مشاعرنا ، والذي يساعد الإنسان على  
الانفتاح هو الحب غير المشروط .**

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أظهرت دراسة حديثة أن 80% من السجناء في الولايات المتحدة هم أناس تعرضوا للعنف في طفولتهم . وعلم النفس الحديث كشف أن الحب غير المشروط هو المناخ الأفضل للنمو الشخصي مع الإرادة الحرة . وعندما نفكر في الحب المشروط يتبادر إلى ذهننا صورة الأهل الذين يظهرون الحب لأولادهم فقط عندما تتحقق الشروط التي فرضوها وعندما يحصل الأولاد على علامات جيدة ويطيعون كل الأوامر ، وبهذا يصبحون مصدر فخر لأهلهم . وكذلك تعامل الأزواج ، فيظهر الرجل حبه لزوجته فقط عندما تقوم بما يرضيه ، وتظهر حبه لها عندما يلبي حاجاتها أو يصحبها إلى سهره أو شراء فستان ما فتصبح الحياة مقايضة تبادل صفقات . وهذا هو الحب المشروط المقترن بالترويض والمكافأة . أي نعطي المكافأة لمن نود التحكم بسلوكهم ليسيروا في الطريق الذي نرسمه لهم ونقدم لهم الهدية التي نريد . ونحركهم ضمن الإطار الذي انتقيناها لهم . فالحب غير المشروط يفسح المجال أمام المحبوب ليكون أكثر صدقا وأكثر حرية . فالحب وحده لا يكفي لأنك لا تستطيع أن تعيش لتعكس صورة من يحبك بل عليك أن تتمكن من أن تكون ما تريد أنت أن تكون أي أنا لا أريدك أن تحبني بسبب ما يمكنني أن أقدم لك . أو أنني أتجاوب مع ما تتغيه مني ، أريدك أن تحبني كما أنا . فأنا لا أبيعك نفسي لأشتري حبك . الحب غير كاف ولا يمكنك أن تعيش لتكون صدى لحب إنسان آخر .

يقول جبران :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الحب غير المشروط لا يعني التصاق  
جزيرتين في أرض واحدة، ان علاقة الحب  
في رأيه أشبه بجزيرتين منفصلتين تغسل  
مياه الحب الواحدة شاطئيهما

أما رالك فيقول :

الحب أشبه بشخصين كل منهما في  
وحدة ، قررا أن يتقابلا فيحمي أحدهما  
الآخر . ويلتقيان في عمق ذواتهما ، وقد  
يتخلى أحد الشخصين عن هويته الشخصية  
للآخر ربما لحاجة عميقة إلى حماية الآخر  
وهذا لا يكون أبدا باسم الحب الحقيقي ،  
هذا يعني أن حبي لك لاينفي حبي لذاتي ،  
وقد أبذل ذاتي في سبيلك لأنني أحبك، وأن  
تكون العلاقة مبنية على الانفتاح والصدق  
فتصبح جزءا لا يتجزأ من حبي لك .

وبذلك يحس أحدنا بالأمان مع الآخر ، وبذلك يبقى  
لي الحق أن أعبر عن أفكاري ومشاعري وأن يكون لي  
اختياري أي يكون لي حريتي الشخصية بحيث أحترم  
حقوقك وتحترم حقوقي وأن نحب الأشخاص دون أن  
نغير حياتهم ، ولا يحق لي أن أساوم لا في سلوكي ولا

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

في علاقتي معك ، فالحب ليس أن تعمل دوما لإرضاء الآخرين ، إنما حبي للآخر يقدم خلاصة ذات صادقة .

### القوى التي تحرك الحب

يقول أولرينج شافر :  
عندما أقبل أن أكون حرا ، أبدأ بتكبير ذاتي ،  
وعندما أتبع نزواتي القي بذاتي في القيود ، أعمل مالا  
أريد . وأوقع نفسي تحت رحمة نفسي ، لأن حريتي تصبح  
عبئا علي ، وأصبح مرغما على القرار ولا قدرة لي عليه ،  
فتغدو حريتي سجنا جديدا فالحرية أجدها فقط في  
الخيوط التي تشدني إليك .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ويمر الحب في مراحل : اللطف ، التشجيع ،  
التحدي

الحب فن - فكما أن الفنان يتخذ لنفسه وسائل  
ليحدث بها تأثيراً على الآخر فعلى الفنان المحب تحسس  
الواقع ومعرفة متى يكون اللطف والتشجيع والتحدى

**اللطف :** هو الاهتمام بسعادة من تحب وتثيئته  
في قيمته الشخصية ، أي يجب أن يكون  
الإنسان على يقين أن الآخر يريد سعادته ،  
وعليه أن يفسح المجال أمامه كي يلج إلى  
داخله لأنه شخص يتمتع بقيمة فريدة  
وكأنه يقول له :

**إني سأكون في جانبك لأنك**

**مهم في نظري**

**التشجيع :** قال أحدهم : أعط الإنسان سمكة  
فتكفيه ليومه ، وعلمه اصطيد السمك  
فيكتفي من الطعام طيلة حياته ،  
فالشخص الخجول والمتردد يصادف  
متاعب في حياته ويتمنى أن تتحمل عنه  
أعباء ما يواجهه ، ويحاول أن يحمل أثقاله  
للآخرين ولكن يجب تشجيع ذلك الشخص  
بأن نرسخ وعياً أعمق لقدراته وقوته  
وكفاءته الشخصية والتشجيع يوحى له :  
**أن لديك القدرة على النجاح في ما  
تعمل ، فيوفر له الإيمان بنفسه**

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

**والثقة بقدرته على مجابهة  
المشاكل ، وإحساسا بالاستقلالية  
والحرية .**

**التحدي :** بعد إظهار العطف وتثبيت الشجاعة  
يجب أن نشعره أننا إلى جانبه ولديه  
القدرة على النجاح فيما يعمل ، فيبدأ بنزع  
الخوف منه ويطلق شعوره المكبوت و  
بذلك نساعد على وعي قدرته بالتحدي ،  
فنقول له مثلا : حاول . اعمل على تحقيق  
ما تريده . فإذا نجحت أو فشلت أنا دائما  
معك .

**يقال : حيث يكون الحب يحلو التعب ويتبدد  
العناء ، والحب يقسم العناء إلى اثنين ، وكم  
نرهب الأشخاص الذين نحبهم ولكننا نشرب نخب  
الحب دائما لأنه سر معنى الحياة .**

**يقول - اليوت :**  
**كم يصعب على الإنسان أحيانا تحمل  
الواقع . والإنساني يحاول دوما أن يحول  
واقع الحياة إلى عمل أدبي .**

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

حقيقة الحب منبع ارتياح ، ولكنه في الوقت نفسه تحدٍ عظيم. الحب يتحداني في الحال حين أخرج من ذاتي إلى قمة العطاء في سبيل شخص أو قضية ، وهذا يحتم على الإنسان أن يتخلى أحيانا عما يسعده ليتمكن من الاهتمام بحاجات من يحب . الحب يعلمنا أن نأخذ ونعطي دون حساب ، إنه يتخطى العدل ، لذلك تتحدى علاقة الحب الحقيقي تلك التي تداهم أنانيتنا ، وهي في الحقيقة الجسد الذي عليه نعبر إلى الاكتمال الإنسان ، وسر ما يحمله الشعر والفكر والإيمان له المعنى الأكبر لأن فيه خلاص الناس وهذا الخلاص لا يكون إلا في الحب و خلال الحب .

يقول فرويد :

الصحة النفسية هي القدرة على العمل وعلى الحب لا تسأل عن الضعف فينا بل عن حبنا . الحزن كل الحزن في أن نعبر الحياة من غير أن نحب ، والحب يمنحنا قوة المحافظة على القيم وعدم المساومة عليها والوقوف بصدق أمام الذات . والانفتاح على الآخر يجعل المرء يعي أن إحساس وجوده في الحياة دعوة إلى الحب ، وكل منا يشكو آلام الوحدة ، ويتخبط في ضيق نفسي وعطش روحي ، والإنسان إذا حرم الدفء والحب والحنان يبقى منغلقا على

## ذاته ويفشل في الحياة ويفقد رغبة العيش

يجمع علماء النفس أن أهم أسس شخصية الإنسان تتكون خلال السنوات السبع الأولى والجراح النفسية التي قد تصيبنا في هذه السن تترك آثارها الدائمة في شخصيتنا ، وهناك ثلاث مشكلات عاطفية نعايشها جميعا ، وتختلف أهميتها من شخص لآخر ومنها :

القلق ، عقدة الذنب ، عقدة الدونية ، وأهم ما يحتاجه الطفل أن يتعلم بالمثل وليس بالكلمات الجارحة والضرب . لأن الطفل مقلد أكثر منه مفكراً ، والانتقاد اللاذع يجعل قيوداً له وكأنه يحاكم ، وهذا ما يؤدي إلى خموله وفشله وتعاسته . فالطفل الذي يفتقر إلى حب والديه تأتي ردة فعله إما انصياعاً لأوامرهما أو ثورة مكشوفة عليهما فيقع في أزمة عاطفية عميقة تؤدي إلى الكبت . فالشخص الذي يكبت يبحث عن رغباته بأساليب ملتوية وبارعة لا تخلو من الكذب على الذات ويضطر أن يلجأ إلى الأقنعة والتمثيل فيقضي على نموه كإنسان وينضج ويكبر معقداً .

**مثلاً :** الطفل الخائف يصغر ليلاً أمام موقف مرعب محاولاً إيهام نفسه والآخرين بأنه غير خائف ، وليس من السهل اكتشاف الأقنعة فوراً واختراق جدار الادعاء الزائف حتى تتمكن من تخفيف آلام وحدته وفراغه النفسي . فالنضج هو القدرة على الانفتاح على الآخر والتعامل معه بنجاح ، أما عدم النضج فيظهر في أشكال متعددة : كالحقد ، الغضب أو قد يتحول إلى

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أعمال عنف وتخريب، أو يظهر بأسلوب آخر، الاتكالية، المماثلة، التهريج، والمزاج الرخيص الذي يحقر الآخرين. فالنضج الإنسانية يميز في أربعة أوجه:

النضج العقلي، النضج العاطفي، النضج الاجتماعي، النضج الأدبي. ويتحدث علم النفس عن مستويين في العقل البشري: الوعي واللاوعي، فعندما يتعذر علينا أن نجابه واقعاً ما في ذواتنا نرمي به إلى اللاوعي، وحين نريد أن ننسى حدثاً وقع لنا في حياتنا نرج به إلى اللاوعي ويسمى (قمعاً).

وعندما نعي ما في ذواتنا من ردة فعل عاطفية أو موقف لا يليق بنا نطرحه بعيداً في اللاوعي ويسمى (كبتاً)، فيرزع الوعي تحت ثقل هذه الأمور ويسبب التعب النفسي من الأشياء المدفونة حية في داخلنا.

وقد قال أحد الفلاسفة:

حين تتبع أهدافنا ونلبي حاجاتنا فكأننا نصعد سلماً تعددت درجاته، تمثل السفلي منها الدوافع الأساسية عندنا، تلك التي تحثنا على المأكول والمشرب والاجتماع من المخاطر الخارجية التي تهددنا. أما الدرجات الوسطى فهي تمثل حاجات وأهدافاً أكثر إنسانية، حاجات أرفع - كالكرامة - والانتماء والحب - وفي قمة السلم تقع أرفع طموحات الإنسان - الاستقلالية والتفوق - وتسمى تلك الحالة تحقيق الذات، وقد

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

لا نبلغ القمة أبداً لكن التوق إليها ينعش مسيرتنا  
ونكون أكثر إبداعاً في التوق إلى ما لا نملك .  
وربما أطول رحلة في الحياة هي الرحلة داخل  
الذات إلى غور الكيان وصميم الوجدان .

أما عالم النفس - يونغ - كتب في كتابه ( ذكريات  
وأحلام وأفكار ) يقول :

كلما أطلقنا الدعوة إلى الولوج في أعماق الخبرة  
الداخلية عندنا إلى المحور الأساسي لشخصيتنا تملكنا  
الرعب وتهرب العديد منا. فالمغامرة في الولوج إلى  
خبرتنا الداخلية مغامرة الروح وتبقى خارج متناول غالبية  
الناس .

### أزمة الحب المعاصر

قال مكليش :

إن في أيامنا أزمة حب وقد بدأنا  
نشعر بها ببطء وألم ، إنها لم تصب منا  
الأيدي بل أصابت القلوب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فالحب هو في الحقيقة السبيل إلى اكتمال الذات ، وبالحب نصمد أمام كل تجارب الحياة ، وهذا الحب يكون دون شروط وهو السبيل إلى الفرح الحقيقي ، ولكن أزمة الحب تواجه المجتمع المعاصر، لأنه لم يطوب الحب كمبدأ للحياة ، والسبيل إلى تحقيق معنى ما .

يتساءل الكثيرون هل إمكانية وجود حب حقيقي دائم والأكثر رواجاً في هذا المجتمع اعتناق السبيل لإشباع اللذة ، وتلبية الرغبات ، والتمسك بالمادة ؟.. وأخذ العديد من البشر يعيدون النظر في تقويم منهجهم في الحياة ، فيتساءل الإنساني في العصر الحديث :

### ماذا جنيت لنفسي ..؟

ويعيش في هاجس الخوف والقلق والضيق والبحث عن السبيل التي توصله إلى الغنى ليغرف من الحياة ما تطاله يده أي أصبح الاهتمام - بالأنا - فأصبحت الحياة كصراع في سباق لقطع الأعناق، واقتلاع الجذور القديمة وخلق ذات جديدة لاتهتم إلا بالسعادة الشخصية وهذا أدى إلى الإفلات من عهود المودة والتواصل ، بل جعل العديد من الرجال والنساء على النظر إلى أزواجهم وعائلاتهم وكأنهم عقبات في سبيل تحقيق ذواتهم وبذلك بدأ الإنسان يتجرد من ميزاته الإنسانية وسببت له عذابات تقض مضجعه وتشوه ضميره . وإذا شاء الإنسان أن يعيش الحياة يجب أن يبحث عن معنى للحياة . وهذا ينطوي على سلم للقيم وبذلك يفتح على كل الخبرات الممكنة ويختار من يحقق له ما يصبو إليه من أهداف ،

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

والتوق إلى الاختيار يدفعنا إلى أن نعرف من الحياة كل ما نستطيع ، وهذا يقودنا إلى اضطرابٍ داخلي ، ويتركنا في حال تفككٍ فتنحطم أحلامنا وتتبدد آمالنا .

كتب أحدهم : دون أمانة لا مجال لعلاقة حقيقية ، ويعاني الإنسان من فراغٍ عندما يلجأ فقط إلى المأكل والمشرب والعيش المرفه كسبيل إلى تحقيق الذات . وهذا ما يجعل الإنسان عاجزاً عن بلوغ الكمال وإعطاء معنى لحياته ، فالأنانية والتركيز على الذات يقودان إلى فقدان الذات لأننا نأخذ عندما نعطي ، حين أهب ذاتي في الحب ذلك يخلق لدي شعوراً بالفرح ويجعل حياتي تثمر وأعيش ولدي ذكريات جميلة وفرح بأنني أسهمت في إنعاش الحياة وحياة الآخرين بالحب . وتحقيق الحب يتطلب وقتاً وهو يفرض تاريخاً من العطاء والأخذ . من الضحك والبكاء ، من الحياة والموت . فالحب يعني إيماناً بشخص أو قضية ما .

قال الشاعر فريتر :

**أعمل ما يحلو لي**

**وتعمل أنت ما يحلو لك**

**فأنا ما أتيت إلى الحياة كما تنتظر أنت**

**مني**

**ولا أنتظر أن تعيش كما أرب أنا منك**

**أنت تكون ذاتك وأنا أكون ذاتي**

**وإذا حدث أن وجد أحداً الآخر فذاك**

**جميل جداً**



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

هذا يوضح لنا حاجة الإنسان إلى الاستقلالية  
والتعبير عن ذاته .

لي أفكاري ومشاعري ولي الحق أن أعبر عنهما  
بحرية، ولكن العلاقة بالآخر يجب أن تكون ضد الاتكالية ،  
و ضد تحويل العلاقة إلى استئثار بالآخر ، لأن الاتكالية  
والاستئثار بالآخر كلاهما بعيد كل البعد عن الحب  
الحقيقي .

أما شعار ( **دع كل إنسان يعيش على هواه** )  
فإنه يتجاهل حقيقة بالغة الأهمية تتناول الوجود البشري  
لأن حياة الإنسان واكتماله الذاتي مرتبطان بالعلاقة مع  
الآخرين . والاكتمال الذاتي الحقيقي لا يتم إلا خلال الحب  
، والحقيقة تبدأ مع اثنين .

إِذَا لَمْ نَحِبْ .. تَنْتَفِي أَسْبَابَ الْحَيَاةِ

الحب يساعدنا على التعامل بنجاح مع مشاكلنا ،  
ويعلمنا أن نجابه الواقع . وعندما يخرج الإنسان باحثاً عن  
الحب يجعل من نفسه محوراً لكل شيء ، وإذا عرف  
كيف يعطي الحب وجد نفسه متمتعاً مع الآخرين . وبذلك  
يوسع آفاقه ويركز تفكيره على حب الآخر والاهتمام به ،  
وبذلك سيكون محبوباً بدوره . يقول السيد المسيح :

**الكسب الحقيقي هو فقط في**

**الحب المجاني**

لن يجد الإنسان ذاته إلا بقدر ما ينساها لأن  
الحب مكلف جداً ومتطلب جداً ، فالآلام الداخلية

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

التي ورثناها ، والتناحر والمادية التي تعم عالمنا كل هذا يزيد من صعوبة التضحية التي يفرضها الحب ، ولكن أيضاً لا حب خارج التضحية . والإنساني المحبوب هو ذاك الذي ترك نفسه ينفذ للحب ، والحب يقتضي أن أتعلم كيف أهتم بحاجات من أحب دون أن أكون صدى لحب آخر . ولكن كيف نحب إذا لم نشعر بحب الآخرين لنا ؟.. ففي كل منا قدرة على الحب ، وقدرة على نقل التركيز من أنفسنا من حاجتنا إلى سعادة الآخرين ، وبقدر ما نفعل ذلك نفتح المجال لتلك القدرة فينا لتتحرر ، وبذلك نختبر الحب . وهذا هو التحدي الذي يواجه كل منا .

وعندما نبدأ نسأل :

ماذا عملت في سبيلي يكون الحب قد

انتهى !.

الحب الحقيقي يبحث عن خير الآخر ، الخير المطلق للإنسانية في عالم جشع يبحث المرء فيه دوماً كيف يعرف المال ، ويجمع الخيرات بأي وسيلة .

والحب أقوى حجة للإنسان يجابه بها الشرور الكثيرة وهو أسطع نور لهذا العالم المعتم . والحب هو

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

النهاية لأن منه ندرك معنى أكبر لسر يحمله الشعر و  
الفكر و الإيمان .

**لا خلاص للإنسان إلا في الحب وخلال**

**الحب**

وعندما طلب من فرويد أن يحدد - الصحة النفسية

- قال :

**إنها القدرة على العمل والحب**

أما أدلر فقال :

كل إخفاق بشري إنما هو نتيجة لانعدام الحب .  
والآثار المكبلة لحياة لا تعرف الحب نجدها في

عيادات الأطباء النفسيين ونستطيع القول :

**إننا سنقتحم الحياة بالحب ، وسوف ينتصر .**

**والحرية أحدها في الخيوط التي تشدني**

**إليك .**

إله الحب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

بعد أن تغلبنا على الرياح .. والأمواج ،  
والمد والجزر .. والجاذبية سيأتي يوم نحشر  
فيه لله طاقات الحب .

آنذاك وللمرة الثانية في تاريخ البشرية  
يكون الإنسان قد اكتشف النار

بيار شاردن

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

### الاتجاه الرومانسي عند المتيمين

الحب الإلهي أخص خصائص التصوف الإسلامي بعد وصوله إلى طور النضج والمحبة والمحبين ينشدون شعر العذريين ويتمثلون به . وليس من شك أن المجنون وكثيراً وجميلاً أحبوا و وحدوا محبوبهم وتعففوا وأفنوا العمر وفقاً على محبوبة واحدة ، واسترخصوا العذاب في سبيل العشق .

والقصة واحدة ، حب حالم مضمّن تحول الظروف دون زواج فيوهب العمر للناس والتعذيب ويتحول العاشق إلى شريد هائم يناجي الحبيبة الضائعة بأشعار خالدة ، ولقد اعترف العذريون بأسبقية هؤلاء المتيمين الجاهلين .

يقول المجنون :

**عجبت لعروة العذري أضحى**

**أحاديثاً لقوم بعد**

**قوم**

**و عروة مات موتاً مستريحاً**

**وها أنا ميت في كل**

**يوم**

أما عنتره فيقول :

ولقد ذكرتك والسيوف نواهل  
مني وبيض الهند تقطر من  
دمي  
فوددت تقبيل السيوف لأنها  
لمعت كبارق ثغرك  
المتبسم

والمرقش الأصغر ( ربيعة بن سفيان ) ، أحد  
عشاق العرب لصاحبه فاطمة بنت المنذر قطع سبابته  
من حبها ودارت به الأرض.

يقول عبد الله بن العجلان :  
أتني سهام من لحاظ فأرشت  
بقلبي ولو أسطيع رداً  
رددتها

هكذا نجد أن الوجدان العربي لديه استعداد للحب  
البريء الحالم المضمي . والذين يزعمون أن الحب  
العذري نشأ في البيئة العربية نتيجة أفلاطونية فهم  
مخطئون . إن الحب العذري نضج واكتمل قبل نهاية  
القرن الأول الهجري ولم تكن الثقافة اليونانية بعد قد  
عرفت طريقها إلى البيئة العربية .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

والطاقة الروحية امتزجت بهذا الحب ودفعته إلى  
الطهر والتعفف ، فعرف العربي حبا أكبر هو الحب  
الإلهي .

يقول الشبلي :

قيل لمجنون بني عامر : أتحب ليلى ..؟ قال : لا  
 ، قيل له : لِمَ ..؟ ، قال : لأن المحبة ذريعة للوصلة وقد  
 سقطت الذريعة فليلى أنا وأنا ليلى .

أما الجنيد عند شرحه لشطحات البسطامي :  
 مثل مجنون بني عامر : إذا نظر إلى الوحش  
 يقول : ليلى وإذا نظر إلى الجبال يقول : ليلى ، وإن  
 نظر إلى الناس يقول : ليلى ، حتى إذا قيل له ما اسمك  
 ..؟ وما حالك ..؟ يقول : ليلى .

وقد قال :

**يشهد الله على حبي لكم  
ودموعي شاهد لي و**

**الحزن**

**قلت : يا سيدتي عذبتني**

**قالت : اللهم عذبتني**

**إذن**



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وقال :

كتاب موله

كتبت إليك من بلدي

كمد

بين

يؤرقه لهيب الشوق

السحر والكبد

و يمسح

فيمسك قلبه بيدٍ

عينه بيدٍ

لمحة عن شعر : عمر بن أبي ربيعة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

من شاعرية عمر :

قالت الكبرى : أتعرفين الفتى

قالت الوسطى : نعم !

هذا عمر

قالت الصغرى : وقد تيمها

// قد عرفناه // وهل

يخفي القمر

كان عمر يتغزل بأكثر نساء قريش ، ولم يترك  
امرأة شريفة إلا وذكرها بشعره وتغزل باخت الخليفة  
عبد الملك وابنته ، وعائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت  
الحسين و لبابة بنت العباس وغيرهن .

ولم يكن يتصور المرأة إلا أنها مكملة للرجل ،  
وكان عمر صديقاً للمرأة بالمعنى الحديث ويريد لها  
الحرية مثل ما يريد لها للرجل ، ويريد أن تكون صلة الغزل  
بين الرجل والمرأة صلة ظاهرة لا حرج فيها ولا جناح وأن  
تظهر المرأة جمالها وفتنتها كما يظهر الرجل فخره  
بشجاعته وبأسه ، حتى تزول الفروق بين الجنسين وألا  
يكون بينهما حجاب .

ولم يكن عمر يفهم موسم الحج إلا أنه - معرض  
إسلامي للجمال - فيحصى عدد النساء و يترصدهن ثم  
يصبح مصدر لهو وطرب لهذه الأرستقراطية المترفة  
، وتذاع أشعاره بين المغنين ، فيصبح موسمه ، موسم  
شعر وغناء في الحجاز . وكان عمر يرى الجمال في

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

عشيقته ويميل إليها وكلما أحب امرأة أحس أنه لم يحب  
قط امرأة كما أحبها ، وإنه لن يسلو عنها ، ولا يلبس أن  
يقول الشعر حتى يحب امرأة جديدة حباً لي له بمثله  
عهد ، والنساء مفتونات به .

نجد عمراً فيه شبه من أهل الأدب الحديث وهو  
صورته الصادقة رغم فروق البيئة والجيل .

الشاعر الفرنسي بيرلوتي شديد الشبه به ، وقد  
ألف كتباً في فتيات القسطنطينية ، وكذلك يوجد شبه  
بينه وبين الشاعر الفرنسي الفرد دي موسيه كلاهما  
أوقف حياته وشعره على المرأة وحبها والتغني بجمالها .

# الفصل الثاني

## الفن والأدب

## الفن والحب

الحب يتبلور في الأثر الفني لأنه في أكثر الأحيان طاقة أولية، ويدخل في صميم حكايات المبدعين وملهومات الفن . وهناك علاقة عميقة بين الحب وبين إبداع بعض الآثار الفنية الكبرى . ولقد تساءل أحد الكتاب المعاصرين :

### لماذا يبدع الفنان .. ويكتب الأديب ..؟

قد يكتب بعضهم رغبة في أن يتحدث عنه الناس ، أو أن يكسب رزقه أو ليحارب بعض الأخطاء ، أو ليناضل في سبيل قضية ، وقد يكتب لأنه يشتهي أن يكتب فالكاتب هو رجل عمل ، وهناك مؤلف خصب ، ومؤلف عقيم . وقد يمر الأديب بمراحل متنوعة من الخصب والعقم ، أما الفنان الحقيقي فهو الذي يحمل في أعماقه بذرة حياة تنمو وتكبر وتتكامل ، وهناك تعايش مدهش بين الفن والحب . وحب المرأة الملهمة يوحى برغبة ذاتية ، ويظل وفياً للروح الجميلة لأن هذا العشق النقي كالحب السماوي ، والحب بمفهومه مزيج من الجسد والروح للارتقاء إلى الجمال ، أو أحياناً هو الذي يخلق الجمال ، فالحب يصحب الفن ، وكأنه إيقاعه الموسيقي الطبيعي . والمرأة المحبوبة هي بذرة الأثر التي تنضج في نفسه لأنها بذرة الروحي . وفقدان

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الأصالة في الفن يعني فقدان الصدق الداخلي .  
والعندليب لا يغرد إلا عندما يحب ، والطبيعة حين تمجد  
الربيع تمجد الحب والفرح الناجم عنهم .

يقول روجيه :

لا المطر ، ولا الريح يمنعان قلبي من  
التفكير بالشعر ، والزمهرير الشديدلا  
يحرمني من الغناء والضحك ، لأن الحب  
يقودني ويسكن قلبي ولا شيء غيره  
يحينني .

أما برنار يقول :

ليس للشعر أي قيمة إلا إذا انبعث من  
سويداء الغؤاد ، والفنان قد يعشق في كل  
الفصول لأن في قلبه تجديداً سرمدياً ،  
فالمرأة صيف أبدي ، وربيع سرمدي

ويقول بودلير :

عالم الأنوثة هو الخصب المستمر  
لولادة فن كبير، والفنان يحب ويبدع حبه  
في فنه وينجب بكيانه الجمال.

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فالمبدع ينفق قدراً من الفن في الحب يعادل قدر  
الحب في الفن . ومعايشة الفن والحب معايشة واحدة  
تنشأ عنها تحولات عميقة في الطبيعة الخاصة بعناصرها ،  
وكل ما تنطوي عليه قصص الفنانين من إخلاص إنما هو -  
إخلاص للفن ، لأنه لا يتبغي الحب بل يتبغي الأثر الفني .  
وفي هذه اللقاءات يصاب الحب وحده بجراح عميقة ،  
لأن الحب يعتبر غاية ثم ينحدر إلى رتبة الوسيلة والأداة .

كان أحد أصدقاء الرسام - برنار - يقول له وهو  
يجده في مرسمه :

**- إذن ما زلت ترسم دوماً ..؟**

ويجيبه برنار :

**- وماذا تريد أن أعمل ..؟**

فلو دفعنا أجر العمل الذي يفرضه الفنان على  
نفسه يظل مجانياً ، فمن ينحت أو يرسم أو يؤلف لكسب  
رزقه فقط إنما هو يمارس مهنة شريفة فقط ولكنه ليس  
بفنان لأن الفنان لا يرضى أن يعيش من فنه إلا إذا  
اشترى منه من حيث أنه فن ، وتلك هي مغامرة حياته  
الكبرى ، فإنه لا يرغب أن يعترف الناس فقط بالجمال  
الذي يخلقه بل إنه يحتاج أن يكون هذا الجمال حقيقياً .  
والفنان لديه فترات جفاف وفترات خصب . يقول أحدهم :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

هناك أوقات يغيب فيها الفكر وتقع الريشة من الأصابع وعبثاً أبذل جهدي لأعمل ، لأجتمع بأفكاري وأسودّ البياض .. الإلهام يموت .

الفنان والقديسي إنسان واحد التضحية بالذات . الزهد بالدنيا ، وقبول الأذى والجرمان . فالفنان يدع كل شيء في سبيل الفن، يضحى بأسرته ، بأهله ، ويضحى بذاته في سبيل الفن .

قال أندريه جيد :

من لا يضحى بكل شيء في سبيل الفن  
لن يدخل ملكوت السماوات فالإنسان  
الذي يتخذ من نفسه فناً يجعل من نفسه  
راهباً . والفنان أحياناً يرضى بممارسة مهنة  
ليعيش منها ولكنه يشعر أنه تعيس ولا  
يعرف الطمأنينة إلا إذا ترك كل شيء  
وانصرف بكيانه كله إلى ما يحب . والفنان  
يتواضع أمام فنه حتى ولو كان متعجرفاً مع  
الناس ، لأن حياته تختلف عن حياة غيره ،  
لأنه يسعى إلى إبداع كائنات أكثر حقيقية  
وأجمل . والفنان وحده هو الساحر الذي  
يكشف الجمال .

ويسمي - شارل كوند - عالم الفنان - ملكوت  
الإنسان .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

ويقول باسكال :

إن عالم الفنان عالم تأمل ، وكل شيء فيه يخفي سرّاً ، وكل إشارة لإشارة ، إنه عالم قدسي .

وقد قال أفلاطون :

ليس الواقع الحقيقي الذي يطلبه الفنان هو الواقع الذي يراه ، بل الواقع الذي يصنعه ، لأنه يتنبأ بالقوى الخفية ، والأشياء اللامرئية ، فالفن كالحب سرّاً يفسر ، ويسمو فوق الواقع ليصنع واقعه الخاص . وعظمته لا تنفصل عن البؤس الذي يعاني منه ، والفنان يلقي غايته الخاصة في كمال آثاره لا في كماله الشخصي . فالرسام في رسومه يصبح ذاته كلها ، والشاعر في قصائده والموسيقيار في لحنه .

ويقول جيد :

لم أعد أعرف من أنا ، أو إذا شئت لست أنا أبداً ، بل أنا أصير لأن أناه هي صيرورة .

ويقول مورياك :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

### إن الفنان يتخذ من عمله وثناً فيلتهمه الوثن . فالفنان محبوس في دائرة الفن المحصنة .

ميكائيل أنجلو طغى بآثاره بأكثر مما تستطيع  
الصلاة أن تقولها وحدها .

ويبقى الفن في نظر الفنان النهاية القصوى الذي  
يقود إلى القداسة . ألم يكن ميكائيل أنجلو يتعبد بيديه ..؟

ويبقى صراع الحب مع ذات الفنان في قلب  
يتمزق تمزقاً أليماً، وللفن موهبة الدموع كما للقداسة ،  
وتنفجر عند سماع غناء جملة من موزارت أو بيت شعر  
من طاغور . أليس الشعر صلاة عندما يكون أنقى شعراً  
..؟ وينبع من الرغبة العميقة للصلاة ؟.. لذلك كانت  
الحبيبة للشاعر هي - الكشف وهي المرأة الأزلية - التي  
تجسدت فيها آلهة الفن . فالفنان يحب الوعد لا الكشف ،  
والأثر هو إنجاز الوعد .

أما المبدع الحقيقي فيندهش بإبداعه ، بالأفكار  
والأفعال التي تستقي أصالتها من التجديد والابتكار وذلك  
بمحاورة - الجمود والتكرار - لأن للعادة تأثيراً سيئاً فهي  
تقلص الشعور وتمحو الدهشة والاستغراب . فالإنسان  
حليف ما ألف . وربما يجعله الجمود يقتنع بأن كل حقيقة  
أو قيمة لا تتجاوز ما عرف . فالفنان الذي يخلق حالة  
الدهشة - في اللوحة أو القصيدة أو اللحن - لا يجعلنا نقرأ  
القصيدة أو نرى اللوحة أو نسمع اللحن ، إنما يولد

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

لدينا إحساساً بالجمال ، وشعوراً بالتواصل الدائم مع إبداعه .

فالمبدع يستكشف من عالم ذاته ما يسمى - بلغز الإلهام - أو الوحي والإشراق أي استشفاف الجمال في كل ما خلق من أنواع الفنون ، وأنواع المعرفة . وهذا الإحساس يجعله يعيد إلى الرواسم بهاءها بالتغيير والثورة والتطور ، فيبدع الأصالة في فيه ويجعلنا نعيشه ونحياه . ويشعر الفنان بالغرابة عن المألوف في مجتمعه لأنه مجدد دائماً يكسر بعض القيم ليقم قيماً جديدة لم يألفها البشر ، فيغدو منفياً عن عصره وزمانه خاصة إذا كان الآخرون لا يشاطرونه مشاعره المجسدة في عمله الفني ، فيبحث عن مصدر إلهامه ، وينشد التواصل والاتحاد به مهما كانت الصعوبات التي قد تعترضه لأنه في هذا التواصل الروحي يحقق الوجد مع سر إلهامه الذي هو كاللغز لا يفسر ويسمى - ربات الإلهام - أو آلهات افن .

وهو دائماً مع - الميوسات المتوجات بالبنفسج أو ربات الفنون - والذي يلهمنه يعتبر مقدساً - وهن بنات الذاكرة - وقلوبهن تهفو إلى الفناء وأرواحهن لا يشغلها شاغل ، وكل إنسان متألم في أعماقه حين يسمع - الميوسات لا يعود يتذكر منغصات عيشه - فهن يهبن النعم المقدسة .

لذا كل مبدع يصطفي امرأة ويحبها ويجعلها ربة - وحيه - أو آلهة فنه وفكره وسر إلهامه ، فالموسيقي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

والشاعر والرسام والمفكر يطلب من المرأة المصطفاه  
أن تلازم الطهر المقدس حتى يخلدها في سحرها الخاص  
. ويتمنى أن يراها دوماً كما رآها في اللقاء الأول .

### عبقّر

منذ أقدم العصور شغلت مشكلة - عبقر - الذهن  
العربي وما زالت شاغل الثقافة الحديثة ، لأنها ترواح بين  
فهم العبقرية وصلتها بالإلهام . ولا يوجد في الثقافة  
الإنسانية والعربية سوى بعض البحوث وبعض الآراء حول

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

سر النبوغ وجوهر الإلهام في رحاب الإبداع الشعري  
والإلهام الموسيقي فالعرب يقولون :  
جُن عبقر ، شيطان عبقر .

يقول الراغب الأصفهاني في كتاب /  
محاضرات الأدباء / :

إنهم نسبوا كل شيء في الجودة  
إلى - عبقر - حتى يقال لم أر عبقرياً مثله ، و  
اختلفوا في فهم هذا المعنى وفي تعيين  
نسبته ، منهم من قال : إن عبقر في أرض  
اليمن أو في اليمامة ، ومنهم قال : إن عبقر  
اسم جبل في الجزيرة يصنع به الوشي ،  
ويضيف ياقوت في معجم البلدان : لعل -  
عبقر - كان بلداً قديماً وتخرب ، ولما لم  
يعرفوه نسبوه إلى - الجن - ومن ثم نسب  
كل شيء إلى عبقر .

أما المعاجم اللغوية فتقول : إن عبقر  
قرية يسكنها الجن فينسبون إليها كل عمل  
دقيق وعظيم .

أما الأب الكرمللي فيقول :  
إن عبقر يونانية الأصل وهي بمعنى الحامية  
القوية القديرة، ولقبت ( هيرا ) عند اليونانيين بالتفوق  
والقوة .

يقول جرير :

إني ليلقي علي الشعر مكتهل  
من الشياطين إبليس  
الأباليس

ويتحدث الثعالبي في ثمار القلوب عن شياطين الإلهام ذاكراً أن الشعراء كانت تزعم أن الشياطين تلقي على أفواهها الشعر وتلقنها إياه ، وتعينها عليه وتدعي أن لكل فحل منها شيطاناً يقول الشعر على لسانه، من كان شيطانه أمرد كان شعره أجود وذكروا أسماء لهم / اسم شيطان الأعشى - مسحل - واسم شيطان الفرزدق - عمرو /

يقول الأعشى :

وما كنت ذا قول ولكن حسبتني  
إذا مسحلي يبري لي  
القول أنطق  
خيلان فيما بيننا من مودة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

شريكان جنني وأنسي

موفق

والفرزدق يقول :

شيطان جرير هو شيطاني إلا أنه من

فمي أخبث.

هكذا كان مع كل شاعر شيطان . والعرب في جاهليتهم وفي العصور الأدبية الأولى عرفوا صلة الشاعر بمصدر وحيه ، وهذا المصدر هو منهل العبقرية ، وأن عبقر جنني مذكر فالأسلاف أطلقوا على مصدر إلهامهم - عبقر - أو الشيطان .

أما في العصور الحالية فلم ينفذوا إلى طرح المشكلة على صعيد الكشف عن جوهر الإلهام من الناحية النفسية لاكتشاف ذات الفنان بذات أخرى تكون آلهة فنه وربة شعره .

وقال أحد الشعراء :

حال الشاعر في معاناته الشعر

أشبه الأشياء بحال التي تلد - فمعاني

الشاعر وصياغته اللفظية تتمخض عنها

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

انفعالاته النفسية - أبياتاً من الشعر - وهي  
ميلاد لبنات أفكاره ، وهذا هو السبب الأكبر  
لتعصب الشاعر لشعره وحبه إياه كما هو  
شأن الأم لأولادها

وقد قال ميخائيل نعيمة :  
المهم عندي أن أخلق، لا أن  
أتحسس على كل حس من أحاسيسي ،  
وخلجة من خلجاتي . والثقافة العربية  
تجاوزت اليوم مفهوم الأمس، فلم تعد تعزو  
الإلهام إلى - عبقر - ولا إلى الشيطان المذكر  
، إنما تعزوه إلى نفس الشاعر و خياله أولاً ،  
أو تعزوه إلى قدرة خارقة أو إلى استغراق  
شعوري يمجده فيه الشاعر نور ذاته  
الشاعرة .

عند أفلاطون :  
مشكلة الإلهام وقف على الأنوثة الخالدة  
ومفتاحها هو الحب .

وتلتقي الثقافة العربية بالثقافات الأخرى في  
نقطة عميقة تجعل الشاعر أو الفنان يستمد العون  
لإبداعه من ذاته الإنسانية .



## أسطورة آلهة الفن

في الأساطير اليونانية يقال إن للفنون الجميلة -  
تسع ربات - هي ثمرات ليال من ليالي الحب بين أبيهن -  
تروس - وأمهن - مينموزيتا - أو الذاكرة .

هذه الربات تؤلف موكب شرف في حضرة -  
أبولون - وأمرهن لا يقتصر على الغناء للآلهات ، ولإرضاء  
سرور تروس إنما تقضي الربات نهارهن ، عندما ينام  
الشعراء ، بالاستحمام في مياه - الوعد الصافية في ينبوع  
- عبقر - .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وهذا الينبوع انبجس عندما ضرب الحصان العجيب  
البراق بحافره سطح الجبل ضرباً إيقاعياً ، أما في الليل  
فإن الهات الفن تهبطن ملتفة برداء السحب ، وتأتين  
ليجلسن على نحو لا مرئي على مقربة من المصباح  
الذي ينير الظلام للفنانين . ويحملن إلى من يلهمنه  
الأفكار الجميلة ، والألفاظ المتناغمة ، وهذه الجوقة  
الإلهية تعزف لتوحي بكل جوانب الإبداع ، فيتجلى الشعر  
في أفكار بليغة ، وتزدهر الخطابة بصورة شعرية نبيلة ،  
ولما قرر البشر فيما بعد أن يكون لكل فن مجاله الخاص  
اختصت الآلهات كل منهن بنوع من الإبداع .

كاليوب - بالشعر الملحمي ، كليو - بالتاريخ ،  
بوليمني - بالإيماء ، وترييكور - بالرقص ، وترب -  
بالموسيقى ، ايرأتو - بشعر الحب ، ملييومين - بالمأساة ،  
تالي - بالملهاة ، أورانيا بالفلك .

ويعتبر الفكر الأفلاطوني انبلاج نور العقل عن  
ضباب الأساطير ، ويعالج أفلاطون مشكلة الإلهام بالحب  
طبيعته وأثره . وتجلت حقيقة الحب في أنه رغبة بما لا  
يملكه المرء فالحب بحد ذاته خشن فقير يعوزة الجمال  
، وهو كائن وسط بين الإلهي والإنساني ، بين الجمال  
والقبح ، بين الجهل والعلم . وتتجلى مهمته في إنجاب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الجمال بحسب - الروح والجسد - والتغلب على الموت  
وبلوغ الخلود .

من هنا نشأ سر الحب لأنه ينطلق من حب جسد  
جميل ويرقى إلى الجمال الحسي ، ثم إلى جمال الروح  
حتى يبلغ الجمال المحض وهو الجمال الذي يملأ  
حضوره النفوس بنشوة غامرة ، وهذيان الشعر صادر  
عن آلهات الفن - وهذيان صادر عن أفروديت - فهو ينشأ  
عن الحب وكل هذيان يتبع بنية النفس وظروفها ، لأن  
النفس خالدة وكل حركة تتصل بها هي حركة لا نهاية لها ،  
مثل الكواكب التي هي أكثر النفوس التصاقاً بالصفة  
الإلهية لأنها تجري في حركتها بنظام أبدي ، وكانت  
الأرواح تجري في السماء بصحبة الآلهة ، ولكنها في بعض  
الأحيان تفقد أجنحتها فتسقط في الفراغ وتنحدر إلى  
أجساد الأحياء الفانين ، وعندما تلمح بعض الأرواح  
الحقيقة تتجسد في جسم إنسان هو الإنسان المحب  
للمعرفة ، والشغوف بحب الجمال .

والتذكر يفسر الحب ، فالحب ينشأ عن ذكرى  
الجمال الذي كانت النفس قد لمحته عندما كانت روحاً  
في صحبة الآلهة في السماء. وإن الهذيان الرائع للحب  
يعمل على أن تنبت أجنحة الروح فترقى نحو الجمال  
الحقيقي والذي لا ندرك في الأرض سوى شبحه  
ومحاكاته . فالحب الحقيقي ينتزعنا من الجسد ورغبته  
البهيمية ويسمو بنا شطر الجمال . والجازبية الشهوية  
هي التي تقرب جسد العاشقين أحدهما من الآخر ،  
والعقل يشد اللجام فجأة ويرقى بالمحب والمحبيب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فيقوم بين الروحين تيار ويظهر في قلب المحبوب حب  
هو صدى العاشق .

أما آلهات الفن فهن الربات اللواتي تخيلها  
الإغريق لأشكال الفن الكبرى ، ولأنماط في المعرفة ،  
وهذا الاسم يدل غالباً إلى جانب المنبع الإلهي للإلهام  
على الإلهام نفسه وكما قال أفلاطون - يدل على الهذيان  
وعلى المس الناجم عنه .

لذا نطلق اسم آلهة على الإلهام الذي يدين به لها  
الشعراء والفنانون مبدعو الآثار الفكرية العظمى ،  
ونقول عن كل شاعر موهوب بأن آلهته تزوره ، ولكل  
فنان آلهة فنه . قد تكون الآلهات جميلات ، أو ربما تراءين  
جميلات في عيون الفنان .

والفنان الذي أحبهن تظل في نظره وحدها  
حقيقية ، ويظل يجهد في استرجاع إدراكها وإدامة  
تأثيرها خاصة في المرة الأولى، فيوجد الفنان هوية  
المرأة المحيوبة بالصورة الطاغية الأولى للملهمة ،  
ويحس دائماً بالحاجة إلى استتالة الساعة الأولى أو  
التذكر بها وهكذا يشعر بالفرح الوحيد للساعة الأولى  
المتجددة ، ويتفانى من أجل إعادة بعثها وما بقية  
الساعات إلا أجزاء مبعثرة . فالآلهة تبقى للفنان وعد  
مغامرات ، فالهته بالنسبة إليه هي صورة الخير الحقيقي.  
فالفنان عبد ملهمته لأنها ينبوع قيمته ومصدر وحيه ،  
فينصب لها في فؤاده تمثالاً يعبده ويزينه ويخلقه بشتى  
الصور ويحتفل بأسراره ، حتى إذا غابت الملهمة يتغذى

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

بذكرها . وبما أنه رجل فإن شهوات غير نقية تجيش في صدره ، ولكن روحه تنتهي بعد صراع طويل عنيف باحترام المحبوب بخشية وحرص . فالحب يهبط فجأة دون مشيئة واعية ، وتلك هي قاعدة الهوى وتؤلف جزءاً من التراث الإبداعي ، وأيضاً هي أمر واقعي في الأعمار كلها . وهذه الحالة ليست حب دماغ بل حب الكائن الإنساني بأسره . والفنان يرفض الاستجابة للشهوة لأسباب فنية ولحفظ الإبداع وليس لاعتبارات أخلاقية ، وقد يترجم الجسد أحياناً كتجربة مشخصة بالروحي . والفنان يتجسد مثله الأعلى في شخص مرئي ، وبحلم بالكائن المحال المشخص بنقاوة الذات . وحين يعجز عن إيجاده يخلقه على هواه . فتجربة الفنان هي مزيج من عشق وترصد وجمال وهو دور الكشف الروحي في الحسي ، والملهمة تشعر أول ما تشعر بالمباعدة والاعتزاز الناغمين عن الاضطراب الذي يحدثه حضورها في نفس الشاعر ثم يزداد شعورها حين تدرك أنها محل عبادة ، وأنها ضرب من الآلهة . وثمة فارق بين قولنا : إننا لا نحب شخصاً ، وبين قولنا لا يمكننا الامتناع عن حبه . وحين يجس الفنان ميوله الحسية يولد لديه وهم يجعله يعتقد أن المحبوب محبوب بسبب خصاله الروحية في حين أن الأغلب أنه محبوب بتأثير اللذة الحسية التي يبعثها والخصال الروحية تعزى إليه .

وتمجيد المحبوب يعظم ويتسع كلما عظم بقاء الحب ذاته مثالياً ، إذ أن كل إرضاء جنسي في الحب المشترك يعقبه تضاؤل في درجة التمجيد الممنوحة له . وتمجيد الفنان لمهيمته وسيلة يقرها بوعي على أنها غاية

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أسمى من غاية الشهوة . ويبقى الفنان هو الواقع  
الحقيقي للمغامرة ، مغامرة مولد أثر فني عظيم والذي  
يدعوه . إلهامه .

والمرأة والآلهة لا تفترقان في نبوغ الشاعر  
المبدع لأنه يجعلها كائن الحلم لبلوغه الجمال الكامل  
الذي يستهدف خلقه ، والفنان يزدهر أمام آلهته  
كالطاووس الذي ينشر ذيله زهواً أمام أنثاه ، وهذا الزهو  
هو رمز رغبته الدائمة بالملهمة .

بتراوك ولور

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

لقد بدت - لورلبتراك - وحده امرأة شابة في كنيسة - أفيون - حيث كان الحضور جميعاً يرونها ، ولكن أحداً سواه لم يكن يقدر على أن يرى فيها آلهة توجي له بديوان شعر هذا اللقاء خلف في قلبه شوكة تألم منها زمناً طويلاً ويقول في الموشحة الثالثة من ديوانه:

**- إن لور استحوذت على قلبه يوم  
أظلمت أشعة الشمس حزناً على خالقها**

ويرمز إلى الجمعة العظيمة ، ويتابع : لم يكن ذلك اليوم يبدو لي من الأيام التي يتعرض فيها الناس لمشاريع الحب ، لذا كنت أغدو هادئ النفس لا مبالياً . وعلى هذا النحو ولدت آلمي في وسط الألم الكوني . هكذا قدم ديوانه ليكرم المرأة الوحيدة ، الإلهام المتفرد الذي أراد أن يمجده وحده ، ولور رضيت أن تكون موضع حب ، وأرادت لور شفاء بترارك من الجرح الذي ناله منها عن غير عمد ، وأن حبها العظيم له هو الذي لا يمكنها أن تمنحه شيئاً - لور - هويتها مجهولة ، ولكنها كانت متزوجة وأماً لأطفال كثيرين ولكن بترارك أحبها ، وبقيت ملهمته خلال - عشرين عاماً ونيفاً - وحاول بترارك إغراء لور واتخاذها خلية ولكنه أخفق وقد قال :

**لقد فعلت كل ما في وسعها وماذا  
تراها تفعل عندما كانت لا تلين أمام  
توسلاتي وتصون شرفها كامرأة حازمة ضد  
شبابها وشبابي .**

ولكن - لور - أخرجته من سائمة العوام ، وهدت  
خطاه وأيقظت عبقريته الغافية وأنقذت روحه ويعترف  
أخيراً :

**لقد أحببت الروح مع الجسد ، ولكنني  
أحببت جسدها بأقل من حبي لروحها .**

وكان بترارك يزداد حباً لجمال روحها كلما شاخ  
جسدها، ورزح تحت الأمراض والولادات التي أنهكته ،  
وتأسف لصياع صورة - لور - الشابة كما رسمها ويكتب :  
**هكذا لم أحصد خلال عشرين عاملاً  
العذاب الشرس الطويل إلا الدموع  
والحسرات والآلام .**

ويموت الحب الإنساني بموتها بعد كفاح إحدى  
وعشرين عاماً ولكن هل مات حقاً ؟ .. هل أنهى حبه لها  
إلى الأبد ؟ .. يقول للصورة التي انجس منها ينبوع غنائه  
الثر الذي لا ينضب :



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

إنها تعود إلى فكري ، إنها فيه تلك  
التي يعجز النسيان عن طردها منه ، إنها  
فعلًا ما تزال حية .

ثم اعترف بفضائل الغياب الذي يجعل الحب يعي  
ذاته بتحريره من طوارئ الحياة اليومية ، وقد عرف  
بتراكم هذه التجربة الحلوة المرة لأن الأمل برؤية  
المحبوبة كان عذباً على القلب ، وأي فرق بين عالم  
كانت لا تزال فيه وهو يراها ، وعالم لم يعد الشاعر  
ينقطع عن التفكير فيه ، والوفاء الذي قطعه على نفسه  
لها بمعصم عن الزمان ونوازله ، وبقي يتربع على ماض  
لم يعد من الممكن الوصول إليه وبقيت - لور - مستمرة  
ولن تموت قبل أن يفارق بتراكم الحياة

فمنذ اللقاء الأول في مستهل الصلاة ، ظلت هي  
الوحيدة التي أحبها مهما شاخت فكانت - لور - وثنة  
الذاتي ، ومغامرة القلب والفن ، وبقيت لور عشرين  
عاماً تغذيه روحياً ، وكتب بتراكم أخيراً:  
لقد بلغ جمال هذه الفتاة حدًا أعظم  
من أن يدعها تعيش طويلاً .

فالحذر وهاهنا

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

قال فاغرن لصديقه :  
أنا عابد للنساء

لذلك فإن في حياته مغامرات ملازمة لفنه ، تزوج  
فاغرن لأنه رغب في حياة منتظمة ، وقد بذلت زوجته في  
سبيل فنه إخلاصاً رائعاً ولكن نشبت أزمة أدت إلى  
فراقهما .

والتقى بتاجر ثري صديق - الفنون والفنانين -  
وتعرف على زوجته - ماتيلد - وعمرها عشرون سنة ،  
لطيفة موسيقية ، ولأن زوجها شغوف بالموسيقى وافق  
أن تأخذ من فاغرن نصائح موسيقية حتى تتوصل إلى كتابة  
- أوبرا - وتم كل شيء في جو حميمي بين الأصدقاء  
وكتب فاغرن :

آلهة فني العزيز ألا تزال تبتعد عني ، ولم أشأ أن  
أزعجها بتصرعي ، والإنسان يكون تعسلاً بلا حب ، والقوة  
لا توصل إلى شيء .

وعاش فاغرن مع ماتيلد سنوات ، وعلاقتهم تزداد  
عمقاً ويعزف لها في المساء ما يؤلفه في الصباح ، و  
وجد عندها الراحة والمتعة ، وكتب إلى ( ليست ) عنها  
يقول :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

إنها تمده بإحسان نهائي ، وعشق  
فاغبر ماتيلد بدرجة من العنف وحالة من  
النشوة وهو يتابع إنتاجه الفني ، إنه يحب  
ماتيلد وهي تحبه وقد أخبرت زوجها بذلك  
وهددت بالانتحار إذا حاول زوجها استخدام  
حقوقه كزوج.

وكتب لها فاغبر :

سعيد ، بعيد عن الألم ، حر ، نقي ،  
لك دائماً النحيب ، والتعفف بلغة الموسيقى  
الذهبية الطهور كل ذلك أضعه تحت قدميك  
حتى يمجد الملاك الذي سما بي إلى الذرى

وكانت جراح الواقع دامية رغم أن الفن ينتصر ،  
ولم يكن أمامهما سوى أن يفر أحدهما عن الآخر ، أو يفر  
معاً ، ولكن - ماتيلد - أتلفت رسائل مهمة لم يعرف  
السبب الذي حملهما على اتخاذ قرار الفراق ، وكتب  
فاغبر :

لا تأسفي عليها أبداً ، على هذه  
النيران إنها ستحترق نقية منيرة ، إنها لن  
تتحول إلى جمرة سوداء، نار خضراء لم

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

### يعرفها أحد قبلي وقبلك بمثل هذا الإشراق

ومنذ البدء يعلمان أن هذه التضحية قدر لا  
مناص منها ، ويبدو أن فاغنر تراجع أمام الألم الذي كان  
سيوقعه بالآخرين، كما تراجعت ماتيلدا أمام ألم زوجها ، و  
وجدت نفسه وهو يفترق عن ماتيلدا ، بأنه منفي عن  
العالم نفيًا نهائيًا وأن الحياة لن تأتيه بأية سعادة إلى الأبد

وكتب فاغنر إن امرأة وفيّة ذات إخلاص رائع  
وحدها تستطيع أن تمنحني وطناً ، لننذر أنفسنا قرباناً  
لهذا الموت الجميل لأنه السبيل الوحيد لجعل مثل هذا  
الحب خالدًا هي أن يموت العاشقان قبله ، وهكذا كانت  
ماتيلدا المرأة الحقيقية التي اتخذها ألّهة فنه مثل ملاك  
فقد جناحيه وانطلق هذا الحب في أثره الفني ، خرجت  
من حبه قليلاً لتدع بين العاشق والفنان بعداً لا بد منه  
للمبدع . إن الفن يصدر عن الدماغ لا عن القلب ، وإن  
الإسراف في شدة الشعور إنما هو ثورة حواس ضد  
الذكاء . وحين يبلغ الحد الأدنى من الهدوء يستطيع  
الدماغ أن يملئ كل نعمة من نعمات الفن الخالد . وغادر  
فاغنر البندقية ليشفى من دائه الخاص .

وكتب لها :

إن احتفاظي بك هو احتفاظي بالفن

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وعندما شفي وتأمل مأساته ورأى فيها معنى  
العالم ورأى ماتيلد كتب :  
إن ما أنظر إليه عبر العالم إنما سيكون أنت .  
أنا وأنت متحدان في البعد والقرب ونحن  
لسنا سوکيوحد

وخطر في ذهنه أن يلقي نفسه من فوق الشرفة  
لأن كيانه ينهار وكتب لها :  
معك أستطيع كل شيء  
دونك لا شيء  
صدقيني يا وحيدتي إنك تمسكين بي  
بين يديك  
ومعك وحدك أستطيع بلوغ الهدف  
الأسمی .

وفي لحن - تريستان وايزولت - يدفع فنه بأغنية  
الموت التي تقدح بفرح مرتعش ، فرح الانتشاء وكأنها  
موسيقى إلهية لتمجيد الإنسان ، و ولادة اللحن موت  
حبهما .

السعادة ليست غاية الحياة

بل هي تفسير الحياة

ليل الشقاء الإنساني في الواقع منذ أقدم العصور .. ويتمرد الإنسان على الظلم والشر والفساد ولا يتحرر من القلق والعمل والعذاب . والإنسانية بدأت في انحطاطها المستمر ، وانحدارها من سيئ إلى أسوء حتى هوت إلى عالم الظلمات والجشع والشقاء .

# الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

## الفصل الثالث كيف تفسر السعادة؟..



# الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

## أسطورة

من شأن كل إنسان أن يصنع سعادته كما يصنع  
حكيمته . كانت - سيلينه - آلهة القمر تفتح عينها الكبرى  
في كل مساء وترسل نورها الوردى إلى الأرض لتهيؤها  
لقبول لفح النهار ، وتصونها من ضرره . وقد ساقطت  
جياها البيض النواصع ذات مرة فلمحت على سفح  
الجيل شاباً من الرعاة فاتن الجمال هو - انديميون - و  
كان نائماً نوماً حلواً ، فانحنى إليه تقبله ، توصلت إلى

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

كبير الآلهة أن يلبى أمنية واحدة للشباب الجميل فتمنى  
أن ينام نوماً أبدياً لكي يحتفظ بشبابه ، وحقق كبير  
الآلهة أمنيته ، وأخذت - سيلينه - تقف بعربتها كل ليلة  
في المكان ذاته ، وتقضي مع الشباب الفاتن لحظة  
قصيرة هي عندها لحظة - السعادة - وولدت من هذا  
اللقاء السعيد خمسين بنتاً لقاء القمر بالشمس عند  
الغروب .

وفي القرن السادس ق.م توجه الشاعر -  
يتوجنيس - إلى الآلهة وسألها :  
**لم ينتصر الظلم على العدل ، ويسود الشر  
على الخير ؟**

ويمضي في طلب الجواب وحين قنط من رحمة  
ربه قال :  
**ليس الأجدر بسكان الأرض. أن يولدوا  
ويبصروا أشعة الشمس ، وإذا ولد الإنسان  
فالأفضل له أن يجتاز بأسرع ما يمكن بوابات الغيب  
، وينام مضجعاً تحت الأرض .**

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أما بوذا قدم صورة إنسانية عن واقع الحياة فقال

:

عند الولادة ألم ، عند الشيخوخة ألم  
، المرض ألم ، الاتحاد بما لا نحب ألم ،  
الانفصال عما نحب ألم ، عدم الوصول إلى  
ما نرغب ألم ، فالعالم ملتهب بنار الرغبة ، ونار  
الكراهية ونار الموت ، ويتم الخلاص بعدم  
التعلق بالأشياء .

أما الفكر الهندي نظر إلى السعادة بقوله :  
كره الأذى لكل المخلوقات ، محبة  
الخير والعطاء والعطف ، فلا تعمل ما لا ينتفع  
الناس به ، ولا تعمل ما تخجل من نتائجه ،  
فالسلك أعلى فروع المعرفة .

العالم يسيطر عليه الحزن عقلياً ومادياً ،  
والسعادة هي نهاية الحزن ، بالتفكير يتحرر الإنسان من

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

التعلق بأشياء العالم ، لأن كل شيء سنفترق عنه ،  
وأحزان الإنسان وأفراحه تدور على دولا ب، فلا أحد  
يفاسي من الحزن إلى الأبد ، ولا أحد يتمتع بالسعادة إلى  
الأبد .

زرداشت :

لا تعذب نفسك بالهموم لأن المهموم  
لا يشعر بلذة الحياة ، ومتعة الروح ، فيذبل  
الجسد ، وتذوي الروح . وجميع الناس في كل  
الأزمنة ينشدون السعادة ويتوقون إلى  
بلوغها ويبقى الأمل يترقبها . واهتمت جميع  
الفلسفات بالنفوذ إلى مفاهيمها ، وتوصلوا  
إلى أن الحكمة هي أهم منابع السعادة .

سقراط قال :

السعادة حكمة ، والحكمة هي إعادة  
النظر في أمور الحياة لاختيار الأفضل ، وتعرف  
السعادة وتتحقق بفعل الخير ، لأن الحقيقة لا  
توجد خارج نفوسنا بل هي فيها . والعقل  
يعلم الإنسان أن السعادة مطلب الطبيعة ،  
فالسعادة ليستلذة أو إرضاء الأهواء وليست  
في الثروة المترفة ، إنما السعادة هي  
الانسجام بين رغبات الإنسان وظروفه .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أما أفلاطون :

السعادة لديه فضيلة الإنسان ،  
والخير الأعلى هو الذي يجسد الصور السامية  
مثل :

الحق و الخير و الجمال . واللذة  
الصالبة النقية هي التي تحدثها الفنون  
الجميلة .

أما أرسطو :

يرى أن السعادة هي غاية أفعال الإنسان ،  
هناك ثلاثة صنوف من العيش :  
الأول : يرى السعادة في لذة الاستمتاع  
المادي والشهوات .

الثاني : يرى السعادة في المجد

والملك .

الثالث : يراها في التأمل والتعقل

حتى بلوغ الكمال الإنساني .

وهناك أشياء أخرى يكون الحرمان فيها مفسداً  
لسعادة الناس، فلا يمكن أن يقال عن إنسان أنه سعيد  
إذا كان في الخلقة تشويه ما ، أو إذا كان له أولاد فاسدوا  
الأخلاق أو إذا اختطف الموت أحد الأصدقاء ، أو إذا أصيب  
بمرض عضال .

سئل أحد الفلاسفة :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

- هل من الممكن تعليم الإنسان أن يكون سعيداً؟..

أجاب :

- السعادة نعمة الهبة ، و هي ممكنة المنال. وقد يصل الإنسان إليها ما دامت الأشياء تتبع قوانين الطبيعة وهي أجمل ما يمكن أن يكون .

أما أبيقور الهزيل المريض جاء بحكمة بارعة وأسس مذهب اللذة الفاضلة فقال :  
الحكمة مبدأ الخيرات، إنها أعظم الخيرات، وهي أثن من الفلسفة لأنها ينبوع سائر الفضائل ، ومن المتعذر أن يكون الإنسان سعيداً إذا لم يكن حكيماً وعادلاً ، لأن الفضائل هي من الحياة السعيدة والتي لا تنفصل عنها ، وأكبر العثرات في طريق السعادة والمسببة للقلق والبؤس والشقاء هو الخوف من الموت ، وعذاب القلوب الجشعة والبخيلة والمجرمة . والسعادة الوحيدة هي سعادة الإنسان النفسية التي تقوم على السلام الداخلي. وقد يحسب الإنسان أنه عاجز على أن يطبق حالات الألم المعنوي والجسمي ، ولكن في وسعه اجتياز أصعب

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الظروف والتغلب على أعنف الآلام حين يبعث  
عواطفه من جديد ، ويطرد الصور القديمة المؤلمة  
، ويضع محلها صوراً سارة ، بهذا الفن البارع يحول  
ظاهر حياته بما يتفق مع نظرتة إلى الحياة  
السعيدة

والحكمة تأمل الكون ومحاكاته طالما أن العقل  
قبس من العقل الإلهي فيتحرر بهذه المعرفة من جميع  
الشهوات ومن الخوف والألم ويشعر بالفرح ، وابتعد  
عن التشاؤم ، و التفاؤل ينبع من الصميم عندما تتحرر  
النفوس وتزدهر فيصل إلى القناعة بحسب طبيعته ،  
والعائق الوحيد الذي يعترض سعادة الإنسان هو الإنسان  
نفسه ، فالمرض يعوق الجسم والإرادة .

يقول ابن عربي :

سعادة الإنسان العظمى عند ما ينزل إلى  
أعماق نفسه، ويتأمل صورته فتكشف له وحدة  
الحق والخلق وإدراك عظمة الوجود وجماله  
وكماله خلال المتغير الفاني . وجنة كل إنسان  
وناره من درجة هذه المعرفة .

ويقول يحيى بن عدي :

ينبغي لمحبة الكمال أن يعود نفسه  
محبة الناس أجمع، والتودد إليهم ، والتحنق عليهم  
و الرحمة لهم ، لأن البشر تجمعهم الإنسانية .



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

والفارابي يقول :

أخص خيرات الإنسان هي عقل الإنسان ،  
لذا وجب استخدام العقل لكشف السعادة  
والسعادة هي الخير ، وكل ما عاق السعادة هو  
شر .

ابن سينا :

الكمال الخاص بكل شيء هو خيره ، ومن الوهم  
فصل الكمال والخير عن اللذة . فالعشق الحقيقي هو  
الابتهاج ، والشوق هو الحركة لاتمام هذا الابتهاج ، وهناك  
السعادة العقلية والسعادة الحسية .

كان لأب من أرباب النعم وهو متدين ، ابن مجاهر  
بسكركه الدائم والأب كارهٌ لذلك منه ، فقال له يوماً :

- يا بني انتهِ عن السكر حتى  
أعطيك شطراً من مالي  
وعقاري ، وأزوجك بحسناً من  
أرباب النعم حتى تعيش فرحاً  
مسروراً.

فقال له ابنه :

- إن كان الغرض هو هذا فهو  
حاصل. لأنني إذا سكرت وجدت

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

نفسى من الفرح واللذة  
والسرور حتى أظن معه أن  
ملك كسرى كله لي .

فقال له أبوه :

- وإذا صحت لا ترى لذلك حقيقة

▪

قال :

- أعود فأشرب ثانية حتى أسكر  
فأرى مثلك .

# الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

### السعادة في مستهل العصر الحديث

يقول فرنسيس بيكون :

ينقى العقل من شتى أوهامه ليدرك الحقيقة  
بمعرفة قوانين الطبيعة وتذليلها لخدمة مآرب الإنسان .  
والعمل هو قوام السعادة الفردية ، والتعمق في مملكة  
التخيل وما يتصل بها من عرافة وإيحاء . فالتخيل قوة  
عظيمة ضمن منطق التجربة والعمل ، وهو منطق  
الأخلاق والسعادة .

يقول ديكارت :

الأهواء هي ينبوع الشعور بغبطة الحياة وعذوبتها ،  
ومن هذه الأهواء :  
الرغبة ، اللذة ، الألم ، الدهشة ، الحب ،  
الكره .

وبالإرادة يستطيع المرء تغيير موضوع الهوى بها  
وذلك بالسيطرة على الرغبات والانفعالات فيتوصل إلى  
الخير ، لأن القلق يوقف الإرادة ويشل قدراتنا ، قد يندب  
الرجل امرأته المتوفاة ولكنه يغضب لو بعثت من جديد ،  
قد يبكي آخر لفقدان شخص عزيز ولكن سرعان ما  
ينسى هذه الانفعالات .

ويقول باسكال :

على المرء أن يعرف نفسه ويحاول أن يبلغ الخير  
بأشكاله الثلاثة ( الفضيلة - العدالة - السعادة ) وحين  
يمكن الإنسان في سكون بلا عمل و لا تسلية و لا اهتمام

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

، يشعر بالفراغ ويسيطر على نفسه السواد ، والحزن ،  
والأأس ، ولكي يخلص من دائرة الصراع المغلقة ، عليه  
أن يقف بحياد . ووعي البؤس يبرهن على العظمة .  
والإنسان كائن متناقض ومُعَرَّض للخطأ ، ومحروم من  
الخير الحقيقي والعدالة ، وهو يتطلع إلى امتلاكها .

أما فولتير يقول :

الجنة حيث أعيش لأنه يتوجب الإفادة من الحياة  
، والتكيف مع العصر الذي نعيشه حتى نحظى بالسعادة  
وعلى الإنسان أن يحكم نفسه بقوله :

**لا أعداء لي ، حتى الخصوم أحبهم ،**

**وأسعى إلى خيرهم ، لأن أكبر المصائب الاضطهاد  
والحرب .**

ويقول الفيلسوف كانت :

السعادة رغبة كل كائن لذلك هي تتحدد وملكية  
الاشتهاء . وليست الأخلاق هي التي تعلمنا كيف نجعل  
أنفسنا سعداء ولكنها تعلمنا كيف نكون جديرين  
بالسعادة ، لأن الإرادة الطيبة تتبع عملها وفعلها .

أما بنتام يقول :

إن الإنسان يتحرى دائماً أكبر سعادة يتمتع بها ،  
وكل إنسان يحكم وحده على لذته ويقدر سعادته . واللذة  
والألم سيدا الإنسان المطلقان .

وأعمال الإنسان تعتبر صالحة بقدر ما تحقق له  
من سعادة، وطالحة بقدر ما تسبب من بؤس وشقاء .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فالطب يمنح الإنسان الصحة ، والموسيقى تثير لذة في النفس فتفيض بالغبطة .

وشوبنهاور يقول :  
أولاً : ما نملك ، ثانياً : ما نمثل في العالم ، ثالثاً : ما نحن ؟..

**أولاً :** ما نملك هو الثروة والمال والخيرات الخارجية وينبغي ألا نملك إلا الحد المعقول ، فأية سعادة تكمن إذا دهمنا المرض ، أو القلق ، أو مصيبة ما .

**ثانياً :** ما نمثله في العالم : قد يمتلك الإنسان شهرة كبيرة ولكنه فريسة الحزن والقلق . فالطماع إلى الشهرة يلقي بصاحبه على أقدام الجمهور ولكن إرضاء الجمهور يوجب اعتناق ذوقه .

**ثالثاً :** في ما نحن : هناك خير له قيمة لا تضاهي ألا وهو المرح ، فأغلب الناس لديهم إحساس بالحزن والألم، وعلى العكس لبعضهم الطاقة في أن يجدوا في كل شيء مناسبة للضحك والمزاح والتسلية ويقلبوا الأحزان إلى أفراح . وما يجعلنا نعساء هو الرغبة العنيفة التي لا تتحقق . وعلينا أن نطابق رغباتنا الممكنة مع الأشياء . وقسم

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

سلوك البشر إلى خمسة أقسام ( الشراسة -  
الأثرة - العدالة - الإحسان - الزهد )

**الشراسة :** شكلها الأقصى السادية :  
سرور المرء بمشاهدة ألم الآخرين والتلذذ  
بإيلامهم .

**الأثرة :** أي الأناية : والأناية لا يعني إلا نفعه  
الشخصي ، للذتي ، الأنايين يعادل  
أي كل شيء لي ، لقوتي ، لبقائي  
على حساب شقاء الآخرين ، وعدد  
عدد الأحياء في العالم .

**العدالة :** ( لا تؤذ أحداً ) ، وتعني  
التنازل عن نفسه وكبح  
أطماع الإنسان وأهوائه ، وتهذيب  
جماعها في سبيل احترام الآخرين .

**الإحسان :** عدم إيذاء أحد ومساعدة الآخر بكل  
ما في وسعك ، وبذل ما تستطيع من الصفاء  
والفرح حتى يضحى بنفسه من أجل الآخرين .

**الزهد :** هو الأقل انتشاراً ، كالزهد البوذي ،  
والمسيحي ، والمتصوف .

وهناك فئة مرهفة الحساسية  
تجعل أصحابها يشعرون بالألم الآخرين . وحين  
يتعذب البشر تزهد نفوسهم أمام الألم  
الكوني ، والزاهد يرحم وبشفق ، ورحمته  
تشمل آلام الإنسانية . أجمع .

## السعادة المعاصرة

### تولستوي :

يجمع بين الحب والعمل و التضامن ، ويؤمن بتأثير الفرد على نفسه ليغدو كائناً كاملاً ، غرضه محو الشقاء وبلوغ الخير الإنساني والسعادة ، وذلك بالتعاون المستند إلى المحبة ، لأن الحياة جميلة طيبة والناس هم الذين أفسدوها وجعلوها بائسة شاقة .

والسعادة ليست في المظاهر الخارجية بل في الحياة الباطنية الواعية ، وهي السلام الباطني ونقاء الروح ، والإرادة الواعية التي تسعى إلى الخير والحب . والحلم الجميل ، والفكرة الصادقة يستلزمان التحقيق بالنضال وتجاوز التشاؤم ، ويقول :



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

إنني أحمل في نفسي قوة وإرادة  
تمكّنتني أن أهب معنى لحياتي .

### جان فينو :

السعادة مطلب وموضوع أساسي لأحلام الإنسان  
و أفكاره . ويتذمر الناس ويحسب كل منهم أنه بئس  
تعس ولكن ربما يكون قد وقع ضحية سوء تفاهم .  
والتقدم يزيد من رفاهنا وبالوقت نفسه يزيد من ضيقنا  
والمنا . والتقدم الإنساني يتناسب عكسياً مع مسيرة  
السعادة . ومن المحال أن تزدهر الحياة الإنسانية إلا  
بنمو السعادة وازدهارها ، والسعادة كالضحك والبكاء  
تنتشر بالعدوى ، وكل إنسان ينفق حياته في تحقيق  
ميوله وأمانيه يشعر بالرضى والصفاء . وسعادة الإنسان  
هي طريقة ممتازة في سبيل سعادة الآخرين والسعادة  
تتبع من كياننا النفسي حين نحيا بفرح حياتنا الخاصة .  
يقول الفيلسوف آلان :

السعادة ليست بشيء تجري خلفه بل  
هي شيء تملكه . هذا يود الاستمتاع بالثروة ، وآخر  
بالموسيقى ، و ثالث بالعلم ، ورابع بالعشق . وقد  
تنشأ من أخطائنا شرور منها الملل وهو ألم لمن  
يملك الفراغ والقوة ، فيمل الإنسان وهو يملك أشياء  
كثيرة بلا عناء .

وقد ينشأ نوع من الهوى عن شهوة الجسد وتُنسى  
بسرعة . هذا الهوى يختلف عن الحب فالعمل الجسدي لا  
يشتهى في الحب إلا من حيث إنه برهان على السيطرة  
على كائن آخر ، وإن أحداً لا يحب مجنونة وكل عاشق

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

يريد امرأة عاقلة ذات إرادة قوية ولا يرضيه إلا الفضيلة  
ويقول المثل :

### إن كل الأشياء الجميلة صعبة المرتقى

ومن العيث ملء الآخرين بالسعادة وكأننا نملاً  
قرباً مثقوبة . و من المحال تسلية من يمل نفسه .  
فالإنسان السعيد يزداد بالآخرين قوة وسعادة . والأناي  
هو كئيب لأنه ينتظر السعادة ويفرض قانون الملل  
والشقاء على من يحبهم ويخشاهم ، أما المزاج الطيب  
فيمتاز بالسخاء . وفن السعادة يكون بالامتناع عن  
التحدث عن بؤس الحاضر والغابر ، مثل التحدث عن  
شكوى المرضى والظلم والاضطهاد والمعاناة ؛  
فالشكوى من الذات تدخل الكآبة على نفوس الآخرين .  
وهذا ما يسبب ضيقهم وتبرمهم . فالحزن كالسم ، وما  
أجمل المجتمع الإنساني الذي يرقد كل إنسان فيه حطبة  
بدل البكاء على الرماد .

وهناك مبدأ يقول : إذا لم تتحدث عن متاعبك ،  
انقطع تفكيرك فيها بعد قليل . وهل أجمل من طفل  
ينصرف إلى ألعابه ولا ينتظر أن تلعب من أجله ؟!  
والطفل الحرون يمثل الوجه الآخر ، وجه الذي يرفض كل  
فرح . وكثير من الكبار لا يكفون عن الحران . وقد قيل :  
كلما أكثر المرء ملء حياته ، قل خوفه من فقدانها .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

تحدث قوم أمام حكيم عن إنسان نصف مجنون لأنه أصيب بشعور الاضطهاد ، وكان يشعر ببرودة قدميه ، فقال الحكيم : نقص في دوران الدم وفي دوران الأفكار ، ونصح باتباع القاعدة الآتية لصون صحة العقل - ينبغي ألا تخطر في ذهنكم أية فكرة مرتين .

قدم الحصان الشهير ( بوسيغال ) إلى الاسكندر الشاب وكان كل الفرسان يعجزون عن ترويض هذا الحيوان الشرير ولكن الاسكندر كان يبحث عن السبب حتى وجده . فقد لاحظ أن الحصان يجزع من ظله وكان ظله يقفز معه حين يقفز ، فيزداد هلعاً ولم يكن ثمة من سبيل لإيقافه ، فالاسكندر عطف رأسه نحو الشمس وإذا به يطمئن في هذا الاتجاه . لا تقولوا الناس أشرار ، ابحثوا عن السبب .

ريمون بولان :

ظلت السعادة تعتبر المشكلة الأساسية في الفلسفة الأخلاقية ، وكانت الغاية لكل وجود إنساني والخير الأسمى ، فكل عمل يستمد معناه من البحث عن السعادة ، ومنذ أفلاطون حتى أرسطو كان الرأي يقول : إن الناس كلهم ينيشدون السعادة ، لأن السعادة قيمة من القيم النادرة التي لا بد للإنسان منها لأنها تطابق طبيعته . فالسعادة اتساق وانسجام ويمكن أن نضعها في مصاف الفنون الجميلة وننظر إليها على أنها قيمة جمالية .

وقد قال ستندال :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

الجمال وعد بالسعادة . فالسعادة فهم الذات .  
فهماً يتيح لنا أكبر الرضى . أعظم الاتساق حتى نشعر  
شعوراً منسجماً . والاتساق الضروري نتاج خلق فني ،  
لأن في وسع الفن أن يبدل الواقع تبديلاً يكفي تحريره  
من فوضاه لإنجاب أفراح جمالية نعيشها حقاً . والسعادة  
هي مصالحة مع الأحداث ، مع الآخرين مع الحرية .

وقال سبيونزا :

الغبطة ليست مكافأة الفضيلة ، بل هي  
الفضيلة ذاتها . والمجتمع الثالث شعب غارق في  
مجتمع يسوده اقتصاد الفاقة ، ومغرق بنماذج  
مستعارة من البلدان الصناعية .

## حبات الحكمة

خطرات السعادة وحبات الحكمة أتتنا من آراء  
الآخرين في السعادة ، لأننا ما زلنا نبحث عن السعادة  
دون أن نعرف أين نجدها . يقول أحدهم :

لا توجد السعادة إلا بعد زوالها ومن  
مآسي العصر الحديث أن يجد الناس له كثرة ، على حين  
لا يجد الأمل له إلا قلة . إننا لا نشعر بسعادة النوم  
إلا بالدنوم منه . فالتناؤب نجاة من التفكير ، ورفض  
كل موقف لأنه تأكيد على طمأنينة الذات بالذات .  
ورضى الضمير وطمأنينة النفس مفتاح السعادة . متى  
يقول الإنسان : ذنبي هو التفاؤل البعيد المدى ؟.. و  
أهم شيء في الحياة الطريقة التي نعيش بها ،  
وليس ثمة سعادة مطلقة ، أو طيبة مطلقة . والحماسة  
أعظم رصيد في العالم .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

فالسعادة ليست غاية الحياة ، بل هي تفسير  
الحياة ، ولكل إنسان فلسفته في الحياة .

وقد قال شوبنهاور :

الألم يزداد بازدياد المعرفة ، ويعظم كلما عظم  
النبوغ . فالشقاء هو تسمم ذاتي للعقل ومن سموم  
الشقاء :

الهروب من الحقيقة ، من تبعات الحياة ،  
الخوف ، القلق ، الأنانية ، الجشع ، الركود ، عشق  
الذات ، الكراهية ، عدم التسامح .

قل لنفسك الحياة طيبة راضية ، وانغمس في  
السعادة وإن لم تكن الأمور تجري بما ترغب ، فالبس  
ثوب المرح والسرور ، وخفف الوطأة بابتسامة ، أو  
كلمة لطيفة أو عبارة رقيقة ، وتسلح بالهدوء ، والرضا ،  
والشجاعة ، والتفاؤل والتصميم ، ويقول بعضهم إن  
الحياة مرتبطة بالحكمة أكثر مما هي مرتبطة بالعلم ،  
فالعالم قد يتصرف بالمال ، ويتصرف في المنصب ، أما  
الحكيم فيصوب دائماً ، ويسعد دائماً .

إن السعادة هي تفسير لكل إنسان لفلسفته في  
الحياة ، ذلك التفسير الذي حارت عقول البشر فيه ، حتى  
باتت السعادة هي الإله العاصي ، والحبیب الراهن . إن  
المعرفة تغرينا ، تسحرنا ، ولكن هل تجعلنا سعداء ؟..

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

سألت إحداهن الفيلسوف - سيمونيد - أي  
الأميرين أفضل المال أم الحكمة ؟..

أجابها : المال لأننا لا نشاهد غنياً يقرع باب  
الحكماء ، في حين نرى الحكماء يقرعون باب  
الأغنياء .

أما ليبنز يقول :  
لن تقوم السعادة إلا على التقدم نحو كمالات  
جديدة ، ولا بد للإنسان المعاصر مع جدل الحضارة  
والتقدم و الرفاه المتجه نحو القيمة والمثل الأعلى .  
والسعادة لا تنفصم عن سعادة الآخرين وهي شيء يجب  
أن نصنعه ، ومسؤولية الإنسان في عصرنا هي رسالة  
خلق وإبداع .

وقد استعرض هذه الدراسة مذاهب المفكرين  
في الشرق والغرب و اليونان .

وتبقى السعادة رهن اختيار حر . وكل إنسان يصنع  
سعادته مع سعادة الآخرين ويوفق بين رغباته وكماله .

وبرتراند رسل يقول :  
السعادة هي الخير الأوحده ، والتعاسة هي  
انقسام أو فقدان الوحدة داخل النفس وعدم التناسق  
بين العقل الواعي والعقل الباطن ، ولا تفيض السعادة إلا  
من معين الاتحاد العميق بالحياة .

## المراجع

- |                    |                         |
|--------------------|-------------------------|
| الأصفرى            | - الحب عبر تاريخ العصور |
| الطاهر أحمد        | - طوق الحمامة           |
|                    | مكي                     |
| ابن الجوزى         | - مصارع العشاق          |
| بولس الصياح        | - حب بلا شروط           |
| ثيودور رايك        | - الحب بين الشهوة وأنا  |
| أفلاطون            | - المأدبة               |
| لأبي فرج الأصفهاني | - الأغاني               |
| سيمون دي           | - الجنس الآخر           |
|                    | بوفوار                  |
| أحمد الغزالي       | - سوانح العشاق          |
| د . محمد بالروين   | - قيمة الحب             |
| د . عادل العوا     | - آلهات الفن            |



## الفصل الأول : ( على مدارج الحب )

3	- كيف خلق الحب	
4	- معنى الحب	
	- بعض الآراء في معنى الحب	6
	- مراتب الحب	8
9	- معاني الحب	
11	- مفهوم الحب العام	
	- ماهية العشق والحب	14
	- طبيعة الحب وجوهره وأثره	18
19	- مولد الحب	
20	- أنماط الحب	
	- علامات الحب	22
24	- من صور الحب	



## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

	- الحب والنجوم	27
29	- لماذا نحب وكيف	
	- الحب والغيرة والتملك	31
36	- موت الحب	
	- قصص الحب	39
42	- الحب في القرآن	
44	- الحب عبر التاريخ العربي	
	- الحب من الناحية السيكلوجية	47
	- أهمية الحب في الحياة	50
55	- القوى التي تحرك الحب	
	- أزمة الحب المعاصر	60
	- إذا لم نحب تنتفي أسباب الحياة	63
65	- إله الحب	
	- الاتجاه الرومانسي عند المتيمين	66
69	- لمحة عن شعر عمر بن أبي ربيعة	
	<b>الفصل الثاني : ( الفن والأدب )</b>	
72	- الفن والحب	
78	- عبقر	

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

- أسطورة آلهات الفن

81

85 - بترارك ولور

- السعادة ليست غاية الحياة بل هي تفسير الحياة

90

### الفصل الثالث : ( كيف تفسر السعادة ؟..

(

92 - أسطورة

- السعادة في مستهل العصر الحديث

98

102 - السعادة المعاصرة

108 - المراجع

109 - الفهرس

## ثلاث وثلاثون وردة

من شهيد

إلى أمه ..

ليلى مقدسي

# ورود الحرف مني .. إليه

ويمضي  
الشهيد  
كفّه زهر نار  
وجهه شعله نور  
أصابه تراب وطن  
الزند العسلي :  
يتفتّح ..  
براعم ..  
نجوم  
حول :  
لبنان  
وفلسطين

# وردات الشهيد

## وردة أولى

استوقفني طفل جنوبي قال :  
خذي وردة الشفق الأخيرة ..  
من فجر طفولتي  
ثلاث وثلاثون وردة  
أهديها .. لأمي  
أنا أصلي ..  
من أجل شعبي  
من أجل أرضي  
من أجل أمي

## وردة ثانية

جسد غاص في لجة الآلام ..  
انطفأ المدى القزحي بين الرماد  
سكن البحر خاشعاً  
رندحة رياحين للحد الشهيد

تواسي .. الشجر  
والوطن

### وردة ثالثة

أمي - اغتسل دمي بعبق البرتقال  
.. والتين والزيتون ، والأرز  
تنهدات تراب .. عنفواني أينع  
على شهامة جبال الجنوب بلا ماء  
.. بلا دمع .. سكن قبري .

### وردة رابعة

أمي - عظام الأبرياء تُرجم ..  
اغرورق الغمام بعطر دم الوطن  
.. ضمي إلى صدرك العراة ..  
والشهداء .. جعد الألم أحلام  
الأطفال .. ابحتي عن بقايا تئن  
تحت التراب .. أو تشع كقمر  
أصفر .

### وردة خامسة

أمي - هناك جثة صغير مرمية على  
شفتيها نقطة حليب تبيست ..

نزف دمها نجمة وطن في  
الظلمة شاردة .

### وردة سادسة

أمي - أيتها القديسة و الصابرة .. ترتدي  
الأيام السواد ذعرت نوارس  
البحر أنفاسها متقطعة .. هاربة  
إلى شواطئ مهجورة تتهجد  
أسمي على شفاه بندقية غاضبة

### وردة سابعة

أمي : أعطني زبدة بياض .. غمامة  
حنانك حولي ساهرة .. أعطني  
زنبقة حب من تربة أرض تسقي  
دمع الليل حكمتك الخضراء أنت  
الغائبة الحاضرة .

### وردة ثامنة

أمي : ألا تتعبك رجفة الانتظار ؟ ..  
رهبة الفقدان على أصابعك  
تتمزق كأشواك ..  
سأشرق من خيوط الفجر

سأنسل من دوائر الجروح  
وأشعل للجنوب شموع الخلود

### وردة تاسعة

أمي : أمي .. امسحي بياسمين الحب  
.. دمع رفاق الدرب . دمعتي  
مسافرة غربتها بعيدة .. لا  
تدعي الفراشة العاشقة حزينة  
.. اسقيها بنفسج الجنوب ،  
ريحان الجنوب ، شقائق الوطن  
، عطرها لا يموت .

### وردة عاشرة

أمي - تفرق روحك في التربة  
الطاهرة فوق الغابات الخضراء  
ومسافتنا الباكية لّوحي بمنديل  
حنانك لأطفال فلسطين .  
دماؤنا غارقة في عشق وطن ..  
وبياض الكرامة غالية .

### وردة حادية عشرة



أمي - هطل صيف الظلم والقصف  
على عريشة الياسمين الطرية  
.. خيوط الرحمة مجرّحة كناي  
حزينة . سأشعل من قلبك  
شعاع الإنسانية لأطفال صور ،  
وصيدا ، وقانا ، وطيبة ، والبقاع  
المهدّمة .. وأضيء من نور  
عينيك اسم وطني .

### وردة ثانية عشرة

أمي - قطتي الصغيرة شامة . ربما  
تبحث عني أو تتمرّغ على  
سريري ، أو تقفز على حبال  
أرجوحتي وتموء لي .. لا تقولي  
لها .. إني غائب . امسحي  
شعرها الناعم بصفصاف الحلم  
الآتي . صوتك الراحل يغني ..  
ابني شهيد بين أجنحة شمس  
الوطن .

### وردة ثالثة عشرة

أمي - دميتي - ريما - قد تكون تبكي ..  
نسيتها حينها جمني القصف

قرب دالية العنب . غني لها  
حتى تنام .. ربما فيروز نسيت  
أن تغني لجدائلها الشقر حين  
زارت قبري ورشّيت سلة  
ياسمين الشام ، وأرز لبنان على  
قبري .

### وردة رابعة عشرة

أمي - حين تغرق غلالة الغروب رخام  
دارنا في سكينة النور الهولي ،  
اجلسي عشية قرب نافورة  
الماء . انظري إلى غلالة السماء  
الوردية .. أنا حائر .. دمعتك  
اللؤلؤي يلمع أم دمعت القمر .

### وردة خامسة عشرة

أمي - اخلي ثيابك السوداء .. اتركها  
ممرّقة مع تنهدات ريح حزن  
مسافرة شال البياض يهفهف  
كوهج الدمع وجهك أم وجه  
وطني يكفنتني بالحب لأنني .. لا  
أحب المرآتي .

## وردة سادسة عشرة

أمي - تحزّ مديّة الحزن الصامتة صدر  
أبي الوديع . قال لي ملاك  
الوطن .. امسكي يده  
المرتعشة لأنه ما زال يرسم  
على جدراننا المخربة اسمي .  
لحيته سراج تلمع في الظلمة .  
أنا نسجت من شموخه أسطورة  
بطل .

## وردة سابعة عشرة

أمي - إن مرّ أصدقائي ، ارسمي على  
وجهك ابتسامة الملائكة .. لا  
تحديثهم عن الأمور العابرة .  
امسحي أحزانهم وقولي لهم  
إنك كالنحلة الملكة اخترت أنقى  
الزهور ، وزرعتها في أرض  
المقاومة .. ونذرت عطري  
للشهادة الطاهرة .

## وردة ثامنة عشرة

أمي - لا تنسي أن تزوري غادتي  
الساهرة . اسمي نار محترقة

على شفاهها . المسي جمالها  
البريء ، امسحي دمع كحلها .  
خيّطي لعروسي شالها الأبيض ،  
رضعيه بغار الوطن . واستعيري  
من فيروز اسوارة لمعصمها  
مغزولة بقلوب الجنوب الصابرة  
تركت عقيق دمي خاتماً لأصبعها

## وردة تاسعة عشرة

أمي - هل استيقظ جدي ، أم ما زال  
متكئاً على حافة الأفكار  
وسبحته ترتجف كنجوم حائرة ؟  
قولي له : أنا على العهد .. لم  
أفرط بشبر من الأرض .  
ليشرب نبيذ دمي نخباً لحرية  
غالية ..

## الوردة العشرون

أمي - هل عاد أخي أم ما زال يضمّد  
جراح سنابل الحقل ؟ أو يجفف  
دمع طيور مهاجرة ..

قولي له : تولاني التعب ليفتح  
الباب .. مشتاق له .. مشتاق  
لذكرياتنا .. لمشاجراتنا العابرة .

### **وردة حادية وعشرون**

أمي - لا تبقي كتمثال يأس .. ضعي  
الأمك في أشرعة مسافرة .  
زيّني شعرك بحناء أخوتي  
الشهداء . احتفلي مع دبكة  
الضيعة .. زغردي .. غيمة  
وطني محروق دمعها على  
شفتي ..

### **وردة ثانية وعشرون**

أمي - اجلسي على رمل شاطئ صور  
.. أو صيدا ، أو أية ضفة في  
الجنوب . هزي جذع النخلة  
صلاة عينيك مزامير تجلي  
خاشعة .. رعشة الماء قبلة مني  
لعينيك الدامية .

### **وردة ثالثة وعشرون**

أمي - هل أزهر ليمون حيفا ؟ وتدلى  
برتقال يافا ؟ دوري الرمان  
وحيداً في بقاع مهجر .. وعناقيد  
التوت تقبل تراب قانا الجريحة .

### وردة رابعة وعشرون

أمي - أشم رائحة التراب الحزين في  
غابات فلسطين ولبنان .  
والقدس تنزف وجعاً وتغسل  
جروحها بدموع الأنبياء . غفا  
السلام وحيداً في معبد بلا  
شموع ولا بخور .. ذبل زيتون  
المحبة - طوبى لصانعي السلام

-

### وردة خامسة وعشرون

أمي - أما زالت جارتنا تغزل مغزل  
حزنها برموش أولادها الشهداء  
؟ غرغرة صوتها أنين مكبوت .  
أيستطيع أحد أن يتحمل صبرها  
؟

### وردة سادسة وعشرون

أمي - نسيت أن أسألك كيف لور ؟  
أختي الصغيرة ، فراشة أيامنا  
الصافية .. أما زالت تشعل  
رحيق الشمع زنا بق صلاة  
وكحمامة وديعة ترتل آيات  
الابتهاال .. لأمنا مريم عليها  
السلام ...

### وردة سابعة وعشرون

أمي - أما زالت رفيقة مدرستي - يارا  
- تحلم بمرمر الطفولة ،  
وتمسح بخيوط دمعها أرجوحتنا  
المهجورة ؟ أم تكتب على  
دفترها السرّي ومضات البوح  
الوردي. أفكارها نقيّة كزهرة  
بوذا - نسيت جوربة الحب في  
دفترتي ، هي تبيست أم قطرات  
دمي ؟

### وردة ثامنة وعشرون

أمي - جارنا الغريب القريب .. أما زال  
في خيمة الانتظار ، يرتل  
مواويل العودة إلى فلسطين

؟.. ويحلم برشفة ماء من جرّة  
القدس النقية . آخر مرّة رأيته  
كان يقلب عظام مجد وحيدم .  
يهيل التراب . أصابعه المرتعشة  
مع إيقاع أجراس الكنائس ،  
وأذان الفجر دعاء ...

### **وردة تاسعة وعشرون**

أمي - لا تتألّمي لاغترابي . رحلتي  
تزهّر من مروج روحك ، وقرنفل  
قلبك وطني . حين يسألونك  
عني يا سيّدة الأمهات .. أنت  
جميلتي كسعادة ضائعة أنا في  
روحك محارة ساهرة .. أهزّ مهد  
السرور الأبدي ، لأن المسيح  
قال :  
" دعوا الأطفال يأتون إليّ ...  
لأن لهم ملكوت السماوات "

### **الوردة الثلاثون**

أمي - أحجار الأرض وجع أجساد فانية  
.. امشي بهدوء ، قرب تربة  
الشهداء الأبرار، عطر دمهم



كالزهور السرية .. خذي زنبقة ،  
ازرعها فوق قبري .. تنبت في  
صدرك إيماناً بالنصر .

### وردة حادية وثلاثون

أمي - نسيت أن أذكرك . هناك فتاة  
فقيرة في عوامة الدهول  
يرجفها خوف يتيمها .. شلال  
دمعها لا يروي عطش الفقد ..  
ترشُّ تراب الجنوب على جسد  
أهلها . احملي إليها كل الأشياء  
الجميلة من خزائني ، أو عودي  
بها إلى دارنا ، اعطيها قطتي ..  
دميتي .. ظل شفيف لفرح  
الشريدة .

### وردة ثانية وثلاثون

أمي - اقطفي من بستان جارنا شفق  
الصبح أو غسق جمر الشمس .  
تركت قرب جداره المتهدّم  
ذراعي المبتورة ، إن وجدتها  
ازرعها قرب الأعشاب الجريحة  
.. أرجوك لا تجفلي بدمعك

طيور الحب المغرّدة .. هي  
ترثي الشهداء بأغانها الفريدة .

## وردة ثالثة وثلاثون

أمي - وجهك شعاع سري يسبح في  
ذاكرة النور ، في ذاكرة وطن  
مقهور . ابسطي جناح الرحمة  
ظلال حرير .. وتراويح صلاة ..  
قمر الأنبياء يبتسم بين خواتم  
النور .. والزهر والندى والليمون  
ينحني وديعاً على زيتون السلام  
والحب ، تركت لك سنبله قلبي ،  
زيتني بها شفاه حمامة أليفة  
كانت رفيقة دربي ...

## باقة أخيرة لك ..

أمي - قدمي من تراب دمي باقة  
لفلسطين والجنوب ..  
قولي .. هذه من فينيق النور ..  
اقرئي الفاتحة ..  
أو صلي السلام الملائكي

غزلت بجواهر طفولتي المقتولة  
تاج الحياة لوطني .. رصّعه أنت  
بشرايين دمي ..

## رسالة سرية

أمي - خبأت ورداتي .. كل يوم وردة ..  
تحت مخدة جدي **حسن نصر**  
**الله** ، مصبوغة سطورها بعطر  
موتي لك .. له ..

## للوطن

أنا جنوبي ..  
أنا فلسطيني ..  
أنا لبناني جريح ..  
ثلاث وثلاثون وردة أكثر أو أقل  
بين موتي وحياتي .  
توّجي : بسلام علي ..  
يوم ولدت  
ويوم أموت  
ويوم أبعث حيّاً  
أسطورة بطولتي

\* \* \*

## ثلاث وثلاثون قرنفة مني ... لهم

ثلاث وثلاثون

قرنفة

لتربة الأبرياء

\* \* \*

ثلاث وثلاثون

زنبقة

لدم الشهداء ..

\* \* \*

ثلاث وثلاثون

أو أكثر

غار فراشات

لأطفال فلسطين

ولبنان

\* \* \*

نهار ..

ليل ..  
قنابل عشواء  
تركض

ملسوعة  
في الشوارع  
والمزارع  
والطرق  
برق عاصفة  
غاضبة

تحرق  
صيف الأبرار  
\* \* \*

تختبئ عيون  
الأطفال  
بين الأشجار  
وتتهاوى  
الأغصان جريحة  
فوق صدر أم  
تحفر تراب الجنوب  
وعناقيد الدمع  
ريانة  
تقبل جبهة  
ضحايا الغدر .. والإرهاب  
ترتمي

سنايل ..  
وتهاجر  
طيور  
إلى فلسطين الحزينة  
\* \* \*

جرح الشرق  
في لبنان .. أليم  
\* \* \*

تبتسم فلسطين  
تضمّد  
وجه كل شهيد  
في الجنوب  
\* \* \*

يتخبّط الوطن  
في مجزرة الدمار  
تركوا ..  
الأسماء بلا أسماء  
تركوا  
عصفور الحرية  
يرسم ألوان  
النصر  
على الشرفات  
\* \* \*  
جناحه ..

عشب أخضر

يرفر فر

في ضباب مغبر

\* \* \*

نظرة أم مهجورة

وحزن أخت ملتاعة

صوت الأب

في الظلمة

يتهدج .. ولا يصرخ

\* \* \*

هذا ابني ..

هذا ابني ..

هذا أنا رموز وطن

وكرامة ..

شامات دم

الأطفال

تمزق

صدر الإنسانية

في تاريخ معتم ..

\* \* \*

مني ...

لهم ...

ثلاث وثلاثون

زيتونة حب

تهدّل ..  
غمام السلام الأبيض  
\* \* \*

تعطي وجوداً  
لأرض  
ذبحت آلاف المرّات ..  
كما في كلّ نهار  
فجرها  
ينهض ..

\* \* \*



## طفل من قانا

أنا طفل جنوبي

قف ..

لحظة خشوع

حليبي

صار دماً مهدوراً

وصدر أُمي

بئر دموع

\* \* \*

أنا طفل قانا

أرجوحتي

جمر لهب

\* \* \*

أصابعي أغصان

بريئة

بيد الظلم

قصفت

\* \* \*

أُمي ..

يا شجرة بالعزّ تختال

في قرية الشهب

سلام عليك  
أمومتك  
فداء وطني  
تقصف ..  
وأخذ

\* \* \*

أنا طفل  
أقضم تفاحة  
طفولتي  
بسكين الحق  
بُتّرت  
أمسح ..

برعشة خوفي  
دمع دميتي  
صغيرة مثلي  
بين رعب القسوة  
نتجمّد

جنوبي ..  
من لبنان  
ماتت في قانا  
صبايا الفرخ ..  
مرتين  
عرسي .. ماتم  
محروق

بعناقيد النار

والدم

\* \* \*

جسدي مشلوح

تحت الردم

تحت زخ القنابل

تحت صليل الألم

\* \* \*

أشلائي

تزرح جروح

الوطن

ومضاً للشهب

نجمة الحق ..

محروقة

على وجهي ..

جمرية ..

كلون وطني

أنا في فلكها

مشعل ملتهب

\* \* \*

سجّل يا تاريخ

موتي المر ..

سجل ..

زمن الظلم

\* \* \*  
قانا .. أرضي ..  
أهلي .. شعبي ..  
قانا .. صبية أبيّة  
ماتت في عرسها  
مرتين  
وانبعث فينيقياً  
على هامة النصر

\* \* \*

يمامة جريحة

# وأنت وطني

عاصفة هوجاء  
قرى ... توذّع ساكنيها  
بيوت ترمي حنان الاغتراب  
على جيرانها ..  
وتنهار ..  
\* \* \*

هنا .. طفل وأم ..  
عائلة من حبق  
والأب ..  
شجرة رمان  
\* \* \*

هنا .. يمامة جريحة  
تسقي من دمها  
خابية السلام  
\* \* \*

ريح عاتية  
كسرت جناحيها  
صوتها المبحوح

اسم وطن  
والجراح تحنو على الجراح  
\* \* \*

زغب ريشها  
كموج غريب  
زرقتة مذبوحة  
على صدر البحر  
\* \* \*

شريان الشهيد  
محارة أرجوان  
يا جلنار قانا  
ترفقي  
بغمام الورد  
ويا ريحان طيبة  
اذرفي الدمع  
\* \* \*

جسر يتكسر على جسد  
تقطع الأوصال  
يتكوّر ..  
درب على درب  
والشوارع خراب  
\* \* \*

تتكئ اليمامة  
على أشجار النار

وحيدة ..  
صاغ الموت حكايتها  
\* \* \*

جمر النحيب  
دماء  
تسقي حقول الأرز  
ويجفل البياض  
\* \* \*

تنتفض اليمامة  
تترجّح  
حقول الأبرياء  
فقراء ..  
من يقرع أجراس  
القدس  
وبأي صوت مخنوق  
يشرق  
فجر الآذان ؟  
\* \* \*

تتلوّى اليمامة  
.. الخضرة ..  
تبكي الأم النرف  
.. ضفاف ..  
الجنوب  
جراح لا تروي

الرمال ..

\* \* \*

صحراء القهر

دهشة ..

كل ضال .. غريب

يستهدي

إنسانية الإنسان

نهضت اليمامة

كقرنفة مذبوحة

تأمل ..

مائدة الموت

جوع يفترس

الضحايا

والنساء

والأطفال

والظالم يشمل

بنشوة الظلم

\* \* \*

انحنى صفصاف

العدل

غائبة ..

حاضرة ..

بين موت وموت

محروق خديها



صيف الدمار  
لملمت قميص الشهيد  
جناح  
طارت ..  
تنادم فينيق النار  
وتفتح  
لفيروز  
شرفه النهار

\* \* \*

سجد الهدوء خاشعاً ..  
سنرجع يوماً إلى حينا  
سنرجع خبرني العندليب  
سنرجع مهما يمرّ الزمان  
وتنأى  
المسافات ..  
ما بيننا

\* \* \*

## صغير أنا.. يا وطني

استوقفني طفل ..

قال :  
ماتت ألوان الطفولة  
مقتولة ..  
شرفات الظلم  
نواح الطيور  
دم الكرز الخمري  
يحرق  
على صدر الوطن  
فراشات البراءة  
\* \* \*

خذي ..  
لأشمّ تراب أمي  
أرجوحة أختي  
تهزّ شقائق يتيمي

خذي ..  
لأجسّ نبض أبي  
أمسح بمنديل الوجد  
وجه أخي  
\* \* \*

دمعتي ..  
فوهة مدفع  
يلمع دمي  
في وجه النهار  
\* \* \*

بترت رجلي  
أتعكِّز  
على جدار بيتي

جريح ..  
أترنِّح  
سقاني التراب  
حبة توت شامي  
رطب

رغيف الفقد  
على شفتي  
\* \* \*

مهجر الحب  
في عطش صيف  
محروق  
يا زهور الزيتون  
نامي  
نحيل دمعي  
سلام وديع  
قناديل الخضرة  
نهر زيت  
وعنب  
تُجمر تعب القرنفل  
على جسدي  
\* \* \*

خذييني ..

العنقاء أُمي

أخط ..

دروب الجنوب  
بأعشاب الصنوبر  
وزيزفون صلاتي

خذييني ..

مهجور بياض

الأرز

في دجى تغربي

مشتاق ..

لمدرستي .. لرفاقي ..

دفاتري

كرامة عنفوان

حقييتي شقائق

وطن

\* \* \*

هذا نبضي

صوتي

شعبي

أنا جنوبي ..

\* \* \*

أكسر المدى

بشرر قوتي

وأَمْضِي ..

\* \* \*

ثقل يتيمي

على كتفي ..

لون وطني

وجهي

\* \* \*

قالوا عني ..

إني أصغر الشهداء

ليتهم عرفوا ..

إني

أكبر

أكبر

بعزيمة النصر .

\* \* \*

لأجل الجنوب الأخضر  
أصابع حزني  
تكتب

لأجل التراب الأخضر

لأجل الجنوب ..

لأجل طفل يطارد فراشة الوطن

لأجل طفلة تطير أحلامها الوردية

**جروح فلسطين ولبنان**

بدم مقدّس تعمد

لأجل وطن مذبوح بقنابل العنقود

الأبرياء .. تتشرّد ..

والشهداء بتربة الدم تتدثر

\* \* \*

عروس الشرق لبنان

ترتدي شال البحر الأزرق

رأسها تيجان لؤلؤ الأرز

أصابعها زمرد صيدا .. وصور

وقانا

اهتز الهودج في اليقاع ..

سقط الفرح مرمياً

صار العرس مأتماً

في وضح النهار ..

ودمع الليل الأسود ..

يغسل وجهها

وقنابل القصف ترعد ..

\* \* \*

قلب فلسطين .. قلب الشرق  
الأخضر

ممزق وبأكتاف مجرحة ..  
رفع الأبطار قامة العروس ..  
في خدرها شامخة  
تقاوم  
لا تتخاذل .. ولا تضعف .  
\* \* \*

لأجل لبنان ..  
لأجل فلسطين  
بستانين البرتقال .. والليمون  
أشجارها تبكي  
تتكسّر أوجاع التراب  
ويتهاوى الشهداء ..  
\* \* \*

أوراق الشعر ..  
تسافر كومض على مراكب  
التشرّد  
ترفّ الكلمات  
حمامة حزينة ..  
والإيقاع  
حروف مجرحة بدم  
الشهب .  
\* \* \*



لأجل جنوب  
يبارك ضحايا مجزرة القتل  
ويسقي كل شهيد نطفة ماء  
من عيون الوطن ..  
\* \* \*

لأجل أم محروق صيف قلبها  
تحت خيوط دم المطر ..  
تبارك شهيد .. صغير ..  
على ثديها .. كان يرضع  
تهيل التراب  
وخفق الضنى يودع  
وحيدها  
منديلها . فراشات دم بريئة  
تغط في غيبوبة الذهول  
أصابعها زهر نار  
والقلب صمت لهب  
ثورة للريح الصرد  
زمهرير  
جمر القنابل ..  
أيقظ .. فلسطين الجريحة  
صوتها فيروزي الرنين  
" يا قدس .. يا مدينة السلام  
عيوننا إليك .. ترحل كل يوم

تدور في أروقة المعابد  
تعانق الكنائس القديمة  
وتمسح الحزن عن المساجد  
يا زهرة المدائن ..  
الطفل في المغارة ..  
وأمه مريم وجهان يبكيان  
لأجل من تشردوا ..  
لأجل أطفال بلا منازل  
واستشهد السلام  
في وطن السلام "

وتنحني فيروز ..  
ترشّ الحبق .. والبخور  
على الأعشاب الكسيحة

\* \* \*

## سيدة الأحران - قانا

### قانا ..

يا حزن الأحران  
ضراعة الإنسانية  
تذبح ..  
صدرك ينزف  
عنقاء  
أصابعها قرنفل ريان  
من دم الأبطال  
\* \* \*

### قانا ..

حزن المسيح  
يكسر ..  
أغصان السلام  
على الأشلاء  
والضحايا  
في لبنان  
\* \* \*  
أصبح العرس  
زفاف الموت للموت  
زوابع تغزو

كروم الزيتون  
وحقول البرتقال  
والليمون  
حدائق الطفولة

تهجر ..  
وزهر النار  
ينابيع جمر  
في مرايا الشجر  
\* \* \*

ما بين مسافة  
وذاكرة  
أمهات الضنى  
تعلن موت فلذاتها  
وتهدل  
نعشاً وديعاً  
صدرها التراب  
وتسترحم السماء.  
تجوع وردة الشهيد  
يتيمة  
على شفاه مريم  
صارت الصلاة  
نحيب شمعة  
ودم بخور  
يتضرّع للعلا

خبز الأطفال

تفتت

في نافورة الدماء

أرز البياض

يكسو .. الأفق

بأكفان السواد

\* \* \*

بحر غاب صوته

غص الألم

نبض الموج

نعوة ربح

وأنين الشواطئ

يشهق

تتشرّد

بجعات السلام ..

تغرق

في الزرقة الضائعة

ترثي نفسها

بنشيد الدمار

ورجفة طير مذبوح

يحتمي بغبار أرض ...

... الحنان

## قانا ..

خشع المسيح  
بيكي السلام  
بيكي الأطفال  
يسأل الأمهات  
عن مريم ..  
يبارك

عروساً بإكليل  
القنابل تغمد  
وقصف العناقيد  
حناجر  
بالرعب تجرح  
وجه مريم  
يحتضر العذاب  
بالضنى يتجعد  
\* \* \*

لوعة الأمهات  
لا يحسّ بها أحد ..  
أصابع مقطوفة  
من الشفق  
تأبط الأكفان  
وتبارك ..  
جثة تزيج التراب

لم يبكها أحد ..

\* \* \*

**هي قانا ..**

تخرج من جسد القتل

حمراء .. سوداء

.. خضراء ..

**هي قانا ..**

تسكب على مرايا

الإنسانية

كل صور ..

القتل .. والدمار

\* \* \*

**هي قانا ..**

أب ملتاغ

ينبش الخرائب

يمرّغ وجهه المثكول

ينبوع الدماء ...

\* \* \*

يتلمّس ..

بأصابع راعشة

.. وجهاً

بين أفواه المدافع

نبضه يلمع  
والموت الأسود  
يزمجر ..  
ويحصد ..

ما لا يحص  
\* \* \*

عينا المسيح  
بلون الدم  
بلون الوجع  
بلون السلام المنتحب  
أصابعه ..

ورود محبته  
مات عطوها  
في قلب وطن  
والفراشات هاربة  
\* \* \*

التوى لبنان جريحاً  
سكن حزنه  
أجنحة فلسطين الحزينة  
كقمر ممزق  
\* \* \*

أرض ممزقة  
دمار



وجوع  
وتشرّد  
وينابيع حزن تسقي  
الإنسانية  
من خوابي دم مقدس  
\* \* \*

جثث ..

موتى ..  
أطفال

نساء

مرمية كالجوع في العراء  
يرى العالم  
ما لا يُرى  
\* \* \*

انهضي يا تربة الكرامة  
في فلسطين ولبنان  
كفني بزنبق الشهامة  
أبناء الوطن .  
\* \* \*

هزّي سرير السلام  
بصوت غناء الأطفال  
الطفولة الباكية  
تغفو على نخل التعب  
في الغد تنهض

\* \* \*

## زهرة الشرق - حزينه

سأصلي ..  
لزهرة الشرق ..  
لبنان  
غمام الأرز  
رنيم زرقه  
لطفل ..  
في حقل القمح  
احترق

\* \* \*

من غابة الصلاة  
السرية  
صوت مريم ..  
قلب حنان  
" المجد لله في العلى  
وعلى الأرض السلام "

\* \* \*

من ضفة راعشة  
النظرات  
ترش ورد الماء

موتى  
وجرحى  
وثكالى ..  
زنايق أصابعها  
رقة عطر النور  
لأجساد من برق  
لأنفاس من عشب  
\* \* \*

بأي قلب تصلي  
ضنى أم ..  
بأي قربان دام  
تسقي  
أنة جريح ؟ ..  
\* \* \*

سقط الشهيد  
يحفر التراب  
لغة الوطن حب  
ودبيب الحزن  
سطر  
ذاكرة الشعوب  
بشرايين تسمو  
فوق  
مرايا الشمس  
\* \* \*

يخرج قلبي  
من مخدع الحزن  
سأصلي ..  
أصلي .. معها ..  
\* \* \*

لكل هذب شيخ  
يرجفه  
طفل ..

وشهيد  
وأم ..  
أصلي ..

بين الرماد  
والنار  
دمعي للوطن  
والموت ..

سلام .. وخبز وطن  
أقرؤا السلام  
تربة الشهداء  
عشب أخضر  
ومرايا نور  
بالوطن تتزنى  
\* \* \*

## سلام .. وخبز وطن

مَرّوا فوق  
دروب الحزن  
بهدوء  
بخشوع

\* \* \*

هنا رفات شهيد  
هنا عظام رضيع  
هنا .. منديل أم  
هناك .. كف أب تنضح  
بالدم

\* \* \*

ارفعوا النعوش  
رعاف قناديل  
النور  
يغسل الصخر  
دمع الرياحين  
أريج ذبول  
برشق  
السنابل المحترقة

\* \* \*

جفف البحر  
ملح الصبر  
منديل الموج  
فضفاض  
بالوان شهد  
الدم

\* \* \*

تتلقت أعين الأطفال  
خائفة

وتغوص ...  
في سرير اليتيم  
جفّ حليب الحب  
أو ..

ترمّل في صدر أم  
\* \* \*

أمسح .. بمنديل الحرف  
بعض الحزن ..  
بعض الدمع  
نظرات مذعورة  
تحدّق  
في عيون بلا ماء  
عيون من قسوة  
تترك  
الجثث مرمية

في رثة الخراب  
\* \* \*

شوارع بلا أسماء  
بيوت تنطوي على  
الجراح  
كومة الرماد ..  
أنفاس تصدح  
حيث لا يوجد أحد ..  
يخرج  
البطل  
من ضحكة الشمس  
\* \* \*

أصابعه خبز وطن  
دمه يعجن للآخرين  
رغيفاً ، ونيذاً من شهب  
\* \* \*

يمشي في قاعة العشق  
يمرّق قلبه  
تاجاً للنصر  
ويستشهد

\* \* \*

**عروات الجراح- سنى**

غابات من ورد ..  
وجراح الأرجوان  
رعاف ..  
دم الشهداء ..

\* \* \*

خاط الجنوب  
عروات القنابل  
أغصاناً ..  
بلون الغيم الأخضر  
بلون زرقة الأزل

\* \* \*

صارت نجومًا مرصعة  
باسم وطن  
أو شرانق سني  
لجراح الأبطال

\* \* \*

أنسل من خيوط  
الجراح  
نحيل حرفي  
أغسل ..

برعاف الكلمة  
حيرة طفل



ووجه أم  
نزف على كتف الوجد  
دمعة القرنفل  
\* \* \*

ينهمر نزف الجوري  
شلال فقد  
أو أخايد  
دمع  
تحفر الحجر  
\* \* \*

عفت ابتسامة الشهيد  
غمامة حلم ..  
هللت .. ريح بريئة  
على رمش منكسر  
صار وجه الشهيد  
نجمة عقيق  
صارت أصابعه  
خاتماً  
محفوراً بذهب الوطن  
\* \* \*

فيا جُلنار الجنوب  
والحقول  
والمروج  
يا زعترا الأرض

البتول

\* \* \*

غرة النصر  
ترفرق على رمش الجنوب  
كالشهب  
وفلسطين تهدب ربيع الأمل  
على جسد أعشاب  
تحترق  
تصهر القهر  
سلافاً للشفق..

\* \* \*

**لبنان وحيد**

تأتزر الجروح  
بالجروح  
أو تتكئ ..  
على تعب الحجر  
\* \* \*

ضفاف مهجورة  
ورمال سمراء  
تهوم فيها  
نار الغضب  
\* \* \*

لبنان ..  
وجه شعب يقهر  
لبنان ..

أمطار صيف ..  
محرقة  
حنطة الحقول ..  
والسنابل لهب  
أجساد ..  
تتكور ..  
بين الخرائب  
والأنقاض  
أجساد ..  
تسقي دمها  
لتربة تنتحب

\* \* \*

فوار دمع الحجر  
يتمزق

معطف النار..

ويشعل

شفاه الليل

بياض الفجر

\* \* \*

مجزرة..

مقابر

بلا نعوش

بلا ورود

بلا غمغات شموع

يرغو التراب

برضاب الأمهات

غلائل الحزن

هائمة

على شفاه الإنسانية

أو تسكب الدمع

على خد السماء

\* \* \*

عصافير مذعورة

ترصف

على نبض الغصن

وجع الوداع  
أو تسقط

في بحيرة الوجد  
يتوهج دمها شفيفاً  
على خد الأرض

مطر القسوة

.. خرائط في

الجسد ..

محارق الطفولة  
بحبر الدم  
محفورة

والثرى

مخضوضراً

بشريان الجرح

\* \* \*

قف لحظة خشوع

وصمت

وداع العصافير الجريحة  
مشهد أعظم من كل

أحزان

الأرض

قف لحظة صمت

وصلاة

وداع الشهداء  
عرس وجد مهجور  
وكؤوس الراح دماء  
\* \* \*

وردة الحرف  
محارق روح ..  
سلام .. لنعناع الوطن ..  
سلام ..  
لريحان عصافير  
جريحة  
\* \* \*

سلام ..  
لغار مستهام  
يستوسن  
أجفان بطل

\* \* \*

**قرنفلة حرف - تبكي**

وطن .. ضلوعه نهر جراح  
جسده .. دخان ، محارق  
وخرائب ودمار  
يا ناي الحزن ..  
خبرك ينفل في وجع القلب  
فأفرد الحروف في سُبحَة الشعر  
أبيكي .. أم يصلي ؟  
حبة زيتون .. ورقة غار ..  
وقرنفلة تسترحم في المدار  
تشبك خرزات الكلمات  
معطرة بدم الشهداء ..  
فأكتب ..  
بحبر الوجع  
بحبر الوطن  
بحبر كل جريح وبطل  
لفلسطين .. ولبنان  
غرغرة طفل قرب ينبوع الحبر  
تكسر عزلة صمتي ..  
نم .. يا طفل الجنوب  
نم .. يا صغيري ..  
مناغاةك مذبوحة بقسوة سكين  
الظلم  
نم .. يا صغيري .. نم  
مرمر جسدك البريء مسجى

فوق شرايين الدم  
فوق تراب اليتيم  
\* \* \*

لؤلؤ الدمع  
وردي على تفاح خديك  
يرعش ..  
شجن أذان الفجر  
ويوجع ..  
أنين جرس الكنائس  
\* \* \*

أشعل  
ببخور الصلاة  
قناديل الدعاء  
شعاع .. دم الشهداء  
لهب براق  
\* \* \*

طوبى .. لشموخ أرض تنبض  
بالحق  
طوبى .. لجنوب سطر في  
حقول التاريخ  
كرامة الشعب ..  
طوبى .. لأصابع محترقة بالنار  
والدم  
تشعل ..



نور النصر  
بعزيمة .. طفل وأم  
وشهيد ..  
محت .. أسطورة  
لا تغلب

\* \* \*

الفهرس

1	مني .. إليك - ورود الحرف	1
15	ثلاث وثلاثون قرنفة	2
20	طفل من قانا	3
24	يمامة جريحة ، وأنت وطني	4
29	صغير أنا - يا وطني	5
33	لأجل الجنوب الأخضر	6
38	سيدة الأحران - قانا	7
45	زهرة الشرق حزينة	8
48	سلام .. وخبز وطن	9
51	عروات الجراح - سنى	10
54	لبنان وحيد	11
58	قرنفل حرفي - يبكي	12

ليلى مقدسي

ليلى والحيوانات

# كلمة

أحلى كلمة :

" إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال

لن تدخلوا ملكوت السموات "

لم لا يحسّ الكائن بكل معاني الإنسانية

ومعنى الرفق بالحيوان ..؟

ذلك الكائن الضعيف . أليس له روحاً . وهو

من مخلوقات الله ؟

أحسّ أني إنسانة تفيض مشاعر ، وألم روحي

يفزعني على هذه الكائنات ..

أنزاح إلى وحدتي كالطفلة وأغني

آه .. آه

ليلى

من معاني الحديث الشريف :

بينما رجل يمشي فاشتدّ عليه العطش ،  
فنزل بئراً ، فشرب منها ، ثم خرج . فإذا هو  
بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش . فقال :  
- لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملاً خفه ، ثم  
أمسكه بفيه ، ثم رقي ، فسقى الكلب فشكر الله  
له . فغفر له .

قالوا : - يا رسول الله - إن لنا في البهائم أجراً  
قال : - كل كبد رطبه أجر

\* \* \*

وقال أيضاً :

دخلت امرأة النار في هرة ربطتها ، فلم  
تطعمها، ولم تدعها تأكل من حشائش الأرض.

(البخاري)

يقول ( جتية) في الديوان الشرقي

إن بعض الحيوانات محظوظة ، وهذه الحيوانات

ستدخل الجنة :

1- **الحمار** : الذي دخل المسيح عليه السلام -

راكباً يوم أحد الشعانين إلى القدس

2- **الذئب** : حين سرق شاة من قطع (أوس) فنهره

الراعي ، فألقى الذئب متمسكاً بالغنيمة ، فشكاه

إلى الرسول الكريم ، وكان الرسول رحيماً ، فأمره

أن يترك هذه النعجة لهذا المسكين ، ويأخذ عوضاً

عنها نعجة من غني .

3- الكلب قظمير : ذلك الذي بسط ذراعيه على

أهل الكهف ، وحرس السبعة النائمين ، وحين منع في البداية من مرافقتهم، أصرّ فضرب وكُسِرَت رجله ، ولم يترك صاحبه وحيداً في الكهف .

4- الهرة : وهي من هرر (أبي هريرة) . وقد عاش في زمن النبي وبعد وفاته ، وكان يحب القطط ويتلطف معها ، وهو من المقرّبين إلى الرسول الكريم ، وفيه دعابة وروح النكتة ولقّب بأبي هريرة لولعه بالقطط.

\* \* \*

## خضرة ريفية

خلف أبراج الساحة ، أضواء بنفسجية خضراء زرقاء  
والساعة تدقّ توقظ الفجر ، والديك يصيح مبتسماً - هيا  
انهضوا أيها الأطفال .. فالفرشات تركض في الظلال ، والمروج  
الحاملة تسرح فيها قطعان الغنم والعنزات وأشجار التين والزيتون  
والحور. والصفصاف يتوّجها الزهر والقمر يظلل (عين الماء) التي  
تسقي القرية ، ورائحة البرتقال النفاذة تحتضن أزقة القرية ،  
والدجاجات تلوذ الواحدة تلو الأخرى (بالقن) . الذي يقيها  
الحر والبرد ، والقرية تتشع بثوب الخضرة ، ورقصات الأشجار  
وغناء الطيور يشعل الهدوء بموسيقا الطبيعة ..  
قالت ليلى : ما أجمل هذه القرية يا أمي ..  
- أأعجبتك ؟



- أجل ! وأنا سعيدة لأني أزور مرتع طفولتك.
- انظري ليلى - هذا المنزل العتيق كان بيت جدي وهو محاط بالحواكير المثمرة . اقتربت - ليلى - من نافورة الماء وحوها أحواض من الزهور. الملونة، وعرائش الياسمين ودالية العنب التي تغطي قناطر المداخل للمنزل..
- أمي .. أنت ابنة الحقول والمروج.
- لقد عشت طفولتي الجميلة في هذه القرية المجاورة للساحل السوري وهي تسترخي على الجبال المتعانقة.
- ألهذا تجبين الحيوانات والزهور ؟
- أجل يا ليلى لقد تألفت مع الحيوانات تلك الكائنات الضعيفة، التي تعمل بنشاط وتطيع أصحابها .
- وهبطت ليلى مع والدتها إلى الطابق الأرضي .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

- هذا الطابق كان حظيرة للحيوانات (اسطبل). لقد تعلمت يا ابنتي من جدي رحمه الله الرفق بالحيوان . وكنت أشرف معه على طعامهم والاعتناء بهم .
- من اشترى هذا البيت يا أمي ؟..
- وغرغر الدمع في مقلتي - غرباء عن القرية
- هل تركت القرية بعد موته يا أمي ؟..
- لا يا ليلى ، بل أرغمت على العيش بالمدينة ..
- من أرغمك يا أمي ؟
- ضحكت لاستفسارات ليلى وأجبتها :
- لأسئلتك أجوبة كثيرة ، سأروي لك قصتها حين نعود إلى المدينة .
- لم تنسَ ليلى وعد أمها ، وبعد أن عادت من الرحلة قالت :
- متى تسردين عليّ قصص طفولتك ؟
- إنها طويلة ويلزمنا سهرات كثيرة .

- وهل هي مسلسل تلفزيوني .
- ضحكت من تعليق ابنتي وأجبتها ..
- تشبه قصة للأطفال جميلة.
- قفزت ليلي فرحة وقالت :
- أمي لديّ اقتراح !
- ما هو. اقتراحك يا ليلي ؟
- لماذا لا تكتبين هذه القصص وقت فراغك وبذلك
- ترتاحين من أسئتي حين أقرأها على الورق
- وأعطيها لرفيقتي إن كانت ممتعة ؟..
- فكرة معقولة يا ليلي .. أعدك بأني سأكتبها
- وأتركها لك ذكرى .. والآن بعد أن اتفقنا ..
- اذهبي للنوم غداً ستذهبين إلى المدرسة .
- ومتى أقرأ قصصك ؟..
- في العطلة الصيفية تكون جاهزة .
- شكراً يا أمي .. سأنتظر وأنا مشوقة لها ..

\* \* \*

## ضحكة الطفولة

أحسّ أن بداخلي طفلة لا تكبر ..  
وهذا الإحساس ذكرني بقول للكاتب " شارلز ديكنز "  
وهو في سن الستين :

- " إني دائماً أتغذى ، وأغذي قصصي بذكريات الطفولة  
والصبا "

كل شيء في الريف يرتل نشيد السلام ، وغنوة المحبة  
الإنسانية. فالأشجار تراقص النسيم ، والاختضار يفرش  
جاذبيته وعبير الأزهار. ، والهواء النقي المفعم بأنفاس الأرض  
النقية ، وصحة العقل كصحة الجسم . لا بدّ من الهواء الطلق  
حتى نكتسب المناعة ، لأن تلوث الهواء ينشئ بنية علية ،  
وكيان سقيم . فالبيئة والمناخ تؤثر على طبيعة الأجسام ،

فالتبيعة ليست بجمالها فقط إنما باتصالها بعيش الإنسان ،  
ومنفعة الإنسان. أما في العصر الحديث أصبحت تشوبها  
شوائب النفع والمصلحة من الإنسان الذي يستغلّها. وأهل  
الريف أقرب إلى الطبيعة ، وإلى فهمها ، لأنهم يحسّون أنهم  
جزء منها والشجرة أو الأرض بمثابة ولد من أولادهم لا يفرط  
بها أي فلاح. أما إنسان المدينة يحسّ فقط بذاته منفصلاً عن  
الطبيعة . والأقدمين كانت السماء والنجوم في نظرهم كائنات  
حيّة وفيها الروح الخالقة . وكل كوكب ، وكل نجم ، هو  
حيوان ذو نفس وروح النجوم سر حركتها.

والحذر كل الحذر أن نقتلع شيئاً من جذوره ، فإن ما  
نبت في قلب البشرية لا يقتلع ، إنما نستطيع أن نهدب  
الغرس، ونبدّل ألوان الأزهار. والثمار ونولد منه أقوى الأشجار  
، لأن الطبيعة تعدّل وتبدّل في الموجود وتحوّله ...

والإنسان يا صديقي الطفل ، لم يغيّر طبيعته منذ  
القديم إنما يبدّل لونه ، ويعدّل ملامحه ، ويغيّر ثيابه التي تتفق

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

مع روح العصر . هو يغيّر ريشه كالطيور ، وجلده كالثعابين

- هل هناك في نظر الطبيعة فرق بين النحلة والأديب ؟ لا فرق ... كلاهما مخلوق يتنقل بين الأزهار لينتج عسلاً آخر النهار ... النحل عسله للمذاق والأديب عسله للفكر ..

\* \* \*

لقد تفتحت طفولتي بين أحضان الطبيعة ، والتي غرست فيّ قوّة الإرادة ، وحبّ المطالعة ، وبساطة الجمال ، والقناعة الراضية . كنت أعيش في بيت جدي ، ذلك الأمير الساحر الغارق في عنفوان الرجولة ، وزرع في كل غراسه الجميلة والتي أثمرت ، ورعاني بقطوف المحبة وأشبع كل رغباتي كطفلة ، حين حملني بين ذراعيه وأخذني من أهلي . حين بدأت أُمي تهتم بأخي للصغير التي رزقت به . وحرصاً على مشاعري قرر أن أعيش في كنفه . كنت الأميرة المدللة،

والنحلة الدؤوب ، وأتخطى كل حدود العادات والتقاليد في بيت جدي الصارم الحازم المنظم.

في ظهيرة محرقة من شهر آب ، ركضت إليه مسرعة في موعد الطعام . ولموعد الطعام طقوسه الخاصة حين تدق ساعة البرج (الثانية عشرة ظهراً) . تكون مائدة الطعام جاهزة ، ويتصدّر جدي المائدة ، ثم يتبعه أفراد الأسرة . ويجب أن يكون الطعام ساخناً . وقفت قربه يدي تلامس كتفه برفق خبيث :

- جدو أريد تينة حمراء فاتحة فاهلا .
- هديل .. اقطفي ما تشائين من حاكورة المنزل بعد الطعام .
- لا .. أريدها من الكرم البعيد حتى أركب الفرس .
- الطقس حار .. بعد العصر نذهب ..
- وتكوّم العناد الطفولي بإصرار ، وعلى وجهي علامات الحرد الغاضب ورفض الطعام .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

همس جدي بأذني - الشمس قد تؤذيك

صرخت رافضة كل الحلول وحسنت الموقف بقولي :

- جدو أريدها الآن ..

نهض عن المائدة ، وسط نظرات الاستغراب من أفراد

العائلة، وما هي إلا لحظات حتى أعدّ له الخدم الفرس الجميلة،

وقفزت أمامه فرحة ، واختفت دموع الغضب والاحتجاج .

قرص الشمس يمج أشعته متطلعاً إلى القرية بتحدٍ في حرقة

تلك الظهيرة، وآب الحارق يخيف أهل القرية المحتجبون في

بيوتهم في مثل هذا الوقت من النهار. ويسود الهدوء المسجي

إلا من أقدام الفرس الغاضبة وصوت إيقاعها المتوازن . فتركض

ثائرة محتجة وغاضبة مني .. ويهتّر ذيلها بالرفض ، قلبي يقفز

مع خطواتها سعيداً ، لأني سأحصل على التينة الحمراء .

وأزور شجرة الصنوبر التي أحبّها والتي تظلل نبع العين الجميل

. وكان يثير حزني ذلك الجرح الذي ينزف من ساق الصنوبرة.

وكنت أظنّ أن الهواء القاسي قد جرحها ، وشرح لي جدي



معنى هذه الشقوق في ساقها ، إنها ليست جروحاً ، إنما من هذه الشقوق تفرز الصمغ .

- وماذا نفعل بالصمغ يا جدي ؟..
- يصنع للدهان ، ولزقات الجراح ، والمراهم الطبية..
- ومن أوراقها تصنع الأصواف لمعالجة مرض –  
الروماتيزم –
- وهل شجرة الصنوبر هي الوحيدة بفوائدها ؟
- لا يا هديل ، لكل شجرة فائدة خاصة تغدقها  
على الإنسان ، لأن الإنسان كان على تماس  
مباشر مع الطبيعة ، ويعيش في الغابات ، ويجمع  
الثمار . والأعشاب للغذاء ، ويصطاد الحيوانات  
ويتغذى من لحومها ، ويلبس جذورها وأصوافها .  
وبنى من الطين بيته تحت ظلالها .
- الأشجار جميلة يا جدي إني أحبها كثيراً .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

- والأشجار يا هديل ليست فقط جميلة بظلالها  
وخضرتها إنما هي تنقيّ الجو من التلوّث ، وتزيد  
من خصوبة التربة وتجلب الغيوم والأمطار ، وتزيد  
من مخزون المياه والرطوبة.  
صحوت من أفكاري ، والكرم يتسم مرحباً بنا ، لأننا  
زوّاره في وحدته الحارقة . وعانقتني شجرة التين بنظرة حنان  
لأنني أتيت إليها مفتونة بها ...  
وانحنى غصنها الريّان لمست التينة الحمراء بنعومة وقطفتها  
وفمها يضحك وكأن أرجواناً يذوب بين حلاوتها . حملتها  
بيدي أتأملها ، وأنا أحسّ بالزهو والانتصار وجدّي ينظر إليّ  
مبتسماً وسعيداً بفرحة شقاوتي ، وعدنا إلى القرية وأنا أحمل  
كنزي الثمين .  
لم أبال بصوت جدتي الغاضب وتأنيبها لي ، والجميع  
ينتظرون حول المائدة ، ونظرات الغضب تلتهمني ، وشفاهم  
تغلو بالكلام الخافت خوفاً من صرامة جدي ..

- الطعام برد .. لم يبقَ له نكهة . إلى متى تطاوع  
مزاجها؟ ..

قالت جدي بصوتها المنخفض ونظراتها في الصحن ..  
رمقها جدي بنظرة حادة تقدح شرراً .

- الطعام يسخن مرّة ثانية .  
- أنت تفسدها بالدلال ، وتشجع رغباتها الطائشة.  
نهرها جدي بحزم

- علينا أن نحقق رغبات الطفل الممكنة ، حتى لا  
تسبب له كبتاً وحرماناً ..

ساد الصمت إلا من صوت الملاعق . وكنت أراقبهم  
وأجفاني مسبلة على الصحن شامته وسعيدة لأني انتصرت.  
أعرف أن ابنتي سوف تغرق في موجة من الضحك ،  
وتنتظر المزيد من مغامراتي الطفولية المثيرة والجميلة.

سأتابع يا ليلي ، لأنك أعدتني الآن إلى ذكريات ممتعة  
وكأني أعيشها الآن ...

\* \* \*

## حوار الورد

ما أمتع هذه الحكايا لخيالات الطفولة ، وكل شيء يجيء ويذهب في تغير ممتع ، يترأى كل شيء ولا يترأى شيء ، ويمشي أحدنا كالشبيه بالأعمى ينظر كثيراً في الظاهر كما ينظر في الباطن ويقلب في ظل الروح صور الحياة ، وكأني الآن أستلقي تحت شجرة الصنوبر الدافئة ، ومن حين للآخر ينظر إليّ كلب القابع على الأرض . والزناير السوداء تطير حول الكرمة المثقلة بعناقيد العنب ، فيطاردها لاهثاً. لأنها تقلق الصمت المخيم، ويلاحق الفراشات التي تمشي مختلطة بالأزهار

، والبقرة ذات الأهداب الشقراء تتمطى كأنها تستيقظ من فراشها الدافئ، يراقبها كلبى الرابض وقد أغمض عيناً وفتح الأخرى ، يلقي على الكائنات نظرات الرضا والصفاء . والدواجن والهوام والأرض السمراء وجداول الماء ، كلها بأصواتها الصغيرة ، وأزيزها اللطيف وصمتها الدائم ، تتراءى كأنها تتبادل حواراً مفعماً بكلمات الود والحب والإخاء ، صوت واحد يظهر الفوضى بينها هو صوت الإنسان ، متى ظهر ظهرت معه الفوضى ونشأ الخلاف ، واشتدّ الصراع .  
الوحدة يا صديقي الطفل إنما هي فكرة ضوء عظيمة

— رام — كلب صغير عث الشعر رقيق ، يتجعّد ريشه في بياض مغبر ، ولطخة شقراء على ظهره ، ومرايا عينيه كأنهما من الكهرباء السوداء . يرافقتني في نزهاتي ، ويداعب بفمه الأزهار الوردية والصفراء وينشق جذوع الأشجار يحفظ الأسماء من التكرار . ويتعرّف على الأشخاص بحاسة الشم ، حين أناديه باسمه يركض نحوي في مرح كأنه يضحك ، ويهزّ ذنبه

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

مبتهجاً ، كالطفل الوديع يمضي معي وفق خطواتي يبطئ أو يسرع . ينظر إليه أبناء الريف ويتسمون ، وحين يعبث أحد الأطفال به ، أو يفزعه صوته يرتفع بالنباح محتجاً وغاضباً وكأنه يدافع عن نفسه ولو. أن الأطفال اكتشفوا أحاسيسه الناعمة ، وطبائعه المسالمة لاكتشفوا أنه هو الذي يخاف منهم ، ويخشى أن يرموه بالحجارة ، أو يسبوا له ضرراً ما . وحين يتعامل أحدهم معه بلمسة حنان على رأسه يحرك ذنبه فرحاً مطمئناً ، ويقبل اليد التي تلمسه شاكراً أنه ببساطة يعقد مع الإنسان صلة ودّ وقيّة .

كنت أهدهه قائلة :

- لا تفزع يا صديقي الصغير . أنت معي .. وأنت بمنتهى الطيب والوداعة. لا مثل بعض الأطفال الحمقى الذين يحبون الأذى ويرمونك بالحجارة ، أو يهزّ العصا في وجهك .. دعهم يا صغيري .. هيا اتبعني ولا تهتم بالآخرين ، لأن في الحياة

خليطاً عجيباً من الكائنات الذين خلت قلوبهم  
من الرحمة ، ومن أواصر الإنسانية والرفق  
بالمخلوقات الضعيفة التي لا تبحث إلا عن الأمان  
والطعام فقط ...

حين تنام الشمس في حضن الغروب ، يخرج معنا جدي  
إلى الكروم وكان النسيم يداعب تلك الأوراق الرقيقة على  
أغصان الأشجار والتي تحتزن قطرات الندى الشاحبة .. كان  
يحسن العدو والقفز والتمرغ على الأعشاب ، ويتقاذف  
الثمرات المرمية على الأرض وكأنها كرة ، ويحسّ بعبير الحرية  
ويمرح كما يشاء ولكن حين يعلو صوت الفرس بالصهيل  
يتراجع إلى الخلف ويشدد النباح ، وكأن هذا الصوت أقلق  
حالته الرضية في طريق عودتنا. كانت الورود الزرقاء والحمراء  
والبيضاء تتساقط من العرائش. وكان السماء تمطر أزهاراً على  
كتفي وجبهتي ورأسي. وتمتلئ يدي بالأزهار .. يا إلهي !.. ما

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

أجمل هذه الزهور. الناعمة بعطرها الأخاذ وكأن ملائكة السماء  
يلقون الورود على الأطفال الأبرياء والحيوانات الأليفة الطيبة .  
يرخي الليل سدوله على القرية ، ويستتب الهدوء إلا من  
صوت نقيق الضفادع ، وأغنية عصفور شارد وضوء القمر  
كنافورة رحمة إلى الأرض ، والنجوم تتلألأ ضاحكة في السماء  
الصفية .

- رام ! هيا ارفع عينيك إلى السماء .. بتحنن ورجاء  
وشكر ..

حين ندخل المنزل تهرع القطة (كالي) وترمقه بحسد لأنها  
لا تستطيع أن ترافقنا نزهاتنا ، فتغضب وتسرق له طعامه .  
وكان السخاء من طبعه يتراجع إلى الخلف متنازلاً لها عنه .  
ويمرغ وجهه على رجلي وينظر إليّ راجياً أن أضع له غيره ،  
لأنه غير أناني وقنوع بالقليل. لأنه يحب بوفاء نادر... فالقطة  
كانت صديقه وقد تألف معها رغم أنها تتمتع بالأنانية وتحب



ذاتها ، بينما هو يجب الآخرين . والغيرة والتملك من سمات القطط.

في ليالي الصيف كنت أتأمل القمر هذا الكوكب الجميل الذي يسهر على مسرّاتنا ، ويغيب مع أحزاننا . أليس القمر باعث الجمال على الأرض ؟ .. والشمس باعثة الحياة على الأرض ؟ .. إنها تشرف علينا من مكان معيّن ولكن إن اقتربت منا هلكننا حرقاً ، وإذا ابتعدت عنا متنا برداً. إن يد الحكمة الإلهية وضعتها في موضع ترسل إلينا الدفء والخير والسلام .. ما أدقّ هندسة الكون ؟ ..

صحوت من أفكارى ، وقوافل النمل تسير على الحيطان غير مبالية بالأصوات وكأنها لا تسمع شيئاً ، فالنظام هو النظام. والخطى هي الخطى ، وتحمل مؤونتها في حركة فرح ومرح ، كم هي رقيقة وصغيرة تلك الكائنات ... أتى طفل بكوب ماء وصبّ مما فيه على النمل ، فتغرق شمل النمل ، وأصيب بالذعر ولكن بعد لحظات عادت تلتئم وتعاود نقل

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

مؤونتها في حرص مستميت . ألا يشبه الإنسان النمل ؟ ..  
حين تصينا ظواهر جوية من زوابع وأمطار. وعواصف ألا  
نفترق وتباعد ويتمزق شملنا ، ونوقف نشاطنا؟ ..  
أقبل - رام - وكنت قد تشاغلته عنه بتأملاتي ،  
وفوجئت به وهو يعرج مقبلاً نحوي ، فقفزت أتلمسه ...  
- ماذا دهاك يا صاحبي ؟

نظر إليّ باستعطاف حزين وكأن دمع الألم محتقناً في مقلتيه  
. ركضت إلى مضافة جدي غير مهتمة بزواره وهمست بأذنه بما  
أصاب (رام) المسكين، فاعتذر. من ضيوفه، وفحص باطن  
رجل (رام) وقد انغrust فيها شوكة. أخذ جدي ينتزع الشوكة  
بهدوء ، وكنت أحسّ أن ألمه يوخز أعصابي والدمع يترقق  
على خدي ، وهو ينظر إليّ بعينين فيهما التوسّل والرجاء .  
ضمّد له جدي الجرح الصغير وطمأنني أنه بخير ويلزمه راحة  
فقط . ركن في زاوية الغرفة فوق فراشه من جلد خروف ناعم ،  
وهو يلحق جرحه بلسانه حتى يشفيه ، لأن لعابه يشفي الجروح

ثم غفا متعباً ورفض تناول الطعام . فما كان من (كالي) إلا أن التهمت طعامه وقبعت قريبة منه وكأنها تحسّ بالامه..  
كنت أتأمله والأفكار تدور برأسي المتعب يا صديقي الصغير ..! ماذا لو متّ قبلي؟..!

إن متّ قبلي يهون حزني ، ويصعب حزنك ، لأنك مشهور. بالوفاء الكبير ، وإذا متّ قبلي .. لا لن أسمح للغربان أن تمزّق أضلاعك ، ولا للخيلول أن تدوس فوقك ، ولا للحيوانات المفترسة أن تنهش أحشاءك ولا لأطفال الخائفين أن ينظروا إليك، أو يرمونك بالأغصان ، عش مطمئناً يا صديقي ، سأدفنك عند سطح شجرة الصنوبر قرب نبع العين ، إنها شجرتي الحبيبة ، والتي تروك ظلها الكثيرة وكم لعبنا معاً تحت خميلتها الدافئة . ستكون قرب الحياة المرحّة الصافية وستغطي قبرك بأغصانها الحنونّة . ويزورك الأطفال وتتعلّم الأناشيد التي تلهي وحدتك ، وستسمع غناء - الميجانا والعتابا وأبو الزلف - ورقص الدبكة في الأعياد . وصوت

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

النبع سيكون متعة سلامك والعصافير والبلابل ستصنع لك في  
تاج الشجرة عشاً صغيراً من الموسيقى أثناء نومك الهادئ.  
وزرقة السماء اللطيفة ستربط ثراك ...

ما أمتع طفولتي معك ، وما أكثر الأحلام التي تهدد  
أيامنا ، ترى هل لك أحلاماً مثلي؟ .. هذا جلد الخروف  
الناعم يضمك، ولكن أتذكر - يا رام - كم كنت أتجنب  
رؤية خروف العيد حياً قبل العيد وأتخشى أن أدنو منه أو  
ألاطفه ، أو أعقد معه أواصر صحبة أو مودّة ، خشية أن أراه  
بعد ذلك مشوياً في طبق وهو. ينظر إليّ بعينين يسيل منهما  
الحزن نظرات تكشف عن خلقنا الإنساني المنطوي على الخيانة  
والغدر ، هذه النظرات التي تنبعث من الحيوانات الأليفة  
الوديعه ، إنها أبلغ في إنسانيتنا من بعض نظراتنا الآدمية التي  
يشعّ منها بريق جشع حيواني ونهم مفترس .

أحسّ أن الخروف يعاتبني قائلاً :

- لماذا هذا السلخ والذبح على مرّ الدهور والأيام ؟

لم أجد جواباً له ..

صحوت صباحاً و- رام - يلامس وجهي بيديه ويوقظني

..

- صباح الخير رام .. أأنت بخير ؟

هزّ ذنبه فرحاً وكأنه يطمئنني أو يشكرني لأنه شفي . في  
أمسيات الصيف الرقيقة نرافق جدي في تجواله بين مزارعه  
وكرومه . يصحبنا ضوء القمر الفضي المسترسل بأشعته على  
الأبنية القرميدية البسيطة وستائرهما من العرائش. والزهور  
والأشجار .

رام - يروح ويغدو تحت شجرة الصنوبر . ويقترّب من  
عين نبع وهو يلهث ، ويرطب حلقه بقطرات الماء العذب ،  
ويطارد فراشات الليل ، وينهمر وجهه بالفرح ، حذراً مترقباً  
يصغي إلى كل صوت وكل خطوة ، وابتعد - رام - ولمحته  
تحت شجرة التين ، ناديته لم يستجب .. كررت النداء .. ظلّ  
يرمقني بعينه السوداويين ونباحه يخترق صمت الغروب وكأنه

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

يناديني .. ماذا حصل ؟ اقتربت منه ووجدت تحت الشجرة  
عصفوراً صغيراً جريحاً والدم يغب ريشه الناعم. حملته بيدي ،  
أتحسس عظامه وعضلاته الملساء ، وبمنديلي أمسح لطخات  
الدم ، وقد امتلأت عيناى بالدموع ، وأدركت أن صائداً قد  
أطلق عليه حبة خردق من بندقيته وأصابته الطلقة رقبتة  
النحيلة ، وكان رام يحاول مساعدته معي ويتحسس رائح الدم  
التي تنفذ إلى منخرينه .. وكأن صيحة مكبوتة - آي .. آي ..  
وخمد المسكين بلا حراك. كان رام يدور حوله هائجاً غاضباً ،  
وصوته الحزين يئن بنباح خافت كأنه يرثيه بطريقته الخاصة .  
أزحت التراب ودفنت العصفور وأنا أتأمل ترابه صامتة  
وكأني أودّع هذا المسكين بصلاة خافتة ، أكانت الطيور  
غاضبة ؟ .. والقرية ارتدت ثوب الظلام الساكن وخشع  
الهدوء .. إلا من غناء الصراصير الخفيض ثم الحاد ، ويتسامى  
الغناء كأنه صوت ظل لا يتردد ولا يسكت وأذهب أنا ورام  
وقد أخذتنا رعدة الخوف والحزن إلى الفراش تغشانا رطوبة

بيضاء ، والروح ملكة الجسم تعطي للطبيعة نفحات الأجلال  
للمتألق الخالد.

نم يا صغيري العصفور ..  
نم في السكينة اللامعة  
يرحمك الله ..

\* \* \*

بِقْظَة طفلة

النسمات الغضّة الساكنة تروح وتغدو ، وتفتح أزهار  
الليل، وتمضي الساعات قلقة ، ويتموّج الحزن في رأسي الصغير  
حين أفقت ولم أجد جدي وجدتي؟! .. فركت عينيّ لأنأكد من  
عدم وجودهما في الغرفة . تسللت خارج الغرفة ، ولم أستعن  
بأحد من أفراد العائلة ، بل لبست معطفي الفرو. وكأني نمر

ليلى والحيوانات

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

صغير . وصوت المطر المتقطع يتساقط خفيفاً ، ناعماً كما تتساقط نسيمات الصيف العليلة، واعترضتني حديقة الدار. المسيجة بالقصب الملون المتقاطع بشكل هندسي جميل وبأها مقفل وأين المفتاح ؟ ولا بدّ من المرور منها حتى أجتاز. ساحة الدار. لأخرج إلى الباب الرئيسي .. لا بدّ من حيلة ، أحضرت مطرقة صغيرة ، وقطعت القصب بهدوء ، وفتحت كوة صغيرة تسعني للهرب منها. وهبطت الدرج بترتّث وعلى ضوء الفانوس الصغير ، انتبه أحد الفلاحين والذي يقوم بحراسة المنزل، وأنا أحاول فك مزلاج الباب لأخرج ، صوت أم محمد..

- قم يا ولدي محمد .. هناك كلب يرفس الباب .
- لا يا خالة أم محمد .. أنا هديل ..
- قفزت أم محمد مذهولة .. ضمتني إلى صدرها ..
- ما بك يا ابنتي ؟ ..
- أريد جدي وجدتي



- نامي عندي ريثما يعودان  
وفشلت أم محمد أمام عنادي ودمعي
- تعال محمد .. اذهب مع هديل  
سرنا في شوارع القرية الغافية إلا من صوت إيقاع المطر،  
وحين دخلنا منزل الأقرباء لجدي ، فوجئ بقدمي وشهقة  
صوتي المبحوح تتهدج:
- جدو .. جدو قطتي مريضة .. أسرع معي ،  
أخشى أن تموت مثل العصفور الصغير .  
رمق جدتي بنظرة معاتبة :
- قلت لك لا أحب السهر حتى لا تقلق هديل .  
صرخت جدتي ..
- لعنة الله على الققط ، في حوزتنا عشيرة ققط .  
واستغرب أهل الدار. تسللي دون أن يحس بي أحد وجدي  
يربّت على خدي معجباً بذكائي وجرأتي وحيلتي في الخروج .  
ضمّني إلى صدره بحنان وقال :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

- هديل .. القطة ولدت قطعاً صغيرة.  
كانت كالي مستلقية على فراشها ، والقطط الصغيرة تحوم  
فوقها وقربها وهي تنظفها بلسانها ، وترعاها كأأم حنون ،  
وفي الأيام التي تلت كانت تروح وتغدو وتحرس أولادها  
الصغار . وإن ابتعدت إحداهن تحملها بفمها وتعيدها إلى  
مأمنها ، والصغار جميعاً متشبثون في رعدة ساذجة  
بأثدائها الوردية الممتلئة وتظل ما يقرب الشهر تدخل  
وتخرج وتراقب الممرات ، ثم تقف على عتبة الغرفة كالمجنونة  
وتمنع أي كائن أن يقترب من صغارها ، ولكن حين تكبر  
الصغيرات تخرج من حمايتها وتنقل بحرية ، وتنقلب المودّة  
إلى مشاكسة ولعب وعدوانية أحياناً .. وكأن مهمتها قد  
انتهت وعليهن الاعتماد على أنفسهن والبحث عن الرزق  
.

\* \* \*

## الحاكورة

ما أجمل الصباح ، والشمس تسكب بهجتها الذهبية  
على الأرض والفرشات تلعب بين الأزهار. ، وأناشيد الطيور  
نغمات طليقة في الفضاء . والمروج تضحك للنسيم العليل .  
- هيا رام .. نتنزّه في الحاكورة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وبينما أتأمل أشجار الرمان واللوز ، ورام يستمتع بحريته  
قرب أشجار الورد ويلعب مع الفراشات . فجأة استولى عليّ  
الخوف وتراجعت إلى الوراء، يا لروعة المشهد . أفعى صغيرة  
تتسلل من التراب وتقترب من - رام - الذي انتفض مستعداً  
للهجوم . صيحاتي العالية جعلت جدي يهرع فوراً متسائلاً :  
- هديل .. ما بك ؟..

اختبأت خلف جدي ، وأنا أشير إليه بأصابعي :

- أفعى .. أفعى يا جدي .

هدأ من روعي قائلاً :

الأفعى لا تؤذي يا هديل إن لم يؤذيها لإنسان ، إنها لطيفة

، وهي تستخفي من مكان للآخر بين الأشجار في الصيف

تخرج من أوكارها.

وسمعت جدي يحدثها قائلاً: اذهبي بسلام يا مباركة ،

فتابعت زحفها واختفت ..

تعوّدت أن أدع رام يذهب حيث يشاء ، وهو يتبعني  
حيث أريد ، أعامله كأنه طفل صغير ويعلم أنني أحبه وأدله .  
وحين أعاقبه لتصرّف ما لا يحمل لي حقداً .. هو. يشبهني  
ومختلف عن الآخرين ويحسن التفاهم بلا لغة .. تبعني إلى  
ساحة الدار.. لن أعود إلى الحاكرة .. سنتسلى قرب نافورة  
الماء وكنت أغني بعض الأغنيات ، أو ألون الرسوم في دفاتري  
. وتترامى بيوت الفلاحين بين المزارع والكروم ، والأطفال  
يعبثون . وتعلو ضحكاتهم في الطريق الضيق .. والعصفور  
يزقزق في القفص . ربما هو جائع، أو محتاج إلى ماء . وما أن  
فتحت باب القفص حتى طار .. وبدأ يحوم حول أحواض  
الزهر ، ثم يرتفع على السطح ويصفق بجناحيه. وأنا أرجوه أن  
يعود إلى القفص خشية أن يموت من الجوع أو البرد أو خوفاً  
من أن تأكله القطط ، ثم هرب إلى الحاكرة .. وتراجعت ،  
لن ألحق به ، ورام يطوف معي وكأنه مستمتع لأن العصفور  
حصل على حرّيته ..

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

يا إلهي .. ماذا أفعل ؟ وإن عاد جدي ماذا سأقول له ؟ .  
سوف يغضب مني كثيراً .. ولبث العصفور يخفق ويطيير  
ويهبط وقتاً طويلاً ثم فجأة عاد وهو فرح إلى القفص ..  
تنفست الصعداء .. وسأروي لجدي مغامرة هذا العصفور  
الجميل ..

حين عاد جدي ظهراً ، تلعثمت واضطربت ، كيف  
سأصارحه بقصة العصفور الهارب ؟ هل سيغضب مني ؟..  
بعد الطعام .. تشجعت وسردت له قصة العصفور .. ضحك  
جدي وأجابني بهدوء :

- يا هديل ، الحيوان سُمِّي أليفاً لأنه يتألف مع البيئة  
التي يعيش فيها، كما يتألف مع الأشخاص.  
وهناك صلة دائمة بين الحيوان وبيئته التي يتربى فيها .  
وكذلك بين الإنسان وبيئته نفس الصلة ، ولا يستطيع أن  
ينفصل عنها .. ومكافأة لك على صدقك سأروي لك  
حكاية جميلة ..

- يروى أن رجلاً ذهب لعند النبي سليمان ، وكان يحب الحيوانات والطيور ويفهم لغتها ويتحدث معها ..

قال الرجل : أريد أن أتعلم لغة الحيوانات ..  
أجابه الملك : التعامل اللطيف والحنان وإشباع الحيوان ورعايته أهم من لغته ..

ردّ قائلاً : أنا كذلك يا سيدي ..

علّمه الملك سليمان لغة القطط ، وعاد إلى قريته ومعه قطتان جميلتان . وحين حان موعد الطعام جلس يأكل وهما تنظران إليه باستجداء وتوسّل .. لم يبال بهما . وحين شبع ترك لهما فتات الطعام . غضبت القطتان واشتدّ صوت المواء احتجاجاً ولكنه نهرهما وهددهما بالضرب .

قالت الأولى لرفيقتها :

- ماذا نفعل مع هذا الرجل البخيل ؟ ..

أجابتها : - وأيضاً ظالم وقاس القلب ..

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

- اصبري ، ربما غداً يحنّ قلبه ويحسن معاملتنا .  
في اليوم التالي ، أحضر لحوماً. وأكل ثم خبأ البقية وأهمل  
مواء القطط ورمى لهما فتات من الخبز الجاف . قالت القطّة:  
- إن شاء الله يمرض حصانه ويموت فيرميه ونأكل منه  
حتى نشبع ..  
ارتعد صاحب القطط من دعوتهما وخاف ، وذهب  
إلى السوق وباع حصانه ، حزنت القطتان وتشاورتا في  
الهروب من ظلمه . وقبل أن تغادرا المنزل رفعتا عينيهما إلى  
السماء ، تدعوان الله أن يهدم بيته ويجعله خراباً ..  
رجع الرجل إلى النبي سليمان وسرد عليه قصته .. قال  
الملك سليمان :  
- قلت لك : اللطف والرفق بالحيوان أهم من تعلّم  
لغته ، وأنت تعلّمت اللغة ، ولكنك كنت قاسياً  
وجشعاً وبخيلاً. اذهب .. سوف تنال عقابك ..  
• هل أعجبتك القصة يا هديل ؟



• أجل جدي ولكني لا أحبّ هذا الرجل

القاسي ..

ابتسم جدي .

- وأنت ، أليس لديك قصة لجدو ؟

- أجل سأحكّي لك ماذا فعل رام في العيد :

ذهبت مع - رام - إلى ساحة القرية لنشارك الأطفال  
الفرجة على " صندوق الدنيا " فاقترب رام ودسّ رأسه بين  
رؤوس الأطفال ، وذبّه يهتّزّ فرحاً ، والأطفال يداعبونه  
بسعادة ومرح ، فما كان من العجوز صاحب الصندوق إلا  
أن قال له مازحاً : هات نقودك . فضحك الأطفال ، وهو  
ينظر إليّ متوسّلاً ، ويقفز مع دقّ الطبول ، والدبكات الرنانة  
بفرح العيد..

ضحك جدي - وهل كان مع رام نقوداً؟ ..

نظرت إليه عاتبة ، وضمتني إلى صدره بحنان قائلاً :

- في العيد القادم سأعطيه نقوداً .؟

لبلى والحيوانات

\* \* \*

## مواجه ليلي

هنا النظام ، والصلابة ، والعنف ، والخراب والضجيج  
لا بدّ أن أتقلب مع مواجهي ، بعد ذلك التاريخ الطفولي

الجميل في الريف ، أين هي المروج التي تضحك ، وموسيقا  
الصباح حين تعزفها جوقة العصفير والطيور ؟. أين رائحة  
العطور التي تتسرى عبقاً في الأرض ، وغناء الصراصير الذي  
يملاً الريف كأنه صوت ظل لا يتردد ولا يسكت ، وكل نغمة  
كأنها تنبع من ذاتها تؤمماً لنغمة أخرى ..

يا صديقي الوفي - رام -

الإنسان مرتبط بالبيئة التي ترعرع فيها ، والحنين يشدني  
إلى القرية، فالبيئة في المدينة مختلفة تماماً. عن الريف. ما أعجب  
حياة المدينة المليئة بالضوضاء والأنانية ، وكأن الإنسان يراقب  
الآخر من سقف زجاجي ..

رام الكلب الطيب ، من الجو الفاتر. في مسكنه ينبح  
بحزن وبات ليلته حزناً ، لا يتذوق طعاماً أو شراباً ، كأنه  
نجمة ميتة وحيّة ، مما اضطرّ جدي إلى إحضاره إلى المدينة  
وهو الآن فرحاً يتمرغ بثيابي ، ويلازمني كيفما تنقلت في المنزل  
، ونظراته الشغوفة بالدمع تجرح قلبي ..

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

يا لطيبك .. ونبلك وإخلاصك ..

لا تغضب مني - يا رام - لا بد من الرسن على  
عنقك حتى أحميك من الخطر .. وكان يسلم نفسه لي بقناعة  
ورضى ، كم أتمنى أن أهبك حرية الركض ، والقفز واللعب في  
الشوارع، ولكن.. حارس الحديقة يهددنا غاضباً ، وكم منعنا  
من الدخول. هنا أمشي معك وكأنك هارب أبداً ومستعداً  
دائماً للدفاع عن نفسك ، نباحك يشتدّ لأي عابر ينظر  
إليك . وتخشى من الأطفال الزجر والرمي بالأحجار ، لا  
تغضب مني. هذا القيد على عنقك لا يجعلك تستمتع بالحرية  
، ولكنه يحميك من أذى الأطفال وعبث السائقين ، وزحمة  
الشوارع ... أيستطيع أحد أن يحسّ بمعنى حرية الريف وطيب  
أهل الريف غير أنت وأنا؟ ... أيستطيع أي فنان أن يرسم  
هذا الجمال العميق في الريف. من يستطيع أن يتأمل أزهار  
الزنبق ، وعرائش الياسمين وكأنها الثلج المندوف؟ .. من يستطيع  
أن يفسّر أحلامها؟ هنا الزهور. قليلة ومسمومة في وحدتها

يلوثها دخان السيارات والمعامل والهواء الفاسد . ومسيّجة في  
الحدائق أو مسجونة على شرفات المنازل ، ساكنة لا تتحرّك  
خشية أن تداس بأقدام العابثين ، بينما في الريف تتمايل مع  
الهواء النقي وموسيقا الطبيعة الفطرية التي تعزفها العصافير  
والبلابل والطيور، المنظر الأخضر الذي يسبح في الضوء المزهر  
وحوله الزرقة السماوية، يحطّ هنا راقداً في ظلمة الأبنية ، أو  
يطفئ على الأسطح العالية ، هنا الألوان المشرقة ترقد هامدة  
يا للغيوم المسكينة كم هي شاحبة وفاترة، أتذكر يا صديقي  
الدجاجات التي تلوذ بأعشاشها حين تغيب الشمس ؟ هنا  
الدجاج في الحوانيت يرتعد خوفاً ، وصياحه يشتدّ لأنه سيدبح  
. يا لقسوة البشر .. كم تذبح الضعفاء !.. هنا النحل يهرب  
خائفاً ، والنمل يموت مقتولاً ، والقنابر يطرن صامتات  
ضالات .

أتذكر يا صديقي ذلك الطفل العاجز الذي تجلسه أمه  
على ناصية الساحة في القرية وهو ينظر إلى الرائحين والغادين

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

، إنه طفل تعس ، كان يداعبك وأنت تستسلم له راضياً ،  
مطمئناً ، وكأنك تحسّ أنه فقد نعمة المشي ، ونعمة الرحمة .  
كان يفرح معك ويبتسم لقدمك .. رؤيته تحزني، هو كل  
شيء لأمه ، وليس شيئاً للآخرين . المدينة هنا تجعلك غريباً ،  
ولا أحد يحس بالآخر ، شبائك الريف تتحدث بلغة الألفة  
والتعاون ، وقلب القرية يخفق لأي مريض أو بائس ،  
ويتعاطف أهل الريف في الحزن والفرح والمرض كأسرة واحدة .  
أما سكان المدينة عواطفهم متفرقة، بيوتهم متباعدة ، ومساحة  
المدينة الواسعة لا تسمح بالتعارف أو عقد أواصر المودة  
والتعاون . كل واحد يسعى إلى رزقه ولا يهتم باحتياجات  
الآخر . أتذكر يا - رام - ذلك الطفل الذي وقع في النهر  
كيف تسارع الرجال إلى إنقاذه ؟.. هنا كم نرى طفلاً مشرداً  
وآخر عاجزاً ، وآخر مدهوساً بطيش سائق . الكل ينظر غير  
مبالٍ، آه يا صديقي لو تأتي معي إلى المدرسة لتعلمت رسم  
الحروف ، وسمعت حكايا الأطفال . ولعبت معنا في الباحة ،

ولكن كيف تجلس على المقعد؟ وكيف ستكتب؟ وهل  
تحمّل المعلمة صوت نباحك؟.. لقد حرّمتنا هدوء الريف  
والأمن الذي ينشر السلام الناعم . المدينة ضجّرة ، البشر  
انفعاليون ، مسرعون ، وأبواق السيارات ، وصوت الباعة  
تحدث الصخب والضجيج ، والأبنية المرتفعة تعكّر صفو  
الشروق والغروب.. كم تركض خلفي كطفل صغير متعلقاً  
بأمّه حين أذهب إلى المدرسة ، فأرجعك إلى المنزل وكان لك  
قدرة التعلّم بالتكرار، والممارسة ، وتصغي إليّ مستغرباً -رام-  
لا يمكنك الخروج الآن .. الطرقات مزدحمة ، الوجوه متعبة،  
خليط عجيب من البشر ، ونزق المارّة . أين تلحق بي يا  
رفيقي وسط هذا الصخب والحشد البشري .. ما زلت أتقلّب  
مع مواجعي ، لأني أحسست أنني اقتلعت من جذوري ، غريبة  
في المدينة ، سجينّة بين جدران المنزل ، لا يمرّ فيه إلا طيف  
الشمس ، ولا أتأمل الغروب والشروق . في البداية أحسست  
بالإرهاق الشديد ، وبدأت أتلاءم مع البيئة الجديدة ، خاصة

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

بعد أن توفّي جدي وجدتي ، حرمت حق زيارات الريف  
الريفية . الفراغ يؤلمني، والقيود المفروضة تضايقني ، حتى  
الشرفة التي ملأتها بالزهور. حزينة صامتة بلا أصوات العصافير  
والبلابل ، يضيق تنفّسها من دخان السيارات، ومن الهواء  
الملوّث ، ولأن البيئة لا تلائمها تذبل، أو تصفرّ شاحبة . ثم  
تموت . أين سحابات الريف الملوّنة الرقيقة والنسائم العليلة  
الصفافية فوق نافورات الورود ، أين السخاء والطيب والأمان  
والعطاء . وروح الجماعة التي تضم قلوب أهل الريف بمحبة  
وتسامح ومساعدة . صرت منزوية حزينة مع كتيبي ودفاتري  
يؤنسنني كلبي الصغير ونزهاتنا محددة وقليلة .. إلى أن أتى أخي  
في الصيف وأخذني معه رحلة إلى باريس ، كانت بيئة مختلفة  
تماماً والسماء دائماً تسرح فيها الغيوم الرمادية والشمس شفافة  
تطلّ لأوقات قليلة ، ولكن المدينة آية من الجمال والفن وكأنها  
بستان واسع مظلّل بالأشجار. والزهور والنهر. يقسمها إلى  
قسمين ، والطيور تحطّ على الأعشاب مطمئنة في رقصها



وطيرانها ، إنها في الظل السماوي المطر مع الصفاء والطبيعة  
الساحرة ، وغابات متواصلة وناפורات مياه وزقزة العصافير  
والبجع والبط يسبح فوق البحيرات الصغيرة وضحكات  
الأطفال، ولعب الكلاب على المروج والحشائش وحديث المياه  
الخفية كحديث المتكلم في النوم . وكأنني في عالم الأحلام  
والسحر والخيال ، وعقدت أواصر الصداقة مع كلب أخي  
الصغير . أنس إليّ وأصبح رفيقي مثل -رام- تماماً ..  
وأدهشني الاعتناء بالحيوانات والتي تربي في البيوت وتدلل  
بشكل إنساني وكأنها أطفالاً ولها عيادات أطباء وروضة للرعاية  
، وحدائق للعب مع أصحابها، ربّما لأنها تحسّ بالرعاية والحنان  
فهي أليفة ، وديعة مطمئنة وتلعب مع الكلاب الأخرى دون  
صوت صارخ أو خوف أو نباح عنيف ..  
كنا نمشي أنا وأخي ، وسمعت زوجة أخي توبّخ  
الكلب لأنه سبقها في عبور الشارع فاضطرّ السائق للوقوف له  
.. فهتمت من أخي أن السائق يعاقب قانونياً إن لم يقف .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

ابتسمت.. كم من طفل دُهِسَ بطيش سائق هرب من مسؤوليته وترك الضحية مرمية ، ولفت نظري في المطعم منظرٌ مذهلٌ ، سيدة تجلس وكلبها يجلس على الكرسي المجاور . وضعت له صحن طعام ، حين شبع نظفت فمه بمنديل ، ثم رجعت من المغسلة وبدأت تتناول طعامها . أحسست بحنان الأم تجاه ولدها الوحيد . أيقظني صوت أخي من تأملي لهذا المشهد وروى لي حكاية مؤثرة قال :

كان عامل التنظيفات يرافقه كلبه دائماً في العمل ثم يعود معه مساءً إلى غرفتهما . في إحدى المرات ، دُهِسَ العامل بسيارة ونُقِلَ إلى المشفى ولكنه فارق الحياة . بقي الكلب ينتظره في نفس مكان الحادث ثم مات قهراً على صاحبه وهو ينتظر ..

أما زوجة أخي قالت :

كان موظف البريد أيضاً يرافقه كلبه بالعمل ويضع له الرسالة في فمه ويشير إليه أن يضعها على باب المنزل . وكان يخفف عنه عبء العمل ..

وأيضاً. يا هديل. كان رجلاً يعيش مع كلبه وحيداً ، ودرّبه على مكان السمان ، وكل يوم يكتب حاجاته للسمان فيضع الأشياء المطلوبة في سلّة معلقة في رقبة الكلب ويعود بها إلى صاحبه. وفي إحدى المرات فوجئ أن رغيف الخبز ناقصاً وظن أن السمان نسيه . واستفسر منه الأمر فقال له : أنا وضعت كالعادة في السلّة ، عليك أن تراقب كلبك ، ربما أكله .. وفي اليوم التالي أيضاً لم يجد الرغيف . وراقب كلبه في اليوم الثالث ، وكم كانت دهشته كبيرة حين لمح كلبه يضع الرغيف لقطّة قد كسرت رجلها ولا تستطيع المشي ..

والمستغرب أن الطفل لا يُسمَح له أن يمشي وحده في الشارع بل برفقة أهله ، وكذلك الكلاب برفقة أصحابها ، وفي

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

السيارة يجلس الطفل أو الكلب في المقعد الخلفي ، حرصاً  
لأي حادث ما أن يقع ويسبب الضرر ..  
عدت من رحلتي الممتعة وكأني أعود من عالم الأحلام  
والأساطير وأصغي إلى قلبي العميق وحده ، والحياة تتحرك  
بالغرائب المدهشة .. وعدت أيضاً إلى نشاطي الدراسي ،  
ووجدت في المدرسة قطة زيتونية اللون ، تعني بأطفالها الصغار  
وهي محتبئة معهم في قبو المدرسة خوفاً من عبث الأطفال  
الأشرار . والمستغرب أن أطفال المدن يخافون الحيوانات  
وكذلك الحيوانات تخاف منهم . وأيضاً يسبون لها الضرر.  
ويعذبونها . سألت والدي عن تفسير لهذه الحالة .. قالت : يا  
ابنتي ، الطفل الذي ينشأ في المدينة نادراً ما يرى الحيوانات  
لأنها قليلة ، وأغلب الأمهات يربين الطفل على الخوف من  
الحيوان أو تخويف الطفل. به عقوبة له إذا أخطأ فتتشكل حالة  
رعب لديه كلما رآه . وتذكرت أطفال الريف الذين يتعاطون  
مع الحيوان بطبيعية وألفة ومحبة ، فيصبحون أقوياء ،

وضحكاتهم مع الحيوانات لا حدود لها .. وكانت مفتاحاً  
لإحساسات وخيالات جميلة لا حصر لها ، بينما أبناء المدن  
تبقى إحساساتهم مسمومة بالخوف . والطاقات مكبوتة  
بالحذر. والرعب . عاودني الحنين إلى القرية. فالطفل يرتبط  
بذكريات السنوات الأولى من ماضيه ، هذا الحنين لم يفارقي  
رغم وسائل الراحة والتطور الحضاري في المدينة . أصبحت  
قطة المدرسة صديقتي، وكنت أتسلل إلى مكانها وأحمل لها  
الأطعمة . سألتني المستخدمة: يبدو أنك تحبين القطط ؟  
- أجل .. وجميع الحيوانات .

وراودتني فكرة أخذ قطتين إلى منزلي . دخلت بهما المنزل  
وفرحتي مشوبة بالحذر. والخوف من ردّ فعل والدي التي قالت :

- يا ابنتي .. من الصعب تربية الحيوانات في المنازل  
المغلقة . إنهم يحتاجون إلى التربة والشجر  
والفسحات الواسعة . كان والدي رحيماً وأقنعها  
بإبقائهما .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

وبالتكرار والعادة تعودتا على النظام والنظافة . وكان يسحرني لون العيون الخضراء وهي تلمع بالليل بوهج فوسفوري جذاب والحدقة تكبر في العتمة ، وتصغر في ضوء النهار . وبدأت الألفة بينهما وبين الكلب - رام - وكان وديعاً وطيباً وغير أناني . حتى طعامه يتركه لهما .. ثم يأكل البقية . وكانت القطط تحسده لأنها لا تخرج معنا إلى نزهاتنا القليلة في شوارع المدينة . وفي إحدى المرّات تسللت القطّة - نارة - وخرجت من المنزل وغابت أسبوعاً وكان القط حزيناً. يبحث عنها في أرجاء المنزل . ذات مساء سمع أخي مواء قطّة في القبو ، فتبعه وكانت وراء شباك الحديد . وحين رأته قفزت وتشبثت به ، فأخرجها من وراء القضبان هزيلة.. وسخة ، متعبة . وكانت الفرحة بعودتها لا توصف .. وشفيت بعد أيام من جروحها وعادت إلى نشاطها ولعبها ..

كان والدي قاسياً بعض الشيء على القط لأنه شرس ولا يتألف إلا معي . ضربه في إحدى المرّات ، غضب القط

ورمق والدي بنظرة تقدح شرراً ، ثم تسلل إلى الحمام وانتزع من الغسيل الوسخ قميصاً لوالدي وضعه في زاوية الغرفة ، وكانت دهشة الجميع حين بَوّل فوقه وهرب مختفياً..

ضحك الجميع لذكاء هذا القط الغاضب . وقال أبي: إن القط أناني يجب ذاته فقط ولا يُؤمّن لأنه غدار ، عكس الكلب الطيّب المتسامح الوفي لصاحبه . فقال : اسمعي يا هديل هذه القصة.

في حرب تشرين عام 1973 كان أحد الضباط يملك كلباً ويدلّه في بيته كأنه أحد أفراد أسرته . وذهب الضابط إلى الجبهة ومساءً كان نباح الكلب قوياً حزيناً لا يهدأ ولا يسكت . استغرب أفراد الأسرة أمره وغضبه يشتدّ . وما هي إلا لحظات حتى تبلّغت أسرته نبأ موته في الجبهة شهيداً . وبقي الكلب حزيناً يرفض الطعام والشراب إلى أن مات بعد أشهر حزناً على صاحبه .

\* \* \*

## حزن بريء

ما هي إلا أشهر قليلة ، حتى وضعت القطة أربعة قطط واحتضنتهم وأرضعتهم والقط يقوم بحراستها ومساعدتها كأنه أب مسؤول عن أسرته .. وبعد فترة بدأت القطط تجول وتصول في المنزل .. وبدأت المتاعب مع الأهل والاحتجاج .

وحين عدت من المدرسة صعقت لما حدث ، فقد حمل والدي القطط وترك لي الابنة البكر . وحاولت والدي أن تهدئ غضبي وحزني وأنا أشهق بالدمع وكأني فجعت بعزير .

وفهمت أن والدي كان رحيماً بهم ووضعهم في جامع على سطحه تعيش مئات القطط وكل محسن يضع لها الطعام وقربه فسحة واسعة يسمى (جامع العثمانيون). وبقيت أسبوعاً

أذهب برفقة أخي إلى فسحة الجامع أبحث عنها دون



جدوى.. وبدأ التعب والمرض يشتدّ على جسمي وأهملت  
دراستي وأنا كل ليلة أنتظر عودة القطط ولكن .. عبثاً...  
وصببت كلّ رعايتي للكلب - رام - وكان ينظر إليّ  
حزيناً ويروح ويغدو وهو يلهث ثم يرطب حلقه بالماء ..  
نم يا صغيري .. نم الآن .. ما أمتع الطفولة وما أجمل  
الريف . وما أكثر الأحلام التي تهدد أيا منا ، والرغبات التي  
نحرم منها ..  
ترى هل لك أحلاماً ورغبات مثلي ؟ ...

\* \* \*

أوراق ليلي

ليلى والحيوانات

العزيزة ليلي ..

كما وعدتك .. أترك لك أوراقني

كم كانت عزيمة جميلة هذه الذكريات

وكم أنت لطيفة حين رجعت من خلالك إلى أيام

الطفولة والصبأ.

تذكرني دائماً يا ابنتي ..

- أن البيئة والمناخ ، تؤثر على طبيعة الإنسان والحيوان

والنبات وما ينبت في قلب البشرية لا يقتلع . فالطبيعة تبقى

ولكنها تبدل ، وتغير في الكائنات .

والحذر كل الحذر أن نقتلع شيئاً من جذوره ، لأن ما ينبت

في قلب الإنسان لا يقتلع

\* \* \*

طويت أوراقي ، وضعت الدفتر فوق مكتب ليلى في  
غرفتها وكانت قد بدأت العطلة الصيفية . قلت ليلي :  
أتذكرين وعدي لكِ ؟

قفزت ليلى فرحة وضمّنتني إلى صدرها.

- هل انتهت قصصك يا أمي ؟

- أجل يا ليلى كما وعدتك . وعلينا أن نحترم وعودنا

للأطفال ... هيا ادخلي إلى غرفتك تجدين الدفتر مع وردة  
عطرة .. هدية لك ..

- شكراً .. يا أحلى أم ...

ما زلت يا ليلى أسمع ضحكات الأزهار. في أسفل

الوادي، وعلى المرج الأخضر ، وهي ترتجف للمسات النسيم

كقوس قزح مزهر ييكي وكؤوس الزهر مبلة بالعطر..

ما أكثر الأحلام التي تسلب اللب في الريف وتشعرك بالحب

الإنساني في روائه اللانهائي .

\* \* \*

## شذرات

**النحل:** نظامها الاجتماعي فيه دقة وتناسق وروح تضامن .  
وعاملات النحل ينقلن العسل ويعملن في الإعداد  
والانتفاع به في الخلية .

**العقرب:** يتمكن من الصوم ثلاث سنوات متتالية .

**الضفدعة:** تصوم سنة كاملة وبعض الحيات 28 شهراً.

**الكلب:** يعيش في مناخ تبلغ درجة حرارته 160 تحت

الصفحة

**الخنفس :** يحمل على ظهره ما يبلغ من 850 مرة أكثر من وزنه .

**العنكبوت :** يصنع خيوطاً طولها 30 متراً.

**النحلة :** تبذل طاقة تساوي 24 مرّة وزنها الحقيقي .

**سمك الترويت (السرطان) :** يبقى في براد مجلّد مدة طويلة ، ويستطيع العودة إلى الحياة ثانية .

**سمك الحنكليس :** يولّد تلقائياً تياراً كهربائياً تعادل قوّته 600 فولط بلمسة واحدة .

**سمك القرش :** يهاجم الإنسان ويلتهمه بقضمة واحدة .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

**الهررة** : أكبر عدد هررة 28 مليوناً من الحيوانات الأليفة في الولايات المتحدة الأمريكية , وتشتهر بتدليل الحيوانات

**الطير الثرثار** : كثر الطيور ثرثرة في العالم هو - ببغاء

أفريقيا - الرمادي ويحفظ ألف كلمة وينطقها ببراعة.

يوجد في العالم 500 حديقة للحيوانات ، أكبرها حديقة (ألايتوشا) في أفريقيا الجنوبية

\* \* \*

طرائف

## البغاء الوريث :

بعد أن ماتت سيده كندية وقد جاوزت الثمانين من عمرها كانت وصيتها أنها أورثت البغاء مالها وبيتها إلى أن يموت لأنه كان يسليها ويؤنس وحدتها .

## أغنى هرة :

ترك أحد الأطباء بعد وفاته في كاليفورنيا 4000 دولار لهرتيه ، وبعد موت الهرتين انتقلت الأموال إلى جامعة جورج واشنطن. فالقانون ينصّ هناك على عدم مسّ الأثر الموهوب للحيوان إلا بعد موته .

\* \* \* \* \*  
\* \* \* \* \*

الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

# حكاية النور

ليلى مقدسي

قصة للأطفال



## (1)

استيقظ سمير باكراً على غير عادته وقد تسرّبت إليه رائحة الخبز الحار . نظر من نافذته إلى حاكورة الدار . كانت أصوات العصافير تغني للصبح . وصوت الديكة إيقاع يهدأ ويشتد ..

أحسنّ سمير أنه يائس رغم أن صباح الريف يفيض أضواء وإشراقاً ، والشحورور صديقه الودود يعرّد فوق شجرة البرتقال . هذا الطائر الأخضر يغني ويرقص ويضحك ضحكاً طويلاً كأنه يفعل ذلك لينسى سميراً قلقه . وفي شجرة الصنوبر تجلس القنابر لتتناقش طويلاً حول ما سيحدث اليوم .

الفراشات تطير نشوى برائحة الأزهار . وصوت القطة " راما " يموء ..

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

نظر سمير إلى باحة الدار. فرأى جدّه جالساً ، ككل صباح ، قرب بركة الماء الصغيرة ، يدخن نرجيلته ، ويرشف فنجان قهوته بهدوء متأملاً الأشجار والزهور وخرخرة نافورة الماء .

وفجأة تراه أمه فتقول :

- سمير ما الذي أيقظك باكراً ؟
- لم أنم جيداً يا أمي . لقد أقلق مضجعي هذا الكسوف الذي سوف يحدث اليوم للشمس . أنا خائف .
- الشمس ستموت وأنا لا أحبّ الظلام .
- سمير ، يا بني ، عندما تموت الشمس فستنتهي الحياة .
- النور هو الحياة يا ولدي .
- والكسوف ما هو ؟
- سمير ، اغسل وجهك ، ونظّف أسنانك . سأحضر لك طعام الإفطار . وسوف يشرح لك جدك ، بعد قليل ، عن الكسوف .

نظر سمير فزعاً من النافذة نصف المفتوحة إلى الله  
المتجلي في جبروته قائلاً :

- يا رب ، لا تحرمني النور . النور قوي فكيف يموت ؟  
لقد قالت لنا معلمتي : النور دائماً يهزم الظلام  
وينتصر . الظلام هو الشر . والنور هو الخير . والأقوى  
، الأقوى يا أطفال هو النور .

## (2)

كفّ سمير عن الأكل وشعر بعدم رغبته للطعام .  
والدته تصرّ على أن وجبة الإفطار ضرورية للجسم كي يستمدّ  
وقوده ويعمل بجمّة ونشاط .

نظر سمير إلى جده الذي يداعب القطة " راما "  
واقترب منه وهو يحاول أن يشغل تفكيره بملامسة القطة  
الصغيرة . مسكينة راما سوف تخاف مثلي من الكسوف وربما  
تموت لأنها ضعيفة .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

أيقظه صوت جده :

— سمير ما بك ، لم هذا الشحوب على وجهك ، وكيف نسيت قبلة الصباح ؟ هل أنت مريض ؟ اقترب لأمس جبينك .

— لا يا جدي .. أنا لست مريضاً ، بل أنا خائف .

— وممّ تخاف ؟

— من الكسوف ، موت النور .

— يا سمير هذا يسمى كسوف الشمس . اقترب مني

واصغ إليّ :

— الشمس مصدر الحرارة والنور . تشرق وتغيب وفق

نظام وقانون . انظر معي إلى شجرة الصنوبر . هل

ترى النور وهو أبيض شفاف على أوراقها ؟ هذا النور

الأبيض يلّم ذاته لذاته ويلوّن الطبيعة . منه كل شيء

، وكل شيء يتحوّل إليه . وهو يغيّر لونه أيضاً ، فهو

وردي أو أزرق في الفجر . وهو ذهبي أو بنفسجي ،

أخضر أو سماوي .. والآن ، راقب الشمس . إنها في كبد السماء ، أتراها ؟

— نعم يا جدي .

— عندما يدور القمر ويدور يتعب فيقف بين الأرض والشمس لبضع دقائق قد تكون سبع دقائق أو أكثر أو أقل حسب مكوث القمر . وبذلك يجلب القمر الشمس عن الأرض . وعندما يتابع مسيره ، تعاود الشمس ظهورها وتسدل نورها على الأرض وهذا يسمى " كسوف الشمس " .

— وما هو الخسوف يا جدي ؟

— الخسوف يا سمير يحدث عندما يجتاز القمر ظل الأرض في دورانه . وهذا لا يحدث إلا في فترات متباعدة بين السنين . ثم يعود القمر مشرقاً والشمس مضيئة . ألا ترى يا سمير كيف أن الفصول أيضاً تتبدل وتتغير . فالربيع يجعل الطبيعة تزهر ، والشتاء يغذي الأرض

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

بالمطر ، والصيف تنضج فيه الثمار والمزروعات ، وفي  
الخريف تتعرّى الأشجار ويموت الزرع . فكل شيء  
يتبدّل ويتغيّر . وهذا دليل على تجدد الحياة الطبيعة ،  
وعلى تجدد الإنسان . أنت الآن صغير يا سمير ، وبعد  
أعوام ستبدّل وتكبر وتطول قامتك وتصبح شاباً  
جميلاً مثل جدك ثم ستصبح عجوزاً .  
ضحك سمير وهو يشعر بارتياح عميق ، وهزّته قربه تهزّ  
ذنبها سعيدة معه وكأنها كانت تفهم ما دار بينهما من  
حديث .

وعندما أحسّ الجد بارتياح سمير سأله :

- هل تعرف أسماء بعض الكواكب ؟
- أجل . قالت لنا المعلّمة : إن المجموعة الشمسية تتألف  
من تسعة كواكب منها الأرض والمشتري وزحل والمريخ  
ونبتون وأورانوس وبلوتو .

- أحسنت يا سمير . وهل تعرف أقرب الكواكب للشمس ؟
- لا يا جدي .
- عطارد أقرب الكواكب إلى الشمس . و " الزهرة " ويسمى < نجمة الراعي > لأنه يظهر عند الفجر والغروب ، وهو أقرب كوكب للأرض . سمير ما هو لون القمر ؟
- لونه فضي .
- أتعرف يا سمير أن القمر غير لونه ؟
- وكيف يا جدي ؟
- اسمع الحكاية :

اندلعت حرائق هائلة في غابات كندا عام 1950  
 والتهمت الكثير من الأحراج والغابات ، فبدأ القمر متشعراً

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

بلون أزرق مائل إلى الاخضرار. . وأيضاً للقمر أسطورة قديمة..  
هل أحكيها لك يا سمير ؟

- أجل يا جدي . ولكن ، ماذا تعني الأسطورة ؟
- الأسطورة هي شيء متخيّل ، حكاية أو قصة خرافية مدهشة . لها حكم ورموز .. إنها عمل خارق عظيم .  
تقول الأسطورة :

كان القمر ، يا سمير ، فتاة جميلة اسمها " رابية " .  
كانت تعيش مع أهلها على الأرض . وذات يوم رآها رجل الشمس " نويل " فوق في حبها ، لكنها صدّته عنها ، فقرر الانتقام وأغرق رابية في الأرض عند جذور شجرة . فشل أهل رابية في إنقاذها وهي تغيب بسرعة في جوف الأرض .  
وعندما بلغ التراب عنقها طلبت من أهلها أن يذبجوا خروفاً .  
ويقيموا مأدبة على روحها ، وطمأنتهم بأنّها لن تغيب طويلاً في باطن الأرض . وأضافت : في مساء اليوم الثالث راقبوا



السماء لأنني سأكون قد صرت فيها جرمًا منيرًا ، وسيصير  
اسمي " قمر " .

### (3)

اقترب سمير من شجرة البرتقال ونظر إليها يتأملها.  
صامتاً ، ثم استدار نحو جده قائلاً :

- جدي ، هل للشجرة أسطورة أيضاً ؟
- أجل يا ولدي . فالشجرة هي روح الخصوبة في  
الأرض، وهي التي تعطينا الثمار- اللذيذة . تقول  
الأسطورة :

كان هناك فتى عذب الصوت ، يسرع الناس لسماع  
أغانيه الشجية . ومرة ، وبعد انصرافهم من عنده مات عدد  
منهم بداء غريب ، فحملوا الفتى مسؤولية ما حدث ، وقتلوه  
ودفنوه ، فنبتت فوق قبره شجرة هي أول نخلة في العالم .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

ويقال أن الله سبحانه وتعالى خلق في " عدن " شجرة ترمز إلى التواصل والعطاء بين السماء والأرض . ويقال : الأم السورية " عشتار " ولدت من شجرة الحياة . وشجرة الحياة وسط الجنة وكذلك شجرة معرفة الخير والشر. أيضاً السيدة العذراء ولدت " عيسى " تحت شجرة النخل .

- لماذا تُزيّن الشجرة في العيد يا جدي ؟
- تزيين الشجرة يرمز إلى الأجرام السماوية المنيرة للأرض . أترى السماء يا سمير وكم هي رحبة وواسعة،.. ومع ذلك هي تغضب وترضى ، تحزن وتفرح ، مثلنا تماماً ..

- وهل لها أسطورة يا جدي ؟

ضحك الجد كثيراً وقال :

- ألم تتعب يا سمير ؟

- لا يا جدي ، إنها قصص جميلة ومفيدة .

— يا بني ، في قديم الزمان ، كانت الأرض قاحلة لا نبات فيها ولا ماء . بكت الأرض كثيراً. فرقت السماء لها لهما ومنحتها نعماً كثيرة . في اليوم الأول أعطت السماء شعرها للأرض ليكون الأشجار والأزهار. والأعشاب . وفي اليوم الثاني أعطتها عيونها فملأت الينابيع وجه الأرض . وفي اليوم الثالث أعطتها أفواهها فصارت في الأرض أنهار وكهوف . وفي اليوم الرابع أعطتها أنفها فامتلات الأرض بالوديان .. في اليوم الأخير أعطت السماء الأرض كتفيتها فارتفعت الجبال .

قفز سمير فرحاً وضّمّ جده إلى صدره شاكراً له حكاياه الجميلة ، ثم استأذنه لأنه بدأ يحسّ بالجوع وذهب إلى أمه قائلاً:

— هل الغذاء جاهز يا أمي ؟  
استغربت والدته هذا التبدّل المفاجئ فقالت :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

- أراك مغتبطاً يا سمير ، هل قال لك النور شيئاً مفرحاً؟  
ابتسم سمير لمداعبة أمه وأجاب :
- بل جدي هو الذي قال لي أشياء جميلة وأفهمني معنى  
الكسوف والخسوف وأخبرني بسرّ عظيم .
- ما هو- ؟
- قال لي : إن النور لا يموت أبداً ، بل يختبئ خلف  
السماء من شغب الأطفال مثلي .
- يا لك من ولد ذكي وسريع البديهة .
- هيا يا أمي سوف نأكل بسرعة لأني سأنتظر مع  
جدي كسوف الشمس .
- يجب ألا تنظر إلى الشمس لأنها تضرّ بعينيك .
- أعرف يا أمي ، سننظر أنا وجدي من المجهر .

(4)

اتشحت خضرة الريف بثوب الحداد كما لو أن  
حجاباً بنفسجياً يضمّها . وتراءت البحرة من بعيد بيضاء  
اللون . بعض النجوم تتألق شاحبة ذابلة . وأسطحة المنازل  
تتراءى من بياض إلى بياض .  
كان سمير ينظر بمجهر جده من خلال قطعة الزجاج  
المعتم .

غابت الشمس .

كان كل شيء قبل مغيبها يجعلها أكبر من حقيقتها ،  
ويزيدها حسناً بما يتداخل فيها من ضوء وذهب ..  
- جدي ، أنا حزين لأجل الشمس . لقد تركها الآن  
كل شيء . إنها وحيدة بائسة .  
- يا ولدي ، إن الشمس تستبدل الآن الذهب بالنحاس  
ثم بالفضة .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

وخيمّ سكون مخيف . الشوارع حزينة والجبال  
والأشجار والحاكورة . الدجاجات تلوذ الواحدة تلو الأخرى  
بالدرج الذي يقيها . القطة اختبأت تحت السرير .  
أحسنّ سمير بالاهتزاز الرقيق في موجات ظل الشمس  
الجديد وكأنه مع جده وأمه في غابة كثيفة معتمة من أشجار  
الصنوبر .

بعد دقائق قليلة ، مدت الشمس رأسها باسمه وتناثرت  
أشعتها على الأرض .  
صرخ سمير فرحاً :

- السماء ترمي ورودها ، وتفيض على جبهي وكنفي .  
ماذا أفعل يا جدي بهذه الورد التي تلقيها الملائكة  
على الأرض ؟
- سمير ، أين الورد ؟
- ورود النور يا جدي .

- مرحى لك يا سمير . سنصلي معاً للرب ونشكره على نافورات الرحمة النورانية التي شعت من السماء .. ثم، اذهب إلى غرفتك لترتاح قليلاً أو لأرتاح منك .. وانطلق صوت ضحككهما معاً .

## (5)

- في اليوم التالي ، استغرق سمير في نوم عميق . وحين أيقظه صوت والدته قال:
- يا إلهي ، لقد تأخرت عن موعد جدي وقد وعدته أن أصطحبه في نزهة صباحية إلى الحقول .
  - نحض مسرعاً وارتندي ملابسه ووقف أمام جده مرتبكاً
- :
- صباح الخير يا جدي .
  - أهلاً سمير .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

استغرب لهجة جده الجافة ، وتساءل : لماذا لم يطبع

جدي على جيبني قبلة الصباح ؟

اقترب الطفل من جده وسأله :

- جدي .. هل أنت بخير ؟

- أجل .. ولكن كم الساعة الآن ؟

- آسف يا جدي ، لم أسمع صوت المنبه .

- يا ولدي .. الإنسان الذي لا يحترم مواعده لا يحترم

شيئاً. في الحياة . والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك

. هذه المرة ، سأسامحك وأرافقك لكن عقوبتك أن

تبقى صامتاً دون أسئلة .

ضحك سمير وهو يقول :

- لن أعدك .. لكنني سأحاول .

كان يتأمل الحقول المترامية والأشجار المزهرة . وحين

اقتربا من البحيرة التي تشرف على القرية قال الجد :

- هل نجلس يا سمير قليلاً ، لقد تعبت ..؟



استظلا شجرة الزيزفون .

نظر سمير إلى جده متردداً ، متلعثماً ، وقد عذبه

الصمت .

- جدي ، من بني هذه البحيرة ؟
- سمير ..!
- لا تكمل يا جدي ، أعتذر. .. وسأحترم الوعد دائماً.
- ضمّ الجد حفيده إلى صدره وقال له :
- اسمع يا سمير . هذه ليست بحيرة . إنها سد . ألم تشرح لك المعلمة عن السدود وأهميتها ؟
- لا يا جدي .
- السدود يا ولدي تبني لفائدتها العظيمة . نحتزن فيها المياه لسقاية المزروعات في مواسم الجفاف والصيف.
- وهل لها أسطورة أيضاً ؟
- ضحك الجد وتابع :

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

- بل سوف أحدثك عن سدّ عظيم وقديم جداً ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم . إنه " سد مأرب " .

كان يا ما كان في قديم الزمان ، ملك كاهن يقال له " عمران " وقد تنبأ بخراب البلاد ، ودعا أخاه " عمرو بن عامر " قبل وفاته وأنذره بهذا الخراب ثم مات . وكان عمرو هذا ملكاً عظيماً بمأرب ومتزوجاً امرأة من قومه يقال لها " ظريفة " كانت ذات علم ومعرفة . ولقد بني هذا السد بين ثلاثة جبال حيث يصب ماء السيل في موضع واحد . وليس للماء إلا مخرج من جهة واحدة . وعن يمينه ويساره جنتان من الأشجار والأطياب . وتحت السد أيضاً جنان من كافة أنواع الأشجار حتى إن المرأة التي كانت تمشي من بيتها وعلى رأسها إناء لا تصل إلى بيت جارّتها إلا وهو ملآن بالفواكه دون أن تمدّ يدها لتقطف منها شيئاً . وذات ليلة ، رأت ظريفة في حلمها سحابة تغشي اليمن وهي تبرق وترعد ، فهبت مذعورة وقالت للملك :

- لقد أذف بكم الغرق .

اضطرب الملك وخرج إلى بعض حدائقه . لقد به

ظرففة إلى أن وصلا إلى السد وأشرفا عليه ، فإذا بجرذان حمراء  
تحفر السد وتقلع الصخرة وتدفعها بأنياب حداد وأظافر شداد  
 . وكان ذلك الموضع مسدوداً بالحجارة والرصاص ويجمع فيه  
ماء عيون غزيرة . وإذا أرادوا سقي المزروعات فتحوا بقدر  
حاجاتهم بمحركات هندسية ثم يسدونها .

رجع الملك مهموماً فقالت له ظرففة :

- يا عمرو إذا ظهر الجرذ الحفار ، فاستبدل لنفسك داراً

من دار ، وجاراً من جار . فعندها تنزل الأقدار .

ثم طلبت منه النجاة ، فباع ملكه وارتحلوا عن أرض

اليمن . وكانت الجرذان قد خربت السد ، فطغى الماء ، وأغرق

البلاد ، ولم يبقَ إلا رؤوس الجبال ، وهكذا حلت النكبة

باليمن بعد انفجار السد .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

شكر سمير جده على هذه المعلومة وحكايتها التاريخية  
ونحضا معاً عائدين إلى البيت .

في طريق العودة ، رأى سمير طيراً أسود ينتفض قرب  
شجرة ، فأسرع إليه وحمله بيديه . نظر جده إلى الطائر وقال :-  
- امسكه برفق يا سمير ، إنه مجروح وسوف نسعفه .

### (6)

كان سمير يجلس كل مساء ونجوم آذار ترصع السماء.  
والبركة الصغيرة وسط الدار. كأنها جزيرة زرقاء تعكس ظلال  
الشجيرات ، وتفوح من مياهاها رائحة الزهور والنضارة ،  
وسمكاتها الصغيرة تتابع رقصها الإيقاعي على أوتار الماء .  
ساحة الدار. مظلمة بشجرة النارج والبرتقال . والدالية العنباء  
تتدلى وتزاحمها تلك الياasmine التي تبدو كقيثارة سماوية ترمي  
زهيراتها البيضاء على صفحات المياه مستسلمة للنسيمات  
الناعمة التي تلامس خدها .

والقطعة " راما " تندسّ قرب الجد وتنظر إلى سمير معاتبه  
قبلاته لجدّه الذي انشغل عنها به .. وكأنه ينافسها على حبّه

الغراب الجريح الذي تماثل للشفاء تألف مع المكان  
وكان يطير من شجرة إلى زهرة إلى غصن ويحطّ فوق حافة  
البركة مسروراً ، ويهرب من ملاحقة راما له .

اليوم ، استيقظ سمير باكراً كما وعد جده ، وأصبح  
الوعد شيئاً مقدساً يحترمه . نزل إلى الحديقة . كان الجد  
صامتاً وكأنه لم يسمع قفزات سمير على الدرج .  
- جدي ، ما بك ؟ لم أتأخر اليوم أبداً .  
نظر إليه جده وكأن الدموع الحبيسة تمزّق أجفانه

لتترقق مع صوته :

- سمير ، انظر إلى البركة .

كانت البركة مغطاة بأوراق الشجر وأوراق الدالية ..  
كأن الأوراق سجادة فرشت فوق الماء .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي

- من فعل هذا يا جدي ؟
- الغراب يا ولدي ..
- لماذا ؟
- حتى لا تشرب راما .
- ضحك سمير :
- يا له من غراب ذكي .
- لكن ..
- لكن ماذا يا جدي ؟
- أجل ، لقد ضربتها وحبستها هناك . إنها قطة مؤذية.
- ماذا فعلت ؟
- تلعثم الجذ وتغرغرت الدموع في حلقه :
- لقد غرزت أظافرها في رقبة الغراب ، و ... و ...
- هل مات الغراب يا جدي ؟
- شهق سمير بالدمع ، وحزنه تضاعف لحزن جده الذي ربت على كتفه قائلاً :

- كن قوياً في الشدائد يا ولدي . وهيدا معي لندفن  
الغراب في الحاكورة .

كأن القرية تشارك الجد والصغير حزنهما . الهدوء

ينتشر .

مساءً ،

لاحظ سمير أن النجوم اختفت ن السماء وكأنها كانت  
ترفرف فوق قبر الغراب المسكين .

- جدي ، أين راما ؟ ألا تسامحها ؟

انتبه الجد لغياب القطة ، فبحث مع حفيدة عنها في  
المنزل والحاكورة ، لكن بلا جدوى . لقد اختفت .

حاول سمير أن يخفف من حزن جده ويسليه لعله

ينسى همومه ، فسأله :

- جدي ، يقال إن الكلب أكثر وفاء من القطة .. هل

هذا صحيح ؟

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

- أجل يا حفيدي .. وهناك قصص كثيرة عن وفاء الكلب وأمانته .
- جدي .. هل تذكر إحدى القصص ؟
- في الغرب يا بني ، يدرّبون الكلب على العمل . وقد يستطيع هذا الحيوان أن يقوم ببعض المهام لصاحبه .  
يحكى أن رجلاً كان لديه كلب ذكي درّبه على إحضار الخبز كلّ صباح ن السمان القريب للمنزل .  
كان يضع له سلّة مربوطة إلى رقبته ، ويضع فيها ورقة ونقوداً . كان هذا الكلب يقوم بمهمته بدقّة ونظام ، لكنه بدأ يتأخر قليلاً ، مما أثار استغراب صاحبه ودهشته أيضاً حين وجد الخبز ينقص رغيفاً عن المطلوب . ساورته الظنون بكلمه : هل يمكن أن يخون ؟ .. مستحيل .. لأنه قضى معه زمناً طويلاً وكان أميناً جداً .. إذن ، هناك سرّ ما .. ربما المخبز هو



الذي يؤخره أو ينقص الرغبة .. ذهب الرجل إلى  
صاحب المخبز مستفسراً ، فأجابه :  
- راقب كلبك .

بدأ الرجل يراقب كلبه خفية ، ويتبعه ببطء شديد .  
وكم انتفض نبض قلبه وهو يرى كلبه يغيّر طريق سيره منعطفاً  
إلى حفرة في نهاية الشارع . ترى هل له صديقة هناك؟ هل  
يأكل الرغبة ؟ هل ..؟ هل ..؟

تعرق الرجل وفتح فاه مندهشاً وهو يرى الكلب الطيب ،  
يتناول بفيه رغيفاً ويرميه إلى قطة متكئة على الأرض وحوها  
صغارها ، ثم يتابع طريقه مسرعاً . اقترب الرجل من القطة ،  
فنظرت إليه بشراسة وحاولت النهوض لتدافع عن صغارها  
ولكنها تهاوت على الأرض ... نزلت دمعتان من عيني الرجل  
وهو يرى القطة جريحة لا تقوى على المسير .

قال سمير معلّقاً :

- كلب رائع يا جدي ... فعلاً إنه ...

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتب السورية ليلي مقدسي

ثم تنهى إلى سمعه نقرات على باب الحديقة الخلفي .

شغلته النقرات عن متابعة إعجابه بقصة الكلب الطيب ،  
وركض ليرى من القادم في الليل . بسرعة ، قفزت راما واقتربت  
من الجد الذي نظر إليها مدهوشاً وهي ترطب بلسانها الوردي  
أصابع الجد لتمسح غضبه وتنال غفرانه . وضع الجد برشاقة  
أصابعه الحزينة على رأس القطة الحزينة ، ففاض الحب ،  
وامتلأت البركة بالياسمينات وهي ترقص مع دموع الغفران .  
نظر سمير إلى جده وكلّ منهما كان يحسّ بعاطفة  
تتدفق نحو القطة الهاربة .

فاجأ الجد سمير بابتسامته وسؤاله :

- سمير ، هل تعرف وردة النار ؟  
رفع سمير حاجبيه نافياً عرفتها .
- سأكافئك بعودة راما وأعرفك عليها . وردة النار وردة  
غريبة اكتشفها العلماء السوفييت وأطلقوا عليها هذا  
الاسم لأنها لا تحترق إذا تعرّضت لعود ثقاب مشتعل ،

- بل تصدر عنها نيران زرقاء اللون يستمر وهجها بضع لحظات ثم تعود إلى حالتها الطبيعية .
- جدي أين أد هذه الوردة ؟
- ضحك الجد قائلاً :
- عندما تسافر إلى غابات الأمازون أو أوكرانيا السوفيتية . وعندما تسافر أحضر لي معك نبتة " الهدال "
- زهراتك غريبة يا جدي مثل حكاياتك .
- إنها نبتة أوراقها خضراء ، بواسطتها تؤمن غذاءها من نور الشمس ولكنها شرهة ولا تكفي بهذا ، فتنبت على جذوع نبات أخرى وتمتصّ الماء والغذاء من عروقها بعد أن تغرز فيها أظافرها .
- إنها نبتة شريرة يا جدي .
- أجل ، ولكن أريدها لأؤدّب بها راما حتى تحسّ بالام الغير وتكفّ عن الأذى والشر .

## الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلي مقدسي

اقتطف سميـر باقـة ياسمين ووضـعها في كـوب ماء ، ثم  
جاء إلى جده قائلاً :

- جدي هذه ياسمينات المحبة لي ولك ولراما .

---

تمت الاستفادة بطريقة ما من المراجع التالية :

(1) - غرائب العالم " ميشيل مراد " المكتبة الشرقية -  
بيروت.

(2) - الميثولوجيا عند العرب " محمود سليم الحوت " اتحاد  
الكتاب العرب - دمشق .

## الفهرس

### الصفحة

- |   |                  |
|---|------------------|
| 1 | كلمة             |
| 2 | من الحديث الشريف |
| 3 | مقولة (حتيه)     |
|   | * * *            |

خضرة ريفية 5

	ضحكة الطفولة	-1
	<b>9</b>	
17	حوار الودّ	-2
	يقظة طفلة	-3
	<b>28</b>	
32	الحاكورة	-4
	مواجه ليلى	-5
	<b>39</b>	
	حزن بريء	-6
	<b>52</b>	
	أوراق ليلى	-7
	<b>54</b>	
	* * *	
	شذرات	-8
	<b>56</b>	
	طرائف	-9
	<b>59</b>	
	* * *	

## حكاية النور

-10

60

\* \* \*



**Komcivîna Zanyarên Azad**

**تجمع المعرفيين الأحرار**

**bo gelên yên diaxivin bi herdû zimana Kurdî û Erebi**

**للشعوب الناطقة باللغتين الكوردية والعربية**